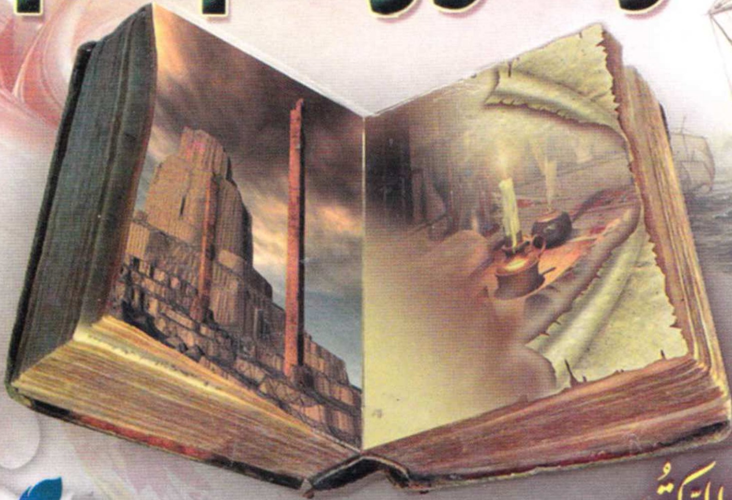
ساعة وساعة

نوادر وعجائب



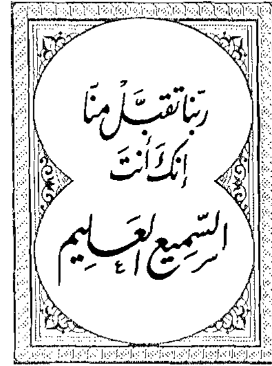
فضيلة الشيخ الدكتور
محمود المصري أبو عمار

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

ساعة.. وساعة

نوادر وعجائب

بسم الله الرحمن الرحيم



١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٥٩١٣

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٧ ميدان الأزهر/أمام الجامع الأزهر/القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك/خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

ساعة وساعة نوادر وعجائب / جمع
وترتيب محمود المصري ٠- ط١
٠- القاهرة: مكتبة الصفا،
٢٠٠٧.
٤٨٠ ص؛ ٢٤سم.
١- الأهاجي والفكاهات العربية
أ- المصري، محمود (مرتب)

٨١٧

ساعة.. وساعة

نوادر وعجائب

جمع وترتيب
محمود المصري
أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع
تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فمازال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب الدينية المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالَى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز سواء كان كاملاً، أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو الموضوع، كآيات الأحكام وغيْر ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله - عز وجل - لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسُنة، قولاً وفعلاً، نصًّا وفَهمًا وعملاً.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب، كموطإ الإمام مالك، وصحيح الإمام البخارى، ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم، وغيْرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ روايةً ودرايةً وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة بشتى

الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله - عز وجل- فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر، رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب «ساعة ... وساعة.. نوادر وعجائب»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجو من الله - عز وجل- أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله مناراً لخدمة العلم والدين

إهداء واعتراف لأصحاب الفضل

وكما تعودت دائمًا أن أقدم هذا الإهداء والاعتراف لأصحاب الفضل، فوالله أنا لا أستطيع أن أنساهم أبدًا؛ وذلك من باب قول الحبيب ﷺ: «**من لم يشكر الناس؛ لم يشكر الله**»[1].

وفى مقدمة هؤلاء الناس جميعًا أقدم هذا الإهداء.

● **إلى أمى الحبيبة - رحمة الله عليها -:**

وكيف أنساكِ يا أمى الحبيبة..، يا من ضحيت من أجلى بكل شىء كيف أنسى أيامك العامرة بالعطاء والتضحية والرحمة والحنان..، والله أنا لا أستطيع أن أوفيك حقك ولو كتبت ألف كتاب؛ ولذلك أقول لك: جزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء - فهو سبحانه القادر على أن يجزل لك العطاء فى الدارين- فأسأله سبحانه أن يرحمك رحمة واسعة، وأن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة، وأن يجعل أعمالى كلها فى ميزان حسناتك، وأن يجمع بينى وبينك فى الجنة.

● **إلى أبى الحبيب - حفظه الله -:**

أسأل الله تعالى أن يُعجِّل لك بالشفاء، وأن يبارك فى عمرك، وأن يرزقنى وإياك وسائر المسلمين حسن الخاتمة.. فجزاك الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فلقد كنت ومازلت نعم الأب الرحيم.

● **إلى زوجتى الغالية/ أم عمار:**

جعل الله أيامك عامرة بالعطاء لدينك.. عامرة بالسعادة.. عامرة

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠٨٨٧)، من حديث أبى سعيد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٥٤١).

بالإخلاص.. وجعل الله آخرتك عامرة بالنعيم والرضوان.

• إلى أبنائى (عمار، وهاجر، وسارة، وحبيبة):

أسأل الله - جل وعلا - أن يحفظكم، وأن يبارك فيكم وأن يجعلكم من عباده المخلصين الطائعين، وأن يستخدمكم لنُصرة دينه وأن يجعلكم فى ميزان حسناتى، وأن يجمعنى بكم فى جنته ومستقر رحمته.

• إلى إخوانى الكبار الذين أحببتهم فى الله:

إلى الأساتذة: ياسر الهوارى وجمال الهوارى وأحمد إسماعيل فايد وحسن الرواس وأحمد أبو هيبة ويحيى فؤاد وطه مصطفى وطارق الجيوشى.. والمهندس محمد عبد العاطى.

أقول لهم جميعًا:

إن الأخوة الصادقة عُملة نادرة فى هذا الزمان، فما أجمل أن تلتقى القلوب المؤمنة على المحبة الصادقة فى الله - جل وعلا-.

فأسأل الله أن يجمعنى وإياكم مع المتحابين فى الله، فى ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله.

• إلى كل أخ مسلم وإلى كل أخت مسلمة:

والله ما نسيت الدعاء لكم فى صلاتى - وأنا ساجد بين يدى الله- فلا تنسونى من دعوة صالحة بأن يغفر الله لى ذنوبى، وأن يرزقنى الإخلاص فى القول والعمل وأن يرزقنى حُسن الخاتمة، وأن يجمعنى بكم فى جنته إخوانًا على سُرر متقابلين. فجزاكم الله عنى خير الجزاء فى الدنيا والآخرة.

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار
محمود المصرى
(أبو عمار)

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

فإن الإسلام هو دين الوسطية بين الإفراط والتفريط ومن ثَم فإنه دين يخاطب الفطرة الإنسانية... ومن المعلوم أن المسلم لا يستطيع أن يعيش حياته كلها حزينًا كئيبًا، لا يعرف للبسمة والفرحة سبيلاً فإن الله أودع فى النفس الإنسانية صفة الضحك والبكاء ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾(٤) ولذا لما

---

(١) سورة آل عمران: آية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: آية: (١).

(٣) سورة الأحزاب: آية: (٧٠، ٧١).

(٤) سورة النجم: آية: (٤٣).

بلغ السمو الروحى ببعض أصحاب النبى ﷺ مبلغًا ظنوا معه أنه لابد للمسلم أن يُدير ظهره لكل مُتع الدنيا وأن يكون جادًّا صارمًا لا يضحك أبدًا، وأن يكون فى محراب العبادة ليل نهار.. وإذا بالنبى ﷺ يوضح لهم المنهج الوسط فى هذه المسألة فيقول: «**ساعة وساعة**» فإن الحياة إذا كانت جامدة فلن يستطيع المسلم أن يعطى فى الجوانب الأخرى... بل إن الساعة التى يُروِّح فيها المسلم عن نفسه بالتمتع بالمباحات فى حدود المعقول تكون عونًا له على عبادة الله وعلى خدمة دين الله - جل وعلا-.

* ومن هنا نعلم أن البسمة والسرور أمرٌ لابد منه للمسلم بين الحين والحين... ولأن يتفكَّه المسلم بقراءة أخبار الظُّرفاء ونوادرهم خيرٌ له من أن يُفرغ تلك الطاقة فى الأمور التى حرمها الله - جل وعلا-.

وكان على بن أبى طالب ؓ يقول: «روِّحوا القلوب، واطلبوا لها طرف الحكمة، فإنها تملُّ، كما تملُّ الأبدان».

وعن أسامة بن زيد ؓ قال: «روِّحوا القلوب تعى الذكر».

* ولقد ترددت كثيراً فى إخراج هذا المصنف - والذى هو بعنوان: (ساعة وساعة نوادر وعجائب) - إلى أن شرح الله صدرى بعد الاستخارة لإخراج هذا المصنف..

* ولن أقتصر فى هذا الكتاب المختصر على ذكر نوعٍ معين من النوادر والعجائب وإنما سأجعله كالمائدة التى يُوضع عليها أطعمة كثيرة قد اختلف مذاقها... أو كبستان قد امتلأ بشتَّى أنواع الزروع والأزهار؛ لنقطف من كل بستان زهرة.

* ولقد تم تقسيم هذا الكتاب إلى أربعة أبواب:

١- الباب الأول: الترويح والمزاح ما بين المحرم والمباح.

٢- الباب الثانى: قطوف وشذرات... وهو يتضمن بعض القصص

المتناثرة التى تبدأ من التوبة وتنتهى بالشوق إلى الجنة.

٣- **الباب الثالث**: قبس من المعجزات والكرامات.

٤- **الباب الرابع**: قبس من النوادر والعجائب.

* فأسأل الله - جل وعلا - أن يجعل هذا الكتاب سببًا لرسم البسمة على قلوب ووجوه كل المسلمين والمسلمات وأن يجعله عونًا لهم على النشاط فى العبادة وخدمة هذا الدين.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

الباب الأول

الترويح والمزاح
ما بين المحرم والمباح

منطلقات الإسلام
فى إقراره باللهو والترفيه

أول ما يلحظه الناظر فى أصول الشريعة الإسلامية وفروعها أنها عاملت الإنسان على أساس مراعاة غرائزه النفسية وحاجاته الجسدية، بحيث كفلت له قدرًا كافيًا محددًا لإشباعها مع تحديد الضوابط والمجالات لتصريفها وإمتاعها، ولم يكن الإسلام يومًا من الأيام، ذلك العدو المتسلط على طبيعة النفس البشرية، يحاربها ويقمعها؛ بل هو دين يتعامل مع النفس البشرية بحسب فطرتها السوية، يواكبها بدون انفلات وإطلاق، أو كبت وتضييق. لكنه دين وسط، والفضيلة دائمًا وسط بين رذيلتين. فالتوازن صبغة الدين الإسلامى على امتداد شرائعه وتقنيناته، يسير وسهل، لا يهدف إلى تضييع طاقات الإنسان، أو إهمالها، ولكن يدعوه إلى استثمارها فى إطار مطبوع بالاعتدال، ومصون من الإسراف، أو الإفراط، أو التفريط[١].

* * *

(١) قضايا اللهو والترفيه بين الحاجات النفسية والضوابط الشرعية/ مادون رشيد (ص: ١٢١).

شواهد من السيرة النبوية على مشروعية الترفيه

ثبت بالأسانيد الصحاح ممارسة المصطفى ﷺ لجوانب متعددة من ألوان الترفيه والترويح واللهو المباح.

فقد كان ﷺ يمزح ويداعب، ولكن لا يقول إلا حقًّا [١]، وكان يسابق، وينظر للآخرين يستروحون فيبش فى وجوههم ويوافقهم.

فعن سماك بن حرب قال: قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: «نعم، كان طويل الصمت، وكان أصحابه يتناشدون الشعر عنده، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون، فيتبسم معهم إذا ضحكوا»[٢].

كما أذن ﷺ للحبشة أن يلعبوا بسهامهم وحرابهم على عادتهم فى مسجده الشريف، وأذن لعائشة أن تنظر إليهم وهو يقول: «**دونكم يا بنى أرفدة**»[٣].

كما أباح ﷺ الغناء للنساء وضرب الدف فى المناسبات وأيام الأعياد؛ وعلله بيسر الإسلام وسماحته، كما حث على زواج الأبكار وعلله بما يكون من الملاعبة بين البكر وزوجها.

سأل رسول الله ﷺ **جابر بن عبد الله قائلاً: «ما تزوجت؟»** فأجاب جابر بن عبد الله: تزوجت ثَيِّبًا، قال ﷺ: «**فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك**»[٤].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٩٠) كتاب البر والصلة وأحمد (٨٥٠٦) وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٠٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٩٤٩) كتاب العيدين، ومسلم (١٩) كتاب صلاة العيدين.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٧٩) كتاب النكاح، ومسلم (١٠٨٨) كتاب الرضاع.

صورة من مزاح النبى ﷺ

* ولكى تكتمل الأسوة والقدوة فى النبى محمد ﷺ فلقد استوعبت أحواله كل أحوال البشر.

فلقد كانت سيرة المصطفى ﷺ أنموذجًا متكاملاً للشخصية المسلمة المثالية من جميع الجوانب والمكونات.

(فهو فى خلوته يصلى ويطيل الخشوع والبكاء؛ حتى تتورم قدماه، وهو فى الحق لا يبالى بأحد فى جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بَشَرٌ سَوى، يحب الطيبات، ويبش ويبتسم، ويداعب، ويمزح، ولا يقول إلا حقًّا ﷺ)(١).

* هكذا كان النبى ﷺ أكثر الناس تبسمًا وضَحكًا فى وجوه أصحابه وتَعَجُّبًا مما تحدثوا به وخلطًا لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نَواجذه(٢).

بل وفى الصحيحين من حديث جرير من حديث علىّ: يضحك مما تضحكون منه، ويتعجب مما تعجبون منه، . . . ومسلم من حديث جابر بن سَمُرة: كانوا يتحدثون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم(٣).

وتأمل معى ما قاله هذا الصحابى الجليل:

ففى الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلىّ رضي الله عنه أنه قال: ما حجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآنى إلا تبسم فى وجهى ولقد شكوت إليه أنى لا أثبُتُ على الخيل، فضرب بيده فى صدرى وقال: «**اللهم ثبِّته واجعلهُ هاديًا مهديًّا**»(٤).

---

(١) الحلال والحرام. د / يوسف القرضاوى (ص: ٢٧٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذى فى الشمائل، وصححه الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (ح ١٩٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٦٧٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة.

* روى أن امرأة عجوزًا جاءته تقول: يا رسول الله، ادع الله لى أن يُدخلنى الجنة، فقال لها: «**يا أم فلان! إن الجنة لا يدخلها عجوز**»(١).

وانزعجت المرأة وبكت، ظَنًّا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بيَّن لها غرضه: أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل يُنشئها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابة بكرًا، وتلا عليها قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا**﴾(٢).

* وعن أنس أن رجلاً استحمل رسول الله ﷺ - أى طلب منه دابة يحمله عليها- فقال: «**أنا حاملك على ولد ناقة**» فقال: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النوق؟**»(٣).

* وعن أبى هريرة قال: قالوا: يا رسول الله! إنك تداعبنا، قال: «**إنى لا أقول إلا حقًّا**»(٤).

* وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان فى بيت عائشة، فبعث إليه بعض نسائه بقصعة، فدفعتها عائشة فألقتها وكسرتها، فجعل النبى ﷺ يضم الطعام ويقول: «**غارت أمكم**». فلما جاءت قصعة عائشة بعث بها إلى صاحبة القصعة التى كسرتها وأعطى عائشة القصعة المكسورة(٥).

* وعن أنس بن مالك قال: كان ابن لأم سليم يقال له: أبو عمير، كان النبى ﷺ ربما مازحه إذا جاء، فدخل يومًا يمازحه، فوجده حزينًا، فقال: «**ما لى أرى أبا عمير حزينًا؟**» فقالوا: يا رسول الله، مات نغره الذى كان

(١) صحيح: أخرجه الترمذى فى الشمائل (ص: ١٩٧)، والبيهقى فى البعث (٣٨٢)، والبغوى فى الأنوار (١/ ٢٥٨/ ٢٢٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩٨٧).

(٢) سورة الواقعة: آية: (٣٥-٣٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٨) كتاب الأدب، والترمذى (١٩٩١) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٣٤٠٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٤٨٨٦)، ومختصر الشمائل (٢٠٣).

(٤) حسن: رواه الترمذى (١٩٩٠) كتاب البر والصلة، وأحمد (٨٥٠٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٧٢٦).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

يلعب به، فجعل يناديه ﷺ: «**يا أبا عمير! ما فعل النغير!**»[(١)].

* وعن أنس أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه: زاهر بن حرام، قال: وكان النبى ﷺ يحبه وكان دميمًا، فأتاه النبى ﷺ يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصر، فقال: أرسلنى، من هذا؟ فالتفت فعرف النبى ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه، وجعل النبى ﷺ يقول: «**من يشترى العبد؟**»، فقال: يا رسول الله إذًا والله تجدنى كاسدًا[(٢)]، فقال النبى ﷺ: «**ولكن عند الله لست بكاسد- أو قال: لكن عند الله غالٍ**»[(٣)].

موقف طريف

وها هو موقف من أطرف المواقف التى دارت بين النبى ﷺ وبين أحد الصحابة رضي الله عنهم.

- ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه **قال**: أتى رجلٌ النبى ﷺ فقال: هلكت، وقعت على أهلى فى رمضان، قال: «**أعتقْ رقبة**». قال: ليس لى. قال: «**فصم شهرين متتابعين**». قال: لا أستطيع. قال: «**فأطعم ستين مسكينًا**». قال: لا أجد. فأُتى بعرق[(٤)] فيه تمرٌ، فقال: «**أين السائل؟ تصدق بها**». قال: على أفقر منى؟ والله ما بين لابتيها[(٥)] أهلُ بيتٍ أفقر منا.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٢٠٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٥٠) كتاب الأدب.

(٢) كاسدًا: من الكساد وهو العطل والبوار.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١٢٢٣٧)، والتِّرْمِذِى فى الشَّمائل (٢٣٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى مختصر الشمائل (٢٠٤).

(٤) عرق: هو المكتل ويقال إنه يسع خمسة عشر صاعًا، والصاع خمسة أرطال وثلث كما هو رأى الشافعى أو ثمانية كما هو قول أبى حنيفة.

(٥) لابتيها: اللابة: الأرض ذات الحجارة السود.

فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه، قال: «**فأنتم إذًا**»(١).

وموقف آخر

وها هو موقف آخر يوضح لنا كيف كان النبى ﷺ سهلاً لينًا، لا تفارقه البسمة لكنه كان يضعها فى موضعها.

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عاليةً أصواتُهن على صوت النبى ﷺ، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبى ﷺ، فدخل والنبى ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، بأبى أنت وأمى. فقال ﷺ: «**عجبتُ من هؤلاء اللاتى كُن عندى، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب(٢)**».

فقال: أنت أحق أن يهبن يا رسول الله. ثم أقبل عليهن فقال: يا عَدوَّات أنفسهن، أتهبننى ولم تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: إنك أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: «**إيه يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا(٣) إلا سلك فجًّا غير فجك**»(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفى سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر من بنات لعائشة لُعَب، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**»، قالت: بناتى. ورأى بينهن فرسًا لها جناحان من رقاع، فقال: «**ما هذا الذى أرى وسطهن؟**». قالت: فرس. قال: «**وما هذا**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨٧) كتاب الأدب، ومسلم (١١١١) كتاب الصيام.

(٢) تبادرن الحجاب: أى: اختبأن وراء الستارة.

(٣) فجًّا: الفج: هو الطريق الواسع.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

الذى عليه؟»، قالت: جناحـان. قال: «**فرس له جـناحان؟!**»، قالـت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه[١].

هذه بتلك

بل وصل الأمـر إلى درجة رفـيـعة من الحلم والتـواضع حـتى إن النبى ﷺ كان يسابق أمنا عـائشة رضي الله عنها لتعلم يقينًا أن النبى ﷺ لن يحـرمها من اللطف والعطف والرعاية فـهى صفات راسخة فـى قلب الحبيب ﷺ الذى ما أرسله الله إلا رحمة للعالمين.

عن عـائشة رضي الله عنها قـالت: كنت مع رسـول الله ﷺ فى بعض أسفـاره، وكنت جارية، لم أحمل اللحم ولم أبدن.

فقال رسـول الله ﷺ للناس: «**تقدمـوا، تقدمـوا**» فتقدموا، ثم قـال: «**يا عائشة تعـالى حتى أسابقك**» فسابقتـه فسبقته، فـسكت، حتى إذا حملت اللحم ونسيت خـرجت معه فـى بعض أسفاره، فـقال للناس: «**تقـدموا**»، فتقدموا، ثم قال لى: «**تعالى أسابقك**»، فسابقته فسـبقنى، فجعل يضحك ويقول: «**هذه بتلك**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبى ﷺ بخزيرة قد طبختـها له، فقلت لسـودة -والنبى ﷺ بينى وبـينهـا:- كُلى، فـأبت، فـقلت: لتـأكلن، أو لأُلطخَنَّ وجهك، فأبت فـوضعتُ يدى فى الخزيرة فطليت وجههـا، فضحك النبى ﷺ فوضع بيده لها وقال لها: «**الطخى وجهها**»، فضحك النبى ﷺ

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٣٢) كتاب الأدب، والنَّسائى فى الكبرى تحفة الأشراف (١٢/ ١٧٧٤٢)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٢٦٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٢٥٧٤٥)، صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣١).

فمرَّ عمر فقال: يا عبد الله يا عبد الله! فظن أنه سيدخلُ فقال: **«قوما فاغسلا وجوهكما»**. فقالت عائشة: فمازلت أهاب عُمر لهيبة رسول الله ﷺ[١].

اللهم حوالينا ولا علينا

وها هو موقف آخـر طريف يحدث للنبى ﷺ فقد جـاءه أعرابى وهو ﷺ يخطب الجمعة فطلب من النبى ﷺ أن يستـسقى لهم فقد أجدبت الأرض فدعا النبى ﷺ فنزل المطر أسبوعًا كاملاً لا ينقطع... وإذا بنفس الرجل يأتى إلى النبى ﷺ فى الجمعة التى تليها يطلب منه أن يسأل الله -جل وعلا- أن يحبس عنهم المطر فقد غرقوا... فضحك النبى ﷺ.

ففى الصحيحين: عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جـاء إلى النبى ﷺ يوم الجمـعة وهو يخطب بالمدينة فقـال: قحط المطر، فاسـتسق ربك، فنظر إلى السماء وما نرى من سـحاب، فاستسقى، فنشأ السـحاب بعضه إلى بعض، ثم مُطروا حتى سالت مَثَاعب[٢] المدينة، فمازالت إلى الجمعة المقبلة ما تُقلع ثم قام ذلك الرجل، أو غـيره -والنبى ﷺ يخطب، فقال: غـرقنا، فادع ربك يحبسهـا عنا، فضحك، ثم قال: **«اللهم حوالينا ولا علينا»**- مرتين أو ثلاثًا، فجعل السحاب يتصدع عن المدينة يمينًا وشمالاً يُمطر ما حوالينا، ولا يُمطر فيها شىء، يُريهم الله كرامة نبيه ﷺ وإجابة دعوته[٣].

* * *

---

(١) صحيح: أخرجه أبو يعلى (٤٤٧٦)، وابن عساكر (٤٤/ ٩٠)، وقال الهيثمى (٤/٣١٦): رواه أبويعلى، ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣١٣١).

(٢) المثاعب: جمع مَثْعَب - بفتح أوله وثالثه- وهو مسيل الماء.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٩٣٣) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٩٥) كتاب صلاة الاستسقاء.

كان يبتسم في أحلك الأحوال

وكان النبى ﷺ يبتسم حتى فى أحلك الأحوال.. فها هو ﷺ فى أرض الجهاد يبتسم ويضحك مع أصحابه؛ لينسيهم ما بهم من جراحات.

روى البخارى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لما كان رسول الله ﷺ بالطائف قال: إنا قافلون غدًا إن شاء الله، فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: لا نبرحُ، أو نفتحها، فقال النبى ﷺ: «**فاغدوا على القتال**» فغدوا فقاتلوهم قتالاً شديدًا، وكثر فيهم الجراحات، فقال رسول الله ﷺ: «**إنا قافلون غدًا إن شاء الله**» قال: فسكتوا... فضحك رسول الله ﷺ(١).

كان يتعرض للإيذاء ويبتسم!!

بل كان النبى ﷺ يتعرض للإيذاء أحيانًا فيبتسم فى وجه من يؤذيه؛ ليتألف قلبه فقد كان النبى ﷺ لا يغضب لنفسه أبدًا وإنما كان يغضب لله.

وها هو موقف من المواقف المؤثرة التى تحكى لنا كيف كان النبى ﷺ لا يغضب لنفسه أبدًا.

ففى الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجرانى غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه جبذة

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣٢٥) كتاب المغازى، ومسلم (١٧٧٨) كتاب الجهاد والسير.

شديدة، قـال أنس: فنظرت إلى صفحـة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت فيـها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مُر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء(١).

النبى ﷺ يحض الأمة على البشاشة والكلمة الطيبة

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ يحض الأمة كلها على البشاشة وطلاقة الوجوه والكلمة الطيبة؛ لتتآلف القلوب وتتصافح.

فها هو ﷺ يقول -كما عند مسلم-: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»(٢).

ويخبر ﷺ أنَّ مـجرد البسمة فى وجـه أخيك المسلم صدقة، فـيقول ﷺ : «**تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة...**»(٣).

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٨٨) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥٧) كتاب الزكاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) حسن: رواه الترمذى (١٩٥٦) كتـاب البر والصلة، وحسنه العلامة الألبـانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٧٢).

قبسات من ترفيه الصحابة وترويحهم

كان الصحابة - رضوان الله عليهم- يعكسون نموذج المسلم الموازن في حياته بين حاجيات الروح ومطالب الجسد، مستعينين في الحفاظ على هذا الاتزان بالاقتداء والتأسي بشخص الرسول ﷺ، مستلهمين من سيرته أخلاقيات الترفيه والترويح المنضبطة بالقدر المناسب البعيد عن الإفراط المفوت لوظيفة الإنسان المقدسة من وجوده من جهة، ومن التفريط المرهق والمعوق للنفس من مواصلة السعي في درب الكمالات والارتقاء الروحي في درجات الإيمان والإحسان من جهة أخرى...

وأقتطف فيما يلي قطوفًا من أقوالهم ومقاطع من حياتهم للشهادة على اعتدالهم التام وترفيههم الرفيع:

* من أقوال الإمام علي رضي الله عنه: (أجموا[1] هذه القلوب، والتمسوا لها طرائف الحكمة، فإنها تملُّ كما تمل الأبدان)[2].

* وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (أريحوا القلوب، فإن القلب إذا أُكره عمي).

* وقال أيضًا: (إن للقلوب شهوة وإقبالاً، وفترة وإدبارًا، فخذوها عند شهوتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها)[3].

* وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لا بأس بالمفاكهة يخرج بها الرجل عن حد العبوس)[4].

---

(١) أجموا: أريحوا، يقال: أجم نفسك يومًا أو يومين أي أرحها. انظر لسان العرب: (١٢/١٠٦).

(٢) انظر ابن عبد البر النمري، بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ١١٥).

(٣) انظر ابن عبد البر النمري، بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ١١٥).

(٤) ذكره أبو البركات في كتابه «المراح في المزاح» (ص: ٢٤، ٢٩).

* وعن أبى نجيح، عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: (إنى ليعجبنى أن يكون الرجل فى أهله مثل الصبى، فإذا بُغى منه حاجة وُجد رجلاً)[١].

* وعن أبى الدرداء ﷺ قال: (إنى لأستجم نفسى بالشىء من الباطل غير المحرم فيكون أقوى لها على الحق)[٢][٣].

* ورُوى أن النخعى -رحمه الله- سُئل عن أصحاب رسول الله ﷺ هل يضحكون ويمزحون؟ فقال: نعم والإيمان فى قلوبهم مثل الجبال الرواسى.

* وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: (لم يكن أصحاب رسول الله منحرفين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الأشعار فى مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحدهم على شىء من دينه دارت حماليق عينيه)[٤].

* وعن بكر بن عبد الله المزنى قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال)[٥].

* وعن نافع مولى عبد الله بن عمر قال: (كان عبد الله بن عمر يمازح مولاة له فيقول لها: خلقنى خالق الكرام، وخلقك خالق اللئام، فتغضب وتصيح وتبكى ويضحك عبد الله بن عمر)[٦].

* * *

(١) ذكره أبو البركات فى كتابه «المراح فى المزاح»، (ص: ٢٤، ٢٩).
(٢) ذكره ابن عبد البر فى «بهجة المجالس» (ص: ١١٥).
(٣) قضايا اللهو والترفيه (ص: ١٣٠-١٣٢) بتصرف.
(٤) قال الحافظ: أخرجه ابن أبى شيبة بسند حسن. [فتح البارى ١٠/٥٥٦]، وأقره الشيخ الألبانى فى الصحيحة (١/٧٢١).
(٥) صحيح: أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٤١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٣٥).
(٦) ذكره أبو البركات فى «المراح فى المزاح» (ص: ٣١).

الترويح عند الفقهاء والمحدثين

اعتنى العلمـاء بهذا الجانب النفسى من شـخصية الإنسـان، ولم يغفلوه وسط مهامهم العلمـية، ومسؤولياتهم الاجتماعـية التى كانت تكتنف معظم أوقاتهم؛ فكانوا يثيرونه من وقت لآخر، وعـيًا منهم بضرورته فى مثل تلك الأوقات، لقناعتهم بحاجة النفس لقسط من الراحـة والاستجمام؛ لتستأنف جدها وحزمها على الوجه الأكمل والشكل المطلوب(١).

فلا عـجب إذا جـرت العادة عند المحـدثين فى ختم مـجالس الحـديث الشريف والإملاء بشىء من الحكايات والنوادر والإنشادات لأسانيدها.

فـقد عـقد الخطيب البـغـدادى فى كتـابه «الجامع لأخـلاق الراوى وآداب المستمع» بابًا بعنوان «ختم المجالس بالحكايات، ومستحسن النوادر والإنشادات» وأورد فيه أثر على رضي الله عنه: (روحوا القلوب وابتغوا لها طرق الحكمة)(٢).

وممن اشتهـر بالدعابة والفكاهة من المحدثين: عامر بن شرحـبيل الشعبى؛ أورد له ابن الجوزى فى كتابه «أخبار الظراف والمتماجنين» جملة من فكاهاته.

ومنهم كذلك سليمان الأعمش(٣). قال ابن خلكان: (كان لطيف الخلق مَزَّاحًا)(٤).

---

(١) وقد شهد بذلك الإمام ابن الجوزى حيث ذكر «أن نفوس العلـماء تسرح فى مباح اللهو الذى يكسبها نشاطًا للجد فكأنها من الجد لم تزل» وأنشد من شعر أبى فراس:

أروح القلب ببعض الهـزل   تجاهـلاً منى، بغير جهـل
أمزح فيه مزح أهل الفضل   وللمزح أحيانًا جلاء العقل

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب المستمع: (٢/ ١٢٩).

(٣) سليمـان بن مهران الأسدى الكاهـلى أبو محمد الكوفى ثـقة حافظ عارف بالقـراءة ورع ،مات سنة ١٤٧ هـ [انظر التقريب: ١/ ٣٣١].

(٤) انظر وفيات الأعيان: (٢/ ٤٠٦).

كما ألَّف الفقهاء فى هذا الباب مؤلفات متعددة نذكر منها على سبيل المثال:

- مؤلفات ابن الجوزى؛ كأخبار الحمقى والمغفلين، وأخبار الأذكياء، وأخبار الظراف والمتماجنين، مع ما لنا من تحفظات على بعض ما فى هذه الكتب[١].

آداب المزاح

١- ألا يكون المزاح فيه تجريح لأحدٍ من الناس.

٢- أن يكون المزاح لا كذب فيه.

فقد كان النبى ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا ... بل قال النبى ﷺ: **«أنا زعيم ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا...»**[٢].

وحذر النبى ﷺ من أن يكذب الرجل ليُضحك من حوله فقال ﷺ: **«ويلٌ للذى يُحدث فيكذب؛ ليُضحك به القوم ويلٌ له، ويلٌ له»**[٣].

٣- أن يكون المزاح لقصد التسلية أو الترفيه عن النفس، وإيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين.

كان ابن سيرين الإمام العلم المحدث، إذا اشتدَّ الضحى ينزل إلى سوق البصرة، فيسلم على الناس ويمازحهم ويوزع البسمات على المسلمين، ولذلك أحبوه، وحشروا فى درسه، وتعلقت به القلوب، فإن القلوب لا تحب الفظّ الغليظ ولو كان تقيًّا، بل تحب الدعوب القريب من الناس.

* * *

(١) قضايا اللهو والترفيه (ص: ١٣٤، ١٣٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (١٩٥١٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٣٦).

حدُّ المزاح

لقد جاء فى كتاب «المراح فى المزاح» لبدر الدين أبى البركات محمد الغِزِّى بأنه: ينُدب إلى المزاح بين الإخوان والأصدقاء والخلان، لما فيه من ترويح القلوب، والاستئناس المطلوب، بشرط أن لا يكون فيه قذف، ولا انهماك فيه يُسقط الحشمة ويقلل الهيبة، ولا فحش يورث الضغينة، ويحرّك الأحقاد الكمينة.

ثم يقول: ويُذم المزاح إذا وصل إلى حد المثابرة والإكثار.

الناس فى المزاح على ثلاثة أقسام

١- القسم الأول: من يقضى ليله ونهاره فى الضحك والمزاح.. فهذا النوع مذموم؛ لأنه بذلك خرج عن حد الاعتدال ودخل فى دائرة الإسراف والإكثار من المزاح الذى نهى عنه رسول الله ﷺ، فقد قال ﷺ: «**لا تُكثر الضحك فإن كثرة الضحك تُميت القلب**»[(١)].

٢- القسم الثانى: هو العَبوس الذى لا ترى البسمة على وجهه أبدًا... وهذا أيضًا مذموم؛ لأنه يكون سببًا فى نُفرة الناس وبُغضهم له ويزداد الأمر كراهة إذا كان هذا الإنسان ممن يتصدرون للدعوة إلى الله - جل وعلا... وهذا الصنف نوصيه بوصية النبى ﷺ حيث قال: «**تبسُّمك فى وجه أخيك لك صدقة ...**»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٩٣) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٠٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى فى الأدب المفرد (٤١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٣٥).

٣- القسم الثالث: هم أهل الوسطية الذين يسيرون على هدى النبى ﷺ . . . . فقد كان النبى ﷺ يمزح أحيانًا ولا يقول إلا حقًّا.

المزاح المباح

نهج الإسلام المنهج الواقعى فى تقعيد الأصول والمبادئ التى يقيم عليها شريعته ونظرته للأمور. فكان تجاوبه مع طبيعة الإنسان أحد الركائز التى بُنيت عليها أحكامه وتشريعاته، فاعتبر فى الإنسان جانبه الروحى والجسدى، وجانبه المعنوى والمادى.

فالإنسان فى تصوّير الإسلام هو ذلك الكائن المزدوج الطبيعة، المكون من قبضة من طين الأرض، ونفخة من روح الله، ممتزجتين مترابطتين غير منفصلتين، فلا هو قبضة من طين الأرض خالصة، فيهبط إلى مستوى الجماد أو الحيوان، ولا نفخة روح خالصة فيؤله أو يتأله، إنما هو مزاج من الطين، ونفخة من روح الله يكوِّنان هذا الكيان.

ولما كانت الفكاهة تكاد تكون ضرورة نفسية وعقلية يميل الإنسان بطبعه إليها حيث لا يحتمل الجد المتواصل؛ لأن ذلك يحمل العقل على الجمود والجفاف، أقر بها الإسلام واعترف بحاجة إشباعها على غرار الحاجيات النفسية الأخرى.

وقد أبرز ابن الجوزى فى مقدمة كتابه «أخبار الحمقى والمغفلين» ثلاثة دوافع أساسية لتأليف مؤلفه: (ثالثها: أن يروح الإنسان قلبه بالنظر فى سير هؤلاء المبخوسين حظوظًا يوم القسمة؛ فإن النفس قد تمل من الدؤوب فى الجد، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو..)[(١)][(٢)].

(١) أخبار الحمقى والمغفلين (ص: ١٦).
(٢) قضايا اللهو والترفيه (ص: ١٩٣، ١٩٤).

المزاح المحرم

لقد حرص الإسلام إلى أقصى الحدود على صيانة العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامى من الانقطاع والاضطراب، وسعى إلى تمتين روابط الأخوة والتواصل بين المسلمين باستئصاله لجميع بذور الفرقة والتنازع وسد كل المنافذ المؤدية إلى العداء والتهاجر.

فجاءت التشريعات المؤكدة على تحريم الظلم والغش والغِيبة والنميمة والتجسس والسخرية والاستهزاء بالآخرين وسائر أسباب الفتنة والشقاق.

ولا ريب أن المزاح إذا وضع فى غير محله ومواضعه، ورَّث الضغينة، وإن داوم عليه الإنسان وأفرط فيه كان لذلك عواقب مضرة بالفرد والمجتمع معًا، وانعاكسات تؤثر سلبًا على طبيعة التلاحم والتآزر فى ما بين أفراد الأمة الواحدة[١].

قال الحافظ: (والمنهى عنه، ما فيه إفراط أو مداومة عليه؛ لما فيه من الشغل عن ذكر الله والتفكر فى مهمات الدين، ويؤول كثيراً إلى قسوة القلب والإيذاء والحقد وسقوط المهابة والوقار)[٢].

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (من مزح؛ استخف به)[٣].

* وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (لا يبلغ رجل حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق، والكذب فى المزاح)[٤].

---

(١) قضايا اللهو والترفيه (ص: ٢٠٠).

(٢) فتح البارى (١٠/ ٥٤٣).

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص: ٤٤٣).

(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص: ٤٤٣). وقال محققه: سنده صحيح.

* **وقال** سعيد بن العاص[1] رضي الله عنه: (يا بنى! لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا تمازح الدنى، فيجترئ عليك)[2].

وقال الحسين بن عبد الرحمن - رحمه الله-: (كان يقال: المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للصداقة)[3].

* **وقال** محمد بن المنكدر[4]: قالت لى أمى: يا بنى! لا تمازح الصبيان فتهون عندهم)[5].

* * *

(١) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشى، كان له يوم مات النبى ﷺ تسع سنين. مات سنة ٥٣ هـ (انظر الإصابة: ٣/ ٩٨).

(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٤٤٤). قال محققه: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «الصمت»: (ص٤٤٧).

(٤) هو ابن عبد الله بن الهدير التيمى المدنى، ثقة فاضل، من الثالثة مات سنة ٣٠ هـ أو بعدها. انظر التقريب: (٢/ ٢١٠).

(٥) ذكره الغزالى فى «الإحياء»: (٣/ ١٢٨).

صــور مــن المزاح المحــرم

* من صور المزاح المحرم:

أولاً: السخرية والاستهزاء:

لا يتحول النظام الإسلامى من وحدة متماسكة، وإطار واحد، يوحد فى ما بين شرائح المجتمع المختلفة إلى فرق متناحرة متنازعة، إلا بتأثير السخرية والاستهزاء، واحتقار فريق لفريق، فمن ثَمَّ يحدث الثلم الواسع فى بناء المجتمع الإسلامى، ويكون النظام الطبقى الذى يستغله أعداء الإسلام أسوأ استغلال.

والمتأمل فى الآية التى تنهى عن سخرية المسلمين بعضهم من بعضهم، يدرك عظمة هذا المنهج القرآنى فى بناء وحدة المسلمين وفى تحصينهم ضد وباء الفرقة والتمزق.

يقول تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[١].

قال الغزالى: (ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة فى الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزئ به لم يُسمَّ غيبة، وفيه معنى الغيبة)[٢].

(١) سورة الحجرات - آية: (١١).

(٢) الإحياء (٣/ ١٣١).

وفى حضوره ﷺ، انكشفت ساق عبد الله بن مسعود -وكانت دقيقة هزيلة- فضحك منها بعض الحاضرين، فقال النبى ﷺ: «**أتضحكون من دقة ساقيه، والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من جبل أُحد**»(١).

ولقد سجل القرآن الكريم عاقبة الساخرين والمستهزئين من المؤمنين وأخبر بانعكاس الوضعية يوم القيامة بصورة يصبح الساخرون موضع سخرية واستهزاء من طرف عباده المستضعفين فى هذه الدنيا، قال الحق سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ**﴾(٢).

ثانيًا: اللمز والتنابز بالألقاب:

ومعنى اللمز فى اللغة: الوخز والطعن، فكأن من يعيب الناس إنما يوجه إليهم وخزة سيف، أو طعنة برمح وهذا حق، بل ربما كانت وخزة اللسان أشد وأنكى؛ وقد قيل:

جراحات السنان لها التئام

ولا يلتام ما جرح اللسان(٣)

قال القرطبى: (هذه الآية: ﴿**وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**﴾(٤) مثل قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾(٥) أى: لا يقتل بعضكم بعضًا؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة، فكأنه بقتل أخيه قتل نفسه، وكقوله تعالى: ﴿**فَسَلِّمُوا عَلَىٰ**

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠، ٤٢١)، وكذا الطيالسى (٣٥٥)، وابن سعد (٣/ ١٥٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٥٠).

(٢) سورة المطففين - الآيات: (٢٩-٣٤).

(٣) الحلال والحرام. د / يوسف القرضاوى (ص: ٢٩٢).

(٤) سورة الحجرات - آية: (١١).

(٥) سورة النساء - آية: (٢٩).

أَنفُسِكُمْ﴾(١) يعنى: يسلم بعضكم على بعض)(٢).

ومن اللمز المحرم: التنابز بالألقاب، وهو التنادى بما يُساء أخوه منها ويكره، مما يحمل سخرية ولمزًا، ولا ينبغى لإنسان أن يسوء أخاه، فيناديه بلقب يكرهه ويتأذى منه، فهذا مدعاة لتغير النفوس، وعدوان على الأخوة ومنافاة للأدب والذوق الرفيع(٣).

ثالثًا: ترويع المسلم وإفزاعه:

ومن ألوان المزاح المحرم: الإشارة بالسلاح فى وجه مسلم ؛ أيًّا كان السلاح؛ سكينًا أم سيفًا، أم رمحًا، أم بندقية، أم غير ذلك من الآلات الحادة التى تتخذ للقتال أو القطع

فعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى جمل معه فأخذه، ففزع، فقال النبى ﷺ : «**لا يحل لمسلم أن يُروِّع مسلمًا**»(٤).

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»(٥).

ففى الحديث تأكيد لعموم النهى، وشموله لمن يتهم فيه ومن لا يتهم، كالأخ الشقيق الذى لا يتهم الإنسان بعداوته، ويشمل الهزل والجد؛ لأن ترويع المسلم وتخويفه حرام بكل حال، ولَعْن الملائكة لفاعل هذا دليل على عظم التحريم.

(١) سورة النور – آية: (٦١).

(٢) تفسير القرطبى (١٦/ ٣٢٧).

(٣) الحلال والحرام. د / يوسف القرضاوى (ص: ٢٩٢).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٠٤) كتاب الأدب، وأحمد (٢٢٥٥٥)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٦٥٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦١٦) كتاب البر والصلة والآداب.

وقد علل الرسول ﷺ تحريم هذا الفعل بقوله: **«فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع**[١] **فى يده، فيقع فى حفرة من النار»**[٢].

قال العلماء: معناه: إن الشيطان قد يحمل المازح أو الهازئ أو اللاعب على الفساد والتطاول دون أن يدرى، فما يشعر وهو غارق فى حمى مزاحه إلاَّ وقد أسرف فى إشارته حتى تجاوزت حدها، فأصابت أخاه، وسبق السيف العزل، أو لعل قوى الشر فى نفسه تثور من رقدتها وكمونها، بفعل الشيطان وكيده، فيمد يده إلى ما لا يقصده فيكون السوء، وما يفضى إلى المحظور محظور، ولذلك نهى الفقهاء عن مثل هذا العمل فى الجد، أو فى الهزل.

رابعًا: الكذب لإضحاك الناس:

قال ﷺ: **«أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان مُحقًّا، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت فى أعلى الجنة لمن حسنً خُلقه»**[٣].

وعن بهز بن حكيم عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: **«ويل للذى يُحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب! ويل له! ويل له!»**[٤].

فالحديث نص صريح مؤكد على حرمة اختلاق أفعال وأقوال ذريعة لإضحاك الناس.

* قال المناوى فى الحكمة من تكرار «الويل» فى الحديث: (كرره إيذانًا

---

(١) ينزع: يرمى ما فى يده ويحقق ضربته ورميته.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٧٢) كتاب الفتن، ومسلم (٢٦١٧) كتاب البر والصلة والآداب.

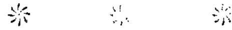
(٣) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٤٩٩٠) كتاب الأدب، والترمذى (٢٣١٥) كتاب الزهد، وأحمد (١٩٥١٩)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧١٣٦).

بشدة هلكته؛ وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم، وجماع كل فضيحة، فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذى يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة، كان أقبح القبائح، ومن ثَمَّ قال الحكماء: إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة)[١].

والحكمة من هذا المنع أنه يجر إلى وضع أكاذيب ملفقة على أشخاص معينين يؤذيهم الحديث عنهم، كما أنه يعطى ملكة التدرب على اصطناع الكذب وإشاعته فيختلط فى المجتمع الحق بالباطل والباطل بالحق.

ومن هذا المنطلق حرم الإسلام الكذب على وجه العموم وتوعد المتخلق به عاقبة سوء، فقد روى عنه ﷺ من حديث ابن مسعود: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقًا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**» .



(١) فيض القدير: (٦/ ٣٦٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٣٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٧) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) قضايا اللهو والترفيه (ص: ٢٠٥-٢١١) بتصرف.

الباب الثاني

قطوف وشذرات

التوبة الصادقة

كان يقطن مدينة الرياض، يعيش فى ضياع، ولا يعرف الله إلا قليلاً، منذ سنوات لم يدخل المسجد، ولم يسجد لله سجدة واحدة، ويشاء الله -عز وجل- أن تكون توبته على يد ابنته الصغيرة!

يروى القصة فيقول:

كنت أسهر حتى الفجر مع رفقاء السوء فى لهو ولعب وضياع تاركًا زوجتى المسكينة، وهى تعانى من الوحدة والضيق والألم، ما الله به عليم، لقد عجزت عنى تلك الزوجة الصالحة الوفية، فهى لم تدخر وسعًا فى نصحى وإرشادى ولكن دون جدوى.

وفى إحدى الليالى، جئت من إحدى سهراتى العابثة، وكانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحًا، فوجدت زوجتى وابنتى الصغيرة وهما تغطان فى سُبات عميق، فاتجهت إلى الغرفة المجاورة لأكمل ما تبقى من ساعات الليل فى مشاهدة بعض الأفلام الساقطة من خلال جهاز الفيديو، تلك الساعات التى ينزل فيها ربنا - عز وجل-، فيقول: «هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه سؤله؟ . .».

وفجأة، فُتح باب الغرفة، فإذا هى ابنتى الصغيرة التى لم تتجاوز الخامسة، نظرت إلىَّ نظرة تعجب واحتقار، وبادرتنى قائلة: عيب عليك يا والدى اتق الله (رددتها ثلاث مرات)، ثم أغلقت الباب وذهبت، أصابنى ذهول شديد، فأغلقت جهاز الفيديو، وجلست حائرًا، وكلماتها لا تزال تتردد فى مسامعى وتكاد تقتلنى، فخرجت فى إثرها، فوجدتها قد عادت إلى فراشها، . . . أصبحت كالمجنون، لا أدرى ما الذى أصابنى فى ذلك

الوقت وما هى إلا لحظات حتى انطلق صوت المؤذن من المسجد القريب؛ ليمزق سكون الليل الرهيب، مناديًا لصلاة الفجر.

توضأت، وذهبت إلى المسجد، ولم تكن لدىَّ رغبة شديدة فى الصلاة، وإنما الذى كان يشغلنى ويقلق بالى كلمات ابنتى الصغيرة.

وأقيمت الصلاة، وكبر الإمام، وقرأ ما تيسر له من القرآن، وما إن سجد وسجدت خلفه ووضعت جبهتى على الأرض حتى انفجرت ببكاء شديد، لا أعلم له سببًا، فهذه أول سجدة أسجدها لله - عز وجل- منذ سبع سنين.

كان ذلك البكاء فاتحة خير لى، لقد خرج مع ذلك البكاء كل ما فى قلبى من كفر ونفاق وفساد، وأحسست بأن الإيمان بدأ يسرى بداخلى.

وبعد الصلاة جلست فى المسجد قليلاً، ثم رجعت إلى بيتى، فلم أذق طعم النوم حتى ذهبت إلى العمل، فلما دخلت على صاحبى استغرب حضورى مبكرًا، فقد كنت لا أحضر إلا فى ساعة متأخرة بسبب السهر طوال ساعات الليل، ولما سألنى عن السبب أخبرته بما حدث لى البارحة، فقال: احمد الله أن سخر لك هذه البنت الصغيرة التى أيقظتك من غفلتك، ولم يرسل إليك ملك الموت؛ ليقبض روحك على تلك الحالة.

ولما حان وقت صلاة الظهر كنت مرهقًا، حيث لم أنم منذ وقت طويل، فطلبت من صاحبى أن يتسلم عملى، وعدت إلى بيتى لأنال قسطًا من الراحة، وأنا فى شوق لرؤية ابنتى الصغيرة التى كانت سببًا فى هدايتى ورجوعى إلى الله[1].

قال: ورجعت إلى البيت وأنا فى شوق شديد لرؤية تلك الابنة المباركة، فكنت أشعر بأن أقدامى تسابق الريح، فلما وصلت إلى البيت،

---

(١) العائدون إلى الله. محمد عبد المسند (ص: ٢٢٧، ٢٢٨) بتصرف.

وجدت زوجتى واقفة أمام باب المنزل -على غير عادتها- وصرخت فى وجهى قالت: أين كنت؟ قلت: كنت فى العمل. قال: اتصلنا بك كثيراً فلم نجدك فأين كنت؟

قال: كنت فى المسجد الذى فى مكان العمل، فما الذى حدث، وما الذى جعلك تقفين أمام الباب فى تلك الساعة؟

قالت: لقد ماتت ابنتك.

قال الرجل: لم أتمالك نفسى من هول الصدمة، فانفجرت فى البكاء، ولم أتذكر إلا كلمتها: «عيب عليك يا والدى! اتق الله، عيب عليك يا والدى! اتق الله».

قال: اتصلت على صاحبى وقلت له: لقد ماتت ابنتى التى جعلها الله سببًا لخروجى من الظلمات إلى النور.

فجاء صاحبه إليه مسرعًا، ودخل الرجل فغسل ابنته وكفنها وذهبوا بها إلى المسجد، فصلوا عليها ثم ذهبوا إلى المقبرة، فقال له صاحبه: خذ ابنتك وضعها تحت التراب.

فكل باكٍ فسيُبكى — وكل ناعٍ فسيُنعى
وكل مذخور سيفنى — وكل مذكور سيُنسى
ليس غير الله يبقى — مَنْ علا فالله أعلى

فأخذ الرجل ابنته ودفنها وهو يقول للناس من حوله: أنا لا أدفن ابنتى، وإنما أدفن النور الذى أضاء لى الطريق إلى الله - جل وعلا - هذه البنت جعلها الله سببًا لهدايتى وأنا أسأل الله أن يجمعنى بها فى جنته.

فبكى الناس من حوله بكاءً مريرًا حتى كادت قلوبهم أن تتقطع حزنًا على تلك الابنة المباركة.

وهكذا أيها الإخوة الكرام، لا يدرى الإنسان متى يأتيه ملك الموت، فالموت لا يعرف صغيراً ولا كبيرًا.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

فلنسرع الخُطا إلى الله ولنعلنها توبة صادقة عساها أن تكون آخر ساعة فى العمر ويكون الجزاء فى جنة الرحمن.

جئت لأسرقه فسرقنى

ذُكر أن لصًّا تسوَّر دار مالك بن دينار، فلم يجد فى الدار شيئًا يسرقه، فرآه وهو قائم يصلى فأوجز مالك فى صلاته، ثم التفت إلى اللص، وسلم عليه، وقال: يا أخى، تاب الله عليك، دخلت منزلى فلم تجد ما تأخذه، ولا أدعك تخرج بغير فائدة، وقام وأتاه بإناء فيه ماء، وقال له: توضأ وصلِّ ركعتين؛ فإنك تخرج بخير مما جئت فى طلبه، فقال اللص: نعم وكرامة، وقام وتوضأ، وصلى ركعتين، وقال: يا مالك أيخف عليك أن أزيد ركعتين أخرتين؟

قال: زد ما قدر الله لك؟

فلم يزل اللص يصلى إلى الصبح.

فقال له مالك: انصرف راشدًا.

فقال يا سيدى، عليك أن أقيم عندك هذا اليوم؛ فإنى قد نويت صيامه.

(١) سورة النحل - آية: (٦١).

فقال له مالك: أقم ما شئت، فـأقام عنده أيامًا صائمًا قـائمًا، فلما أراد الانصراف.

قال اللص: يا مالك، قد نويت التوبة.

فقال مالك: ذلك بيد الله عز وجل، فتاب اللص وحَسُنَت توبته، وخرج من عنده فلقيه أحد اللصوص.

فقال له: أظنك وقعت بكنز؟!

فقال: يا أخى، وقعت بمـالك بن دينار، جئت لأسرقـه فسـرقنى، وقد تُبت إلى الله عـز وجل، وها أنا مـلازم الباب فـلا أبرح حتى أنال مـا ناله الأحباب.

قصة إسلام الهرمزان

لما أُتى بالهـرمزان أسيـرًا إلى عمـر بن الخطاب رضي الله عنه، قيل له: يا أمـير المؤمنين، هذا زعيم العجم، وصاحب رستم، فقال له عمر رضي الله عنه:

أعرض عليك الإسلام نُصحًا لك فى عاجلك وآجلك، فقال: إنما أعتقد ما أنا عليـه، ولا أرغب فى الإسلام رهبة، فدعـا عمر بالسـيف، فلما همَّ بقتله، قال: يا أمير المؤمنين! شربة من ماء هى أفضل من قتلى على الظمأ، فأمر له بشربة من ماء، فلما أخذها الهرمزان.

قال: يا أمير المؤمنين! أنا آمن حتى أشربها؟

قال: نعم، فرمى بها.

وقال: الوفاء - يا أمير المؤمنين - نورٌ أبلج.

قال: صدقت، لك التوقف عنك والنظر فيك، ارفعوا عنه السيف.

فقال: يا أمير المؤمنين! الآن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن مـحمدًا عبده

ورسوله، وما جاء به حق من عنده.

فقال عمر: أسلمت خير إسلامٍ، فما أخَّرك؟

قال: كرهت أن يُظن بى أنى إنما أسلمت خوفًا من السيف، فقال عمر: ألا إن لأهل فارس عقولاً استحقوا بها ما كانوا فيه من الملك، ثم أمر ببره وإكرامه.

قصة الحية والسكران

عن يوسف بن الحسين يقول: كنت مع ذى النون المصرى على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة، فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت، فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأنًا فامض بنا، فجعلنا نقفو أثرها؛ فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سُرته إلى صدره وهى تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها، فانقلبت وانفسخت، ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه، فقال: يا فتى! انظر مما نجاك الله!، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التى أرادتك، ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه
من كل سوء يدب فى الظُّلَمِ
كيف تنام العيون عن ملك
تأتيه منه فوائد النَّعمِ

فنهض الشاب وقال: إلهى! هذا فعلك بمن عصاك!، فكيف رفقك بمن

يطيعك؟!، ثم ولى، فقلت: إلى أين؟

قال: إلى طاعة الله[١].

الرحيم - جل وعلا - لا يردُّ من رجاه

كان هناك رجل سِكِّير، دعا قومًا من أصحابه ذات يوم، فجلسوا، ثم نادى على خادمه ودفع إليه أربعة دراهم وأمره أن يشترى بها شيئًا من الفاكهة للمجلس.

وفى أثناء سير الخادم مر بالزاهد منصور بن عمار وهو يقول: من يدفع أربعة دراهم لفقير غريب دعوت له أربع دعوات، فأعطاه الغلام الدراهم الأربعة.

فقال له منصور بن عمار: ما تريد أن أدعو لك؟

فقال الغلام: لى سيد قاسٍ أريد أن أتخلص منه، والثانية: أن يخلف الله علىَّ الدراهم الأربعة، والثالثة: أن يتوب الله على سيدى، والرابعة: أن يغفر الله لى ولسيدى ولك وللقوم، فدعا له منصور بن عمار، وانصرف الغلام ورجع إلى سيده الذى نهره وقال له: لماذا تأخرت وأين الفاكهة؟ فقصَّ عليه مقابلته لمنصور الزاهد وكيف أعطاه الدراهم الأربعة مقابل أربع دعوات، فسكن غضب سيده وقال: وما كانت دعوتك الأولى؟

قال: سألت لنفسى العتق من العبودية.

فقال السيد: قد أعتقتك فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى، وما كانت دعوتك الثانية؟

---

(١) كتاب التوابين (ص٢٢٦).

قال: أن يخلف الله عليَّ الدراهم الأربعة.

قال السيد: لك أربعة آلاف درهم.

قال: وما كانت دعوتك الثالثة؟

قال: أن يتوب الله عليك.

فطأطأ السيد رأسه وبكى وأزاح بيديه كئوس الخمر وكسرها وقال: تبت إلى الله لن أعود أبدًا.

وقال: فما كانت دعوتك الرابعة؟

قال: أن يغفر الله لىَّ ولك وللقوم.

قال السيد: هذا ليس إلىَّ وإنما هو للغفور الرحيم.

فلما نام السيد تلك الليلة، سمع هاتفًا يهتف به أنت فعلت ما كان إليك، أتظن أنا لا نفعل ما كان إلينا؟ لقد غفر الله لك وللغلام ولمنصور بن عمار ولكل الحاضرين.

يحرق أصابعه خوفًا من الله - جل وعلا -

رحلة استكشافية خرجت فيها مجموعة من الطالبات والمعلمات إلى إحدى القرى لمشاهدة المناطق الأثرية . . حين وصلت الحافلة كانت المنطقة شبه مهجورة، وكانت تمتاز بانعزالها وقلة قاطنيها . . فنزلت الطالبات والمعلمات وبدأن بمشاهدة المعالم الأثرية وتدوين ما يشاهدونه فكانوا فى بادئ الأمر، يتجمعون مع بعضهم البعض للمشاهدة ولكن بعد ساعات قليلة تفرقت الطالبات، وبدأت كل واحد منهن تختار المعلم الذى يعجبها وتقف عنده . . كانت هناك فتاة منهمكة فى تسجيل المعلومات عن هذه المعالم

فابتعدت كثيراً عن مكان تجمع الطالبات وبعد ساعات ركبت الطالبات والمعلمات الحافلة ولسوء الحظ المعلمة حسبت بأن الطالبات جميعهن فى الحافلة ولكن الفتاة الأخرى ظلت هناك وذهبوا عنها فحين تأخر الوقت رجعت الفتاة؛ لترى المكان خاليًا، لا يوجد به أحد سواها، فنادت بأعلى صوتها ولكن ما من مجيب فقررت أن تمشى؛ لتصل إلى القرية المجاورة لعلَّها تجد وسيلة للعودة إلى مدينتها وبعد مشى طويل وهى تبكى شاهدت كوخًا صغيرًا مهجورًا، فطرقت الباب، فإذا بشاب فى أواخر العشرين يفتح لها الباب وقال لها فى دهشة: من أنت؟ فردت عليه: أنا طالبة أتيت هنا مع المدرسة ولكنهم تركونى وحدى ولا أعرف طريق العودة..

فقال لها: إنك فى منطقة مهجورة، فالقرية التى تريدينها فى الناحية الجنوبية ولكنك فى الناحية الشمالية وهنا لا يسكن أحد .. فطلب منها أن تدخل وتقضى الليلة بغرفته حتى حلول الصباح؛ ليتمكن من إيجاد وسيلة تنقلها إلى مدينتها .. فطلب منها أن تنام هى على سريره وهو سينام على الأرض فى طرف الغرفة .. فأخذ شرشفًا وعلقه على حبل؛ ليفصل السرير عن باقى الغرفة .. فاستلقت الفتاة وهى خائفة وغطت نفسها حتى لا يظهر منها أى شىء غير عينيها وأخذت تراقب الشاب .. وكان الشاب جالسًا فى طرف الغرفة بيده كتاب وفجأة أغلق الكتاب وأخذ ينظر إلى الشمعة المقابلة له وبعدها وضع أصبعه الكبير على الشمعة لمدة خمس دقائق وحرقه وكان يفعل نفس الشىء مع جميع أصابعه والفتاة تراقبه وهى تبكى بصمت خوفًا من أن يكون جنيًّا وهو يمارس أحد الطقوس الدينية .. لم ينم منهما أحد حتى الصباح فأخذها وأوصلها إلى منزلها وحكت قصتها مع الشاب لوالديها ولكن الأب لم يصدق القصة خصوصًا أن البنت مرضت من شدة الخوف الذى عاشت فيه .. فذهب الأب للشاب على أنه عابر سبيل وطلب منه أن

يدله الطريق، فشاهد الأب يد الشاب وهما سائران ملفوفة فسأله عن السبب.. فقال الشاب: لقد أتت إلىَّ فتاة جميلة قبل ليلتين، ونامت عندى وكان الشيطان يوسوس لى، وأنا خوفًا من أن أرتكب أى حماقة قررت أن أحرق أصابعى - واحد تلو الآخر - لتحترق شهوة الشيطان معها قبل أن يكيد إبليس لى وكان التفكير بالاعتداء على الفتاة يؤلمنى أكثر من الحرق!! أُعجب والد الفتاة بالشاب ودعاه إلى منزله وقرر أن يزوجه ابنته دون أن يعلم الشاب بأن تلك الابنة هى نفسها الجميلة التائهة.. فبدل الظفر بها ليلة واحدة بالحرام، فاز بها طول العمر فى الحلال!!

سفينة النجاة

يقول أحدهم: خرجت ذات يوم، وفى إحدى الطرق الفرعية الهادئة قابلنى شاب يركب سيارة صغيرة، لم يرنى؛ لأنه كان مشغولاً بملاحقة بعض الفتيات فى تلك الطريق الخالية من المارة، كنت مسرعًا فتجاوزته، فلما سرت غير بعيد، قلت فى نفسى: أأعود فأنصح ذلك الشاب؟ أم أمضى وأدعه يفعل ما يشاء؟ وبعد صراع داخلى دام عدة ثوانٍ فقط اخترت الأمر الأول، عدت ثانية، فإذا به قد أوقف سيارته وهو ينظر إليهن، ينتظر منهن نظرة، أو التفاتة، فدخلن فى أحد البيوت.

أوقفت سيارتى بجوار سيارته، ونزلت واتجهت إليه، سلمت عليه أولاً، ثم نصحته، فكان مما قلته له: تخيل أن هؤلاء الفتيات، أخواتك، أو بناتك، أو قريباتك، فهل ترضى لأحد من الناس أن يلاحقهن، أو يؤذيهن؟ كنت أتحدث إليه وأنا أشعر بشىء من الخوف، فقد كان شابًّا ضخمًا ممتلئ الجسم، كان يستمع إلىَّ وهو مطرق الرأس لا يتكلم، وفجأة التفت إلىَّ،

فإذا دمعة قد سالت على خده فاستبشرت خيرًا، وكان ذلك دافعًا لمواصلة النصيحة، لقد زال الخوف منى تمامًا فشددت عليه فى الحديث حتى رأيت أنى قد أبلغت فى النصيحة، ثم ودعته، لكنه استوقفنى وطلب منى رقم هاتفى وعنوانى وأخبرنى أنه يعيش فراغًا نفسيًّا قاتلاً فكتبت له ما أراد، وبعد أيام جاءنى فى البيت، لقد تغير وجهه، وتبدلت ملامحه، فقد أطلق لحيته وشعَّ نور الإيمان فى وجهه، جلست معه، فجعل يحدثنى عن تلك الأيام التى قضاها فى التسكع فى الشوارع والطرقات، وإيذاء المسلمين والمسلمات، فأخذت أسليه، وأخبرته بأن الله سبحانه وتعالى واسع المغفرة، وتلوت عليه قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[1].

فانفرجت أسارير وجهه واستبشر، ثم ودعنى وطلب منى أن أزوره، فهو فى حاجة إلى من يساعده على السير فى الطريق المستقيم، فوعدته بالزيارة، مضت الأيام وجعلت أُسوِّف فى الزيارة، ولما وجدت فرصة ذهبت إليه وطرقت الباب، فإذا بشيخ كبير يفتح الباب وقد ظهرت عليه آثار الحزن والأسى، إنه والده، سألته عن صاحبى أطرق برأسه إلى الأرض، وصمت برهة، ثم قال بصوت خافت: يرحمه الله ويغفر له، لقد مات، ثم استطرد قائلاً: حقًّا إن الأعمال بالخواتيم، ثم أخذ يحدثنى عن حاله وكيف أنه كان مفرطًا فى جنب الله، بعيدًا عن طاعة الله، فمنَّ الله عليه بالهداية قبل موته بأيام، لقد تداركه الله برحمته قبل فوات الأوان، فلما فرغ من حديثه، عزيته ومضيت، وقد عاهدت الله أن أبذل النصيحة لكل مسلم.

انتهت القصة!!

تأمل معى (أخى الحبيب): كيف أن تلك الكلمة الصادقة التى خرجت

---

(١) سورة الزمر - آية: (٥٣).

من فم هذا الأخ الكريم حين بذل النصيحة الغاليـة لأخيه المسلم كانت سببًا فى إيقاظه من غـفلته وعـودته إلى ربه - جل وعلا -، وكأن تـلك الكلمة كانت بمثابة سفينة النجاة التـى أنقذت هذا الشاب من بحار الفتن، فعاد إلى شاطئ الطاعة ليلقى الله - عز وجل- تائبًا نادمًا مستغفرًا.

فاحرص على أن تبـذل النصيحة لكل مـسلم عسى الله أن ينفع بك وأن يجعل عملك فى ميزان حـسناتك، فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

توبة امرأة

قال الحسن البصرى: كانت امرأة بَغِىٌّ، لهـا ثلث الحسن، لا تُمكِّن من نفسـها إلا بمائة دينار، وإنه أبصرها عـابد فأعجبـته، فذهب فعـمل بيديه، وعالج فـجمع مائة ديـنار، ثم جاء إليهـا، فقال: إنك أعـجبتنـى فانطلقت فـعملت بيـدى، وعالجت حـتى جمـعت مـائة دينار، فقـالت له: ادخل، فدخل، وكـان لها سريـر من ذهب، فجلست على سريـرها، ثم قالت له: هلُمَّ، فلما جلس منهـا مجلس الخاتن[(١)] ذكر مقامـه بين يدى الله، فأخذته رعدة، فـقال لها: اتركـينى أخرج ولك المائة دينار؟!، قـالت: ما بدا لك، وقد زعـمت أنك رأيتنى فـأعجـبتك، فـذهبت، فعـالجت، وكددت حـتى جمعت مائة دينار، فلما قدرت علىَّ فعلت الذى فعلت؟، فقال: جزعًا من الله ومن مـقـامى بين يديه، وقـد بَغُـضت إلىَّ، فـأنت أبغض الناس إلىَّ، فقالت: إن كنت صادقًا فما لى زوج غـيرك، فقال: دعينى أخرج، فقالت: لا، إلا أن تجـعل لى أن تزوج بى، قـال: لا، حـتى أخـرج! قـالت: فلى

(١) أى: بين رجليها.

عليك أن أنا أتيتك أن تتزوجنى؟ قال: لعل، فتقنع بثوبه، ثم خرج إلى بلده، وارتحلت تائبة نادمة على ما كان منها، حتى قدمت بلده، فسألت عن اسمه ومنزله، فدُلت عليه، فقيل له: إن الملكة[1] قد جاءتك، فلما رآها شهق شهقة فمات، وسُقط فى يدها، وقالت: أما هذا فقد فاتنى، فهل له من قريب؟ قالوا: أخوه رجل فقير، قالت: فإنى أتزوجه حبًّا لأخيه، فتزوجته.

المؤمن يستمد قوته من إخلاصه لله - جل وعلا -

كانت هناك شجرة تُعبد من دون الله، فقام رجل مؤمن من بنى إسرائيل وأخذ فأسًا؛ ليقطعها فلقيه إبليس فقال له: ما تريد؟ قال: أريد أن أقطع تلك الشجرة التى تُعبد من دون الله.

فقال له إبليس: لا تستطيع لأننى سأمنعك من ذلك.

فقام الرجل العابد وضربه وطرحه أرضًا، وسار إلى الشجرة؛ ليقطعها فاعترضه إبليس مرة ثانية فضربه العابد وطرحه أرضًا، فاعترضه إبليس للمرة الثالثة، وقال له: هل لك فيما هو خير لك، لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك.

قال: فمن أين لى ذلك؟

قال: أنا لك. فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته، ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئًا فقام غضبًا؛ ليقطعها فتمثل له الشيطان فى صورته وقال: ما تريد؟

(١) ظنها ملكة لحسن مظهرها.

قال: أريد قطع هذه الشجرة التى تُعبد من دون الله تعالى.

قال: كذبت ما لك إلى ذلك من سبيل، فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد أن يقتله.

قال: أتدرى من أنا؟ أنا الشيطان... جئتَ أول مرة غضبًا لله فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين، فتركتها فلما جئت غضبًا للدينارين سُلطت عليك.

ومن هنا نعلم أن العمل إذا لم يكن خالصًا لوجه الله تعالى فإن صاحبه لا ينتفع بثمرة هذا العمل فى الدنيا، أو الآخرة، وأن العبد يستمد قوته من إيمانه بالله وإخلاص العمل له - جل وعلا.

خمسة أشياء تبعدك عن معصية الله - جل وعلا -

ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم وقد كان من أطباء القلوب، وقال له: إنى مسرف على نفسى فاعرض علىَّ ما يكون زاجرًا لها.

فقال له إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال، لن تكون من العصاة.

فقال الرجل - وكان متشوقًا لسماع موعظته -: هات ما عندك يا إبراهيم.

فقال: الأولى: إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئًا من رزقه، فتعجب الرجل، ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والأرزاق كلها من عند الله؟

فقال: إذا كنت تعلم ذلك، فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه؟!

قال: لا، يا إبراهيم هات الثانية.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده.

فتعـجب الرجل أكثر من تعجـبه السابق، ثم قال: كـيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك الله.

فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه؟!

قال: لا، يا إبراهيم، هات الثالثة.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فـانظر مكانًا لا يراك فيه فاعـصه فيه.

قـال: كـيف تقـول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعـلم بالسـرائر (يعلم السـر وأخفى) ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء.

فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك، فهل يجدر بك أن تعصيه؟!

قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة.

فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت؛ ليقـبض روحك، فقل له: أخرنى إلى أجل معدود.

فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾(١).

فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة؟

قال: نعم، هات الخامسة يا إبراهيم.

فقال: إذا جاءك الزبانيـة وهم ملائكة جهـنم؛ ليأخذوك إلى جـهنم فلا تذهب معهم.

فما كـاد **الرجل يستمع إلى الخامسـة حتى قال باكـيًا:** كفى يا إبراهيم، أنا أستغفر الله وأتوب إليه... ولزم العبادة حتى فارق الحياة.

* * *

---

(١) سورة الأعراف - آية: (٣٤)

لا تتبعوا خطوات الشيطان

كان عابد فى بنى إسرائيل من أعبد أهل زمانه وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكرًا ليس لهم أخت غيرها، فخرج الثلاثة للجهاد فى سبيل الله، فلم يدروا عند من يتركون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها فأجمعوا رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل وكان ثقة فى أنفسهم فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى جواره إلى أن يرجعوا من سفرهم، فرفض العابد ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم، فلم يزالوا يلحون عليه حتى أطاعهم وقَبِل وقال لهم: أنزلوها فى بيت بجوار صومعتى فأنزلوها فى ذلك البيت، ثم انطلقوا وتركوها.

فمكثت فى جوار ذلك العابد زمانًا ينزل إليها بالطعام من صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام، فتلطف له الشيطان فلم يزل به يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارًا ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها، كان أعظم لأجرك فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها فلبث على هذه الحالة زمانًا، ثم جاءه إبليس فرغبه فى الخير والأجر وحضه عليه فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة فلم يزل به حتى حدثها زمانًا، يطلع إليها من فوق صومعته، ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد على باب بيتها فتحدثك كان أحسن لها وآنس لها فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها.

فلبث على ذلك زمانًا، ثم جـاءه إبليس فرغبه فـى الخير والثواب فـيما يصنع معهـا وقال له: لو خرجت من باب صومعـتك، ثم جلست قريبًا من باب بيتها فحدثتهـا كان آنس وأحسن لها، فلم يزل به حتى فعل قال: فلبث زمانًا، ثم جاءه إبليس فـرغبه فى الخير قـائلاً: لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل، فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها، فيحدثها فلبثا على ذلك حينًا.

ثم جاءه إبليس فقال له: لو دخلت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحـسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحـدثها نهارها كله فإذا مضى النهار، صعد إلى صومعته.

ثم أتاه إبليس بعـد ذلك فلم يزل يـزينها له حـتى ضـرب العـابد على فخذها وقبّلها، فلم يزل إبليس يحسنهـا فى عينيه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلامًا، فـجاء إبليس، فقال: أرأيت إن جاء إخوة الجارية وقد ولدت منك كيـف تصنع؟ لا آمن أن تفتضح أو يفضـحوك فاذهب إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل وقتل ابنها فـقال له إبليس: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها، خذها واذبحها وادفنها مع ابنها.

فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوَّى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها، فمكث بذلك ما شاء الله به أن يمكث حـتى أقبل إخوتهـا من الغزو فجـاؤوا فسألوه عن أخـتهم فنعاها لهم وترحَّم عليها وبكاها وقال: كانت خـير امرأة وهذا قبرها أمامكم فانظروا إليه، فأتى إخوتها القبر، فبكـوا أختهم وترحموا عليها وأقاموا على قبرها أيامًا، ثم انصرفوا إلى أهاليهم.

فلما جنَّ الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة

رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحُّمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلامًا فذبحها وذبح الغلام خوفًا منكم وألقاهما فى حفرة حفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله، فانطلقوا فادخلوا البيت الذى كانت فيه فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعًا. وأتى الأوسط فى منامه، فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك.

فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم فأقبل بعضهم على بعض يقول لأخيه: لقد رأيت الليلة عجبًا فأخبر بعضهم بعضًا بما رأى، فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشىء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم.

فقال أصغرهم: والله لا أمضى حتى آتى إلى هذا المكان فأنظر فيه.

قال: فانطلقوا جميعًا حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفرة كما قيل لهم فسألوا عنها العابد، فصدق قول إبليس فيما صنع بهما، فرفعوا أمره إلى ملكهم فأنزلوه من صومعته وقُدِّم ليُصلب، فلما أوثقوه على الخشبة ليُقتل أتاه الشيطان، فقال له: أنا صاحبك الذى فتنتك بالمرأة التى أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصتك مما أنت فيه، فكفر العابد بالله فلما كفر بالله تعالى، خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه، ثم قُتل ففيه نزلت هذه الآية:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾(١).



(١) سورة الحشر - آية: (١٦، ١٧).

ستة أشياء تكفيك

قال شقيق البلخي يومًا لتلميذه، حاتم الأصم: ما الذى تعلمته منى منذ صحبتنى (٣٠ سنة)؟ فقال حاتم الأصم: ستة أشياء:

الأول: رأيت الناس فى شك من أمر الرزق وما منهم إلا وهو شحيح بما عنده، حريص عليه، فتوكلت على الله لقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ..﴾[1] لأنى من جملة الدواب فلم أشغل قلبى بما تكفل به القوى المتين... فقال له: أحسنت.

الثانى: رأيت لكل إنسان صديقًا يفشى إليه سره ويشكو إليه أمره، ولكنهم لا يكتمون الأسرار، ولا يدفعون مصادمة الأقدار فجعلت صديقى العمل الصالح؛ ليكون لى عونًا عند الحساب ويثبتنى بين يدى الله عز وجل ويرافقنى فى مرورى على الصراط، فقال له: أحسنت.

الثالث: رأيت لكل واحد من الناس عدوًّا فنظرت فإذا الذى اغتابنى ليس عدوى ولا من ظلمنى ولا من أساءنى؛ لأنه إنما يهادينى بحسناته ويتحمل عنى من سيئاتى ولكن عدوى هو الذى إذا كنت فى طاعة الله تعالى أغرانى معصيته، فرأيت أن ذلك هو إبليس والنفس والدنيا والهوى فاتخذتهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أدع واحدًا منهم يقربنى. فقال: أحسنت.

الرابع: رأيت أن كل حى مطلوب وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب ففرغت نفسى لملاقاته حتى إذا ما جاء، بادرت معه بلا عائق.

فقال له: أحسنت.

---

(١) سورة هود - آية: (٦).

الخامس: نظرت إلى الناس متحابين ومتباغضين ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئًا، فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الجسد فنفيته عنى بنفى العلائق التى بينى وبينه وهى الشهوات، فأحببت الناس كلهم فلم أرض لهم إلا ما رضيته لنفسى. . . فقال له: أحسنت.

السادس: رأيت أن كل ساكن لا بد له من مفارقة سكنه وأن مصير كل ساكن إلى القبر، فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التى تسرنى فى ذلك المسكن الجديد الذى ما وراءه إلا الجنة أو النار، فقال له شقيق البلخى: يكفيك ذلك واعمل عليه إلى الموت.

أطيب مضغتين وأخبث مضغتين

كان لقمان عبدًا حبشيًّا نجارًا، فأمره سيده أن يذبح شاة، فذبح شاة.

فقال: ائتنى بأطيب مضغتين فى الشاة، فأتاه باللسان والقلب، ثم مكث أيامًا، فقال: اذبح شاة، فذبح، فقال: ائتنى بأخبث مضغتين فى الشاة، فألقى إليه اللسان والقلب، فقال له سيده: قلت لك حين ذبحت: ائتنى بأطيب مضغتين فى الشاة، فأتيتنى باللسان والقلب، ثم قلت لك الآن حين ذبحت الشاة ائتنى بأخبث مضغتين فى الشاة فألقيت اللسان والقلب؟، فقال: إنه لا أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

* * *

أينما تكونوا يدرككم الموت

ذكرت جريدة «القصيم» - وهى جريدة قديمة كانت تصدر فى البلاد - ذكرت أن شابًّا فى دمشق حجز ليسافر، وأخبر والدته أن موعد إقلاع الطائرة فى الساعة كذا وكذا، وعليها أن توقظه إذا دنا الوقت، ونام هذا الشاب، وسمعت أمه الأحوال الجوية فى أجهزة الإعلام، وأن الرياح هوجاء، وأن الجو غائم، وأن هناك عواصف رملية، فأشفقت على وحيدها وبخلت بابنها، فما أيقظته أملاً منها أن تفوته الرحلة؛ لأن الجو لا يساعد على السفر، وخافت من الوضع الطارئ، فلما تأكدت من أن الرحلة قد فاتت، وقد أقلعت الطائرة بركابها، أتت إلى ابنها توقظه فوجدته ميتًا فى فراشه.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(١)] .... وذكر الشيخ على الطنطاوى فى سماعاته ومشاهداته: أنه كان بأرض الشام رجل له سيارة لورى، فركب معه رجل فى ظهر السيارة، وكان فى ظهر السيارة نعش مُهيأ للأموات، وعلى هذا النعش شراع لوقت الحاجة، فأمطرت السماء وسال الماء فقام هذا الراكب فدخل فى النعش وتغطى بالشراع، وركب آخر فصعد فى ظهر الشاحنة بجانب النعش، ولا يعلم أن فى النعش أحدًا، واستمر نزول الغيث، وهذا الرجل الراكب الثانى يظن أنه وحده فى ظهر السيارة، وفجأة يُخرج هذا الرجل يده من النعش؛ ليرى: هل كف الغيث أم لا؟ ولما أخرج يده أخذ يلوح بها، فأخذ هذا الراكب الثانى الهلع والجزع والخوف، وظن أن هذا الميت قد عاد حيًّا، فنسى نفسه وسقط من السيارة، فوقع على أم رأسه فمات.

---

(١) سورة الجمعة: آية: (٨).

كن راضيًا عن الله

خرج رجل من بنى عبس، يبحث عن إبله التى ضلت، فذهب والتمسها، ومكث ثلاثة أيام فى غيابه، وكان هذا الرجل غنيًّا، أعطاه الله ما شاء من المال والإبل والبقر والغنم والبنين والبنات، وكان هذا المال والأهل فى منزل رحب، على ممر سيل فى ديار بنى عبس، فى رغد وأمن وأمان، لم يفكر والدهم ولم يفكر أبناؤه أن الحوادث قد تزورهم، وأن المصائب قد تجتاحهم.

يا راقد الليل مسرورًا بأوله

إن الحوادث قد يطرقن أسحارًا

نام الأهل جميعًا كبارهم وصغارهم، معهم أموالهم فى أرض مستوية، ووالدهم غائب يبحث عن ضالته، وأرسل الله عليهم سيلاً جارفًا لا يلوى على شىء، يحمل الصخور كما يحمل التراب، ومر عليهم فى آخر الليل، فاجتاحهم جميعًا، واقتلع بيوتهم من أصلها، وأخذ الأموال معه جميعًا، وأخذ الأهل جميعًا، وزهقت أرواحهم مع تدفق الماء، وصاروا أثرًا بعد عين، فكأنهم لم يكونوا، صاروا حديثًا يُتلى على اللسان.

وعاد الأب بعد ثلاثة أيام إلى الوادى، فلم يحس أحدًا، ولم يسمع رافدًا، لا حى ولا ناطق ولا أنيس، المكان قاع صفصف، يا الله!! يا للداهية الدهياء!! لا زوجة لا ابن، لا ابنة، لا ناقة، لا شاة، لا بقرة، لا درهم، لا دينار، لا ثوب لا شىء، إنها مصيبة!!

وزيادة فى البلاء: إذا جمل من جماله قد شرد، فحاول أن يدركه وأخذ بذيله، فرفسه الجمل على وجهه فأعمى عينيه، وأخذ الرجل يصيح فى الصحراء

لعله أن يجد رجلاً يقوده إلى مكان يأوى إليـه، وبعد حين ووقت من هذا اليوم سمعه أعرابى آخر، فأتى إليـه وقاده، وذهب به إلى الوليد بن عبد الملك الخليفة فى دمشق، وأخبره الخبر، فقال: كيف أنت؟ قال: رضيت عن الله.

ذاك هو الله

قال رجل لجعفر الصادق: ما الدليل على الله، ولا تذكر لى العالم والعرض والجوهر؟

فقال له: هل ركبت البحر؟

قال: نعم.

قال: هل عصفت بكم الريح حتى خفتم الغرق؟

قال: نعم.

قال: فهل انقطع رجاؤك من المركب والملاحين؟

قال: نعم.

قال: فهل أحست نفسك أن ثَمَّ من يُنجيك؟

قال: نعم.

قال: فإن ذاك هو الله!

بركة الصدق

ومن طرائف ما يُروى فى تعويد السلف أولادهم على الصدق ومعاهدتهم عليه هذه القصة: يقول أحدهم: «بنيت أمرى من حين نشأت على الصدق، وذلك أنى خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتنى أمى أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة وعاهدتنى على الصدق، فلما

وصلنا أرض همدان، خرج علينا جماعة من اللصوص، فأخذوا القافلة، فمر واحد منهم وقال لى: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا، فظن أنى أهزأ به، فتركنى فرآنى رجل آخر، فقال: ما معك؟ فأخبرته بما معى فأخذنى إلى كبيرهم فسألنى، فأخبرته، قال: ما حملك على الصدق؟

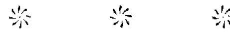
قلت: عاهدتنى أمى على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها!!

فأخذت الخشية رئيس اللصوص فصاح ومزق ثيابه، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله؟!!

ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه من اللصوص: أنت كبيرنا فى قطع الطريق وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة فتابوا جميعًا ببركة الصدق.

نعم أيها الأخ الحبيب: إن الصدق منجاة، وإن العبد إذا كان صادقًا فإنه يجنى ثمار الصدق فى دنياه وآخرته.

أما سمعت قول الله - جل وعلا -: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[1] .



(١) سورة المائدة - آية: (١١٩).

وفاء السموأل[١]

لما أراد امرؤ القيس المضى إلى قيصر ملك الروم، أودع عند السموأل دروعًا وسلاحًا وأمتعة تساوى جملة كثيرة، فلما مات امرؤ القيس، أرسل ملك كندة، يطلب الدروع والأسلحة المودعة عند السموأل.

فقال السموأل: لا أدفعها إلا إلى مستحقيها، وأبى أن يدفع إليه منها شيئًا، فعاوده، فأبى وقال: لا أغدر بذمتى، ولا أخون أمانتى، ولا أترك الوفاء الواجب علىَّ.

فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره، فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به، فحاصره ذلك الملك، وكان ولد السموأل خارج الحصن، فظفر به الملك وأخذه أسيرًا، ثم طاف حول الحصن، وصاح بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن، فلم رآه قال له: إن ولدك قد أسرته، وهو ذا معى، فإن سلمت إلىَّ الدروع والسلاح رحلت عنك، وسلمت إليك ولدك، وإن امتنعت من ذلك؛ ذبحت ولدك وأنت تنظر، فاختر أيهما شئت.

فقال له السموأل: ما كنت لأخفر ذمامى[٢] وأُبطل وفائى، فاصنع ما شئت،... فذبح ولده - وهو ينظر - ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبًا، واحتسب السموأل ذبح ولده، وصبر محافظة على وفائه، فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس، سلم إليهم الدروع والسلاح، ورأى حفظ ذمامه، ورعاية وفائه، أحب إليه من حياة ولده وبقائه، وقال فى ذلك:

وفيتُ بأدرع الكندى إنى
إذا ما خان أقوامٌ وفيتُ

---

(١) السموأل: شاعر جاهلى حكيم.

(٢) أى: ما كنت لأخون عهدى.

بائعة اللبن .. وثمرة المراقبة

هذا هو الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ لا يقيم وزنًا عند اختياره لبنت بائعة اللبن، زوجًا لابنه عاصم للحسب أو النسب، ولا للمال أو الجاه، وإنما أقام الوزن كله لما أظهرته تلك الفتاة الطيبة، من إيمان بالله، ومراقبة له فى السر والعلانية، ويقين بأنه جل وعلا لا تخفى عليه خافية، حتى قد بلغت - وهى الفتاة الرقيقة الحال، الفقيرة فى الجاه والمال - فى عبادتها لربها درجة الإحسان، فهى تعبد الله كأنها تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراها.

كان الفاروق ﷺ يتفقد أحوال الرعية ذات ليلة، فسمع امرأة تقول لابنة لها: قومى إلى ذاك اللبن فامزجيه بالماء، فأجابت الفتاة.

يا أمتاه! وما علمت بما كان من عزم أمير المؤمنين؟

قالت المرأة: وما كان من عزمه يا بنية؟

قالت: إنه أمر مناديه فنادى: لا يُشاب اللبن بالماء، فردت المرأة قائلة: يا بنية! قومى إلى اللبن فامزجيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر، ولا منادى عمر.

فردت الفتاة على الفور: يا أمتاه! إن كان عمر لا يعلم، فإله عمر يعلم، والله ما كنت لأطيعه فى الملإ وأعصيه فى الخلاء.

فلما أصبح عمر، قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا وكذا، فإن هناك صبية، فإن لم تكن مشغولة فتزوج بها، لعل الله أن يرزقك منها نسمة مباركة.

وصدقت فراسة الفاروق ﷺ، فقد تزوج عاصم بتلك البنية، فولدت له

«أم عاصم» فتزوجـها عبد العزيز بن مروان، فولدت له عمـر بن عبد العزيز الأمير العادل - رحمه الله تعالى- ورضى عنه.

درسٌ لا يُنسى

عن أبى الحسين محمد بن عـبد الله بن جعفر الرازى **قال:** سمعت يوسف ابن الحسـين يقول: قيل لى: إن ذا النون يعـرف اسم الله الأعظم، فدخلت مصر وخدمته سنة، ثم قلت: يا أسـتاذى! إنى قد خدمتك وقد وجب حقى عليك، وقـيل لى: إنك تعرف اسم الله الأعظم، وقـد عرفتـنى ولا تجد له موضعًا مثلى، فأحب أن تعلمنى إياه.

قال: فسكت عنى ذو النون، ولم يجبنى وكأنه أومأ إلىّ أنه يخبرنى.

قال: فتركنى بعـد ذلك ستة أشهـر، ثم أخرج لى من بيته طبـقًا ومكبة مشدودًا فى منديل، وكان ذو النون يسكن الجيزة، فقال: تعرف فلانًا صديقنا من الفسطاط؟

قلت: نعم.

قال: فأحب أن تؤدى هذا إليه.

قال: فأخذت الطبق وهو مشدود وجـعلت أمشى طول الطريق، وأنا متفكر فيه مثل ذى النون يوجه إلى فلان بهدية، ترى أى شىء هى؟ فلم أصبر إلى أن بلغت الجسر، فحللت المنديل ورفعت المكبة، فإذا فأرة قفزت من الطبق ومرت.

قال: فاغتظت غيظًا شديدًا، وقلت: ذو النون يسخر بى ويوجه مع مثلى فأرة، فرجعت على ذلك الغيظ، فلما أن رآنى، عرف ما فى وجهى، فقال: يا أحمق! إنما جربناك، ائتمنتك على فـأرة، فُخنتنى، أفأئمنك على اسم الله الأعظم؟ مُر عنى، فلا أراك.

معاوية رضى الله عنه .. وموقف أغرب من الخيال

كان لعبد الله بن الزبير أرض مجاورة لأرض معاوية بن أبى سفيان، وكان فيهما عبيد لعمارة كل أرض، فدخل عبيد معاوية أرض عبد الله واغتصبوا منها قطعة، فكتب عبد الله بن الزبير إلى معاوية.

أما بعد، يا معاوية! فإن عندك عبيدًا قد اغتصبوا أرضى، فمرهم بالكف عنها، وإلا كان لى ولكم شأن.

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير، دفعه إلى ولده يزيد، فلما رآه وقرأه.

قال: ما تقول يا يزيد؟

قال: أرى أن تبعث إليه جيشًا يكون أوله عنده وآخره عندنا، يأتيك برأسه، وتستريح منه.

قال: عندى خير من ذلك!

قال: ما هو يا أبت؟

فقال: علىَّ بدواة وقرطاس؟

ثم كتب إليه فيه: وقفت على كتاب ابن أخى، وقد ساءنى والله ما ساءه، والدنيا وما فيها هينة فى جنب رضاك، وقد كتبت على نفسى مسطورًا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين أن الأرض وما فيها والعبيد الذين بها ملكك، فضمها إلى أرضك، والعبيد إلى عبيدك والسلام.

فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتابه، وكتب له جوابًا فيه: وقفت

على كتاب أمير المؤمنين، لا أعـدمنى الله بقاءه، ولا أعدمه هذا الرأى الذى أحله هذا المحل، والسلام.

فلما وقف معاوية على الكتاب أعطاه لولده يزيد، فلما قرأه تهلل وجهه فرحًا.

فقـال له: يا بنى! إذا بُليت بشىء من هذا الداء، داوه بمثل هذا الدواء، وإنّا لقوم لم نر فى الحِلم إلا خيراً.

* * *

تسابق إلى الكرم والمكارم

سأل رجل حاتم الطائى، فقال: يا حاتم! هل غلبك أحد فى الكرم؟

قال: نعم، غلام يتيم من طيئ، نزلت بفنائه، وكانت له عشرة أرؤس من الغنم، فعمد إلى رأس منه فذبحه، وأصلح من لحمه، وقدَّم إلىَّ، وكان فيما قدم إلىَّ الدماغ، فتناولت منه فاستطبته، فقلت: طيب والله، فخرج من بين يدى، وجعل يذبح رأسًا رأسًا، ويقدم إلىَّ الدماغ وأنا لا أعلم، فلما خرجت لأرحل، وجدت حول البيت دمًا عظيمًا، وإذا به ذبح الغنم كله، فقلت له: لِمَ فعلت ذلك؟

فقال: سبحان الله! تستطيب شيئًا أملكه وأبخل به عليك، إن ذلك لسبة[1] على العربى قبيحة.

قيل: يا حاتم! فما الذى عوضته؟

قال: ثلاثمائة ناقة حمراء، وخمسمائة رأس من الغنم، فقيل: أنت إذًا أكرم منه، فقال: بل هو أكرم؛ لأنه جاد بكل ما يملكه، وإنما جدت بقليل من كثير.

* * *

(١) أى: من العار.

جابر عثرات الكرام

* قال أبو القاسم التنوخى:

«كان فى أيام سليمان بن عبد الملك رجل يُقال له: خزيمة بن بشر، من بنى أسد بالرقة، وكان له مروءة، ونعمة حسنة، وفضل وبر بالإخوان، فلم يزل على تلك الحال حتى احتاج إلى إخوانه، الذين كان يتفضل عليهم، فواسوه حينًا، ثم مَلُّوه، فلما لاح تغيرهم، أتى امرأته - وكانت ابنة عمه - فقال لها: يا ابنة عمى! قد رأيت من إخوانى تغيرًا، وقد عزمت على لزوم بيتى إلى أن يأتينى الموت، ثم إنه أغلق بابه وأقام يتقوت حتى نفد، وبقى حائرًا فى حاله.

وكان عكرمة الفياض الربعى واليًا على الجزيرة، فبينما هو فى مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد، إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فى مجلسه.

فقال عكرمة: ما حاله؟

فقالوا: صار من سوء الحال إلى أمر لا يوصف، فأغلق بابه ولزم بيته.

فقال الفياض: فما وجد خزيمة بن بشر مواسيًا ولا مكافئًا؟

قالوا: لا. فأمسك، ثم لما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار، فجعلها فى كيس واحد، ثم أمر بإسراج دابته، وخرج سرًّا من أهله، فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة، ثم أخذ الكيس من الغلام، ثم أبعده عنه، وتقدم، فدفعه بنفسه، فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس، وقال: أصلح بهذا شأنك، فتناوله، فرآه ثقيلاً، فوضعه، ثم أمسك بلجام الدابة، وقال له: من أنت جُعلت فداك؟!

فقال: يا هذا! ما جئتك فى هذه الساعة وأنا أريد أن تعرفنى.

قال خزيمة: فما أقبله أو تعرفنى من أنت؟

قال: أنا جابر عثرات الكرام.

قال: زدنى.

قال: لا مزيد. ثم مضى، ودخل خزيمة بالكيس إلى امرأته، فقال لها: أبشرى فقد أتى الله بالفرج والخير، ولو كان هذا فلوسًا فهو كثير، قومى فأسرجى قالت: لا سبيل إلى السراج، فبات يلمسها، فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق، فرجع عكرمة إلى منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه، فأُخبرت بركوبه منفردًا، فارتابت فشقت جيبها ولطمت خدها، فلما رآها على تلك الحال قال لها: ما دهاك؟

قالت: يا ابن عمى! غدرت؟

قال: وما ذاك؟

قالت: أمير الجزيرة يخرج بعد هدوء من الليل منفردًا مع غلمانه، فى سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية؟

قال: لقد علم الله ما خرجت إلى واحدة منهما.

قالت: فخبرنى فيم خرجت؟

قال: يا هذه! لم أخرج فى هذا الوقت، وأنا أريد أن يعلم بى أحد.

قالت: لابد أن تخبرنى القصة.

قال: فاكتميه إذًا.

قالت: أفعل، فأخبرها بالقصة على وجهها، وما كان من قوله له ورده عليه، ثم قال لها: أتحبين أن أحلف لك؟

قالت: لا، فإن قلبى قد سكن إلى ما ذكرت، فلما أصبح خزيمة، صالح الغرماء، وأصلح حاله، ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين، فلما وقف ببابه، دخل الحاجب فأخبره بمكانه، وكان مشهوراً

بالمروءة، وكان سليمان به عارفًا فأذن له، فلما دخل عليه وسلم بالخلافة، قال: يا خزيمة! ما أبطأك عنا؟

قال: سوء الحال.

قال: فما منعك من النهضة إلينا؟

قال: ضعفى.

قال: فبمَ نهضت؟

قال: لم أعلم، بعد هدوء من الليل إلا ورجل طرق بابى، فكان منه كيت وكيت، وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها.

فقال له: هل تعرفه؟

قال: ما عرفته يا أمير المؤمنين، وذلك أنه كان متنكرًا، وما سمعت منه إلا: «جابر عثرات الكرام»، فتلهف سليمان على معرفته.

وقال: لو عرفناه لأعناه على مروءته، ثم قال: علىَّ بقناة، فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة التى عمل بها عكرمة الفياض، فخرج خزيمة طالبًا الجزيرة، فلما وصل إليها خرج عكرمة وأهل بلده للقائه فسلم عليه، ثم صارا جميعًا إلى أن دخلا جميعًا، فنزل خزيمة دار الإمارة، وأمر أن يُؤخذ عكرمة بكفيل وأن يُحاسب، فحوسب فوجد عليه فضول كثيرة، فطالبه بأدائها، قال: ما لى إلى شىء منها سبيل، فنزل خزيمة دار الإمارة.

قال: لا بد منها.

قال: ما هى عندى، فاصنع ما أنت صانع، فأمر به إلى الحبس، ثم بعث إليه يطالبه، فأرسل إليه: لست ممن يصون ماله بعرضه، فاصنع ما شئت، فأمر به فكُبل بالحديد وضيق عليه وأقام كذلك شهرًا أو أكثر، فأضناه ذلك وأضر به، وبلغ ابنة عمه ضره، فجزعت واغتمت لذلك، ثم دعت مولاة لها ذات عقل، فقالت: امضِ الساعة إلى باب هذا الأمير خزيمة بن

بشر، فإذا دخلت عليه، فسليه أن يخليك، فإذا فعل فقولى له: ما كان هذا جزاء «جابر عثرات الكرام» منك أن كافأته بالحبس والضيق والحديد، ففعلت ذلك، فلما سمع خزيمة قولها قال: واسوأتاه وإنه لهو.

قالت: نعم، فأمر من وقته بدابته فأسرجت، وبعث إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وأتى بهم إلى الحبس ففتح، ودخل خزيمة ومن معه، فلقى عكرمة فى الحبس متغيراً قد أضناه الضر، فلما نظر إليه عكرمة وإلى الناس، أحشمه ذلك فنكس رأسه إليه، وقال: ما أعقب هذا منك؟

قال: كريم فعالك وسوء مكافأتى.

قال: يغفر الله لنا ولك، ثم أمر بالحديد ففك القيد عنه، وأمر خزيمة بوضعه فى رجله نفسه.

فقال عكرمة: تريد ماذا؟

قال: أريد أن ينالنى من الضر مثل ما نالك.

قال: أقسم عليك بالله ألا تفعل، فخرجا جميعًا إلى أن وصلا دار خزيمة، فودعه عكرمة وأراد الانصراف، فقال له: ما أنت ببارح.

قال: فماذا تريد؟

قال: أغير من حالك ما رث، وحيائى من ابنة عمك أشد من حيائى منك، ثم أمر بالحمام فأُخلى فدخلا جميعًا، ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه، ثم خرجا فخلع عليه فجمَّله، فحمل إليه مالاً كثيرًا، ثم سار معه إلى داره فاستأذن فى الاعتذار من ابنة عمه فأذن له، فاعتذر إليها، وتذمم من ذلك ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلى أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وهو يومئذٍ مقيم بالرملة، فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر، فراعه ذلك، وقال: والى الجزيرة يقدم بغير أمرنا؟ ما هذا إلا لحادث عظيم، فلما دخل عليه قال له قبل أن يسلم عليه: ما وراءك يا خزيمة؟

قال: خير يا أمير المؤمنين.

قال: فما الذى أقدمك؟

قال: ظفرت بجابر عثرات الكرام، فأحببت أن أسرك لما رأيت من تلهفك عليه وتشوقك إلى رؤيته.

قال: ومن هو؟

قال: عكرمة الفياض، فأذن له بالدخول، فدخل وسلم عليه بالخلافة، فرحب به، وأدناه من مجلسه.

فقال له: يا عكرمة! ما كان خيرك لخزيمة إلا وبالاً عليك، ثم قال له: اكتب حوائجك كلها وما تختاره فى رقعة.

قال: أوتعفينى يا أمير المؤمنين؟

قال: البد من ذلك، ثم دعا بدواة وقرطاس وقال: اعتزل، واكتب جميع حوائجك ففعل ذلك، فأمر بقضائها جميعًا من ساعته، وأمر له بعشرة آلاف دينار، وبسفطين ثيابًا، ثم دعا بقناة، وعقد له على الجزيرة، وأرمينية، وأذربيجان، وقال له: أمر خزيمة إليك، إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته.

قال: بل أرده إلى عمله، ثم انصرفا جميعًا، ولم يزالا عاملين لسليمان ابن عبد الملك مدة خلافته»[١].

* * *

(١) المستجاد من فعل الأجواد (ص١٨ - ٢٢).

الكلب والعبد السخى

حُكى أن عبد الله بن جعفر ﷺ وهو مشهور بالسخاء مر على بستان، فرأى فيه عبدًا من العبيد يعمل فيه، ويجمع التمر، فجاءه ابن سيده برغيفين؛ ليأكل، فجلس العبد ليأكل، فرأى كلبًا قد أقبل نحوه، يهمهم ويحرك ذيله، فألقى إليه برغيف، فالتهمه سريعًا، واقترب منه يحرك ذَنَبه، فرمى إليه بالرغيف الثانى، وقام لعمله.

فعجب عبد الله بن جعفر من فعل هذا العبد، واقترب منه وسأله: يا غلام! كم قوتك كل يوم؟

قال العبد: هو ما رأيت.

قال عبد الله: ولِمَ آثرت بهما هذا الكلب؟

قال العبد: إن أرضنا ليست بأرض كلاب، وعلمت أن هذا الكلب ما ساقه إلينا إلا الجوع، فآثرته على نفسى.

قال عبد الله: وكيف تصنع بنفسك هذا اليوم؟

قال العبد: أطوى هذه الليلة، أى: أبيت على الجوع.

قال عبد الله: يلومنى الناس على السخاء، وهذا الغلام أسخى منى.

فذهب عبد الله بن جعفر إلى سيد الغلام، وطلب منه أن يبيعه غلامه هذا.

قال سيد الغلام: ولِمَ تريد شراءه؟

فأخبره بما رأى منه، وأنه يريد شراءه وعتقه، وشراء البستان وإهداءه إليه.

فقال له السيد: أنت تريد أن تفعل به ذلك، بهذه الخصلة الواحدة،

ونحن لا نزال نرى منه العجائب كل يوم.

أُشهدك أنه حر لوجه الله تعالى، وأن البستان هبة منى إليه(١).

بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام

قال ﷺ: **«الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»** متفق عليه.

فالأرملة التى تُوفى عنها زوجها وترك لها أولادًا يتامى قد تجرعوا غصص اليتم منذ نعومة أظفارهم، فهم أحوج ما يكون إلى يد حانية تمتد؛ لتمسح جراحاتهم من على صفحات قلوبهم المنكسرة، ومن هذا المنطلق حثَّ النبى ﷺ أصحاب القلوب الرحيمة على أن يتسابقوا من أجل هؤلاء اليتامى، ومن أجل تلك الأم التى انكسر فؤادها بموت زوجها، فمن سعى عليها وعلى أولادها فهو كالمجاهد فى سبيل الله، وكالذى يقوم الليل؛ ليناجى ربه، وهو كذلك كالذى يصوم النهار، فأين أصحاب العقول، وأين المشمرون للفوز بهذا الأجر العظيم وتلك المكانة السامية؟!!

رُوى أنه كان هناك رجل قد نزل فى بلد من بلاد العجم، وله زوجة وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد، أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تبحث لهم عن القوت، فمرت بجمعين؛ جمع على رجل

(١) أنيس الصالحين (ص:٢٨).

مسلم، وهـو شيخ البلد، وجمع عـلى رجل مجوسى، وهو ضـامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له.

وقالت: أنا امـرأة مسلمـة ومعى بنات أيـتام أدخلتـهم بعض المساجـد المهجورة، وأريد الليلة قُوتهم - أى طعامًا-، فـقال لها: أقيمى عندى البينة أنك مسلمة شريفة.

فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى،... فأعرض عنها.

فمـضت من عنده منكسرة الـقلب، فجاءت إلى ذلك الـرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معهـا بنات أيتامًا، وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم، فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها، وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل، رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامـه كأن القيامة قد قـامت، وقد عُقـد اللواء على رأس النبى ﷺ وإذا القصـر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت، وفـيه قباب اللؤلؤ والمرجان، فقال: يا رسول الله! لمن هذا القصر؟

قال: لرجل مسلم موحد.

فقال: يا رسول الله! أنا رجل مسلم موحد.

فقال رسول الله ﷺ: «**لما قصدتك المرأة العلوية قلت أقـيمى عندى البينة أنك مسلـمة شريفـة فكذا أنت أقم عندى البينة أنـك مسلم؟!**»، فانتـبه الرجل حزينًا على ردِّه المرأة خائبة، ثم جـعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دُلَّ عليـها أنهـا عند المجوسى، فـأرسل إليه فـأتاه، فقـال له: أريد منك المرأة المسلمة الشريفة وبناتها.

فقال: ما إلى هذا من سبيل وقد لحقنى من بركاتهم ما لحقنى.

قال: خذ منى ألف دينار وسلمهن إلىَّ.

فقال: لا أفعل. لا بد منهن.

فقال له: إن الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خُلق لى، أتدل علىَّ بالإسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد هذه المرأة المسلمة، ورأيت مثل الذى رأيت فى منامك، وقال لى رسول الله ﷺ: «**المرأة وبناتها عندك**» قلت: نعم يا رسول الله.

قال: «**القصر لك ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا فى الأزل**».

قال: فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله، فانظر -رحمك الله- إلى بركة الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا(١).

فاحرص أخى الحبيب على الإحسان إلى اليتامى والأرامل؛ لتفوز بصحبة النبى ﷺ فى الجنة.

قال ﷺ كما عند البخارى: «**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا** - وأشار بالسبابة والوسطى - **وفرج بينهما**».

وفى رواية مسلم: «**أنا وكافل اليتيم له، أو لغيره فى الجنة، والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله**».



(١) الكبائر للإمام الذهبى (ص: ١٢١، ١٢٢).

الحمد لله
الذى لم يفيل فراستى

* عن خالد بن معدان قال: استعمل عمر بن الخطاب ﷺ بحمص سعيد ابن عامر بن حذيم، فلما قدم عمر حمص قال: يا أهل حمص! كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه، وكان يقال لأهل حمص: الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال، قالوا: نشكو أربعًا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار.

قال: أعظم بها.

قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل.

قال: عظيمة.

قال: وماذا؟ قالوا: له يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا.

قال: عظيمة.

قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام، أى: تأخذه موتة.

قال: فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: اللهم لا تُفيل رأيى فيه اليوم، ما تشتكون منه؟

قالوا: لا يخرج حتى يتعالى النهار.

قال سعيد: والله إنى كنت لأكره ذِكْرَهُ، إنه ليس لأهلى خادم فأعجن عجينهم، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزى، ثم أتوضأ، ثم أخرج إليهم.

فقال: ما تشتكون منه؟

قالوا: لا يجيب أحدًا بليل.

قال: ما يقولون؟

قال: إنى إن كنت لأكره ذكره، إنى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله - عز وجل.

قال: وما تشتكون منه؟

قالوا: إن له يومًا فى الشهر لا يخرج إلينا فيه.

قال: ما يقولون؟

قال: ليس لى خادم يغسل ثيابى، ولا لى ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم آخر النهار.

قال: ما تشتكون منه؟

قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام.

قال: ما يقولون؟

قال: شهدت مصرع خبيب الأنصارى بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع، فقالوا: أتحب أن محمدًا مكانك؟

فقال: والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمدًا شيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم، إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لى بذلك الذنب أبدًا، فتصيبنى تلك الغنظة.

فقال عمر: الحمد لله الذى لم يفيل فراستى، فبعث إليه بألف دينار، وقال: استعن بها على حاجتك، فقالت امرأته: الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك، فقال لها: فهل لك فى خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها، قالت: نعم، فدعا رجلاً من أهله يثق به فصررها صررًا، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهبية، فقال: أنفقى هذه، ثم عاد إلى عمله فقالت: ألا تشترى لنا خادمًا؟

ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين[١].

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٥٦، ٢٥٧).

ويا قوم
لا أسألكم عليه مالاً

وقع فى يوم من الأيام خلاف بين أبى جعفر المنصور وبين زوجته الحرة، أدى إلى شقاق بسبب ميله عنها، وطلبت العدل منه، فقال لها: بمن ترضين فى الحكم بينى وبينك؟

فقالت: بأبى حنيفة، فرضى هو به أيضًا، فأحضره، وقال له: الحرة تخاصمنى، فأنصفنى منها.

قال أبو حنيفة: ليتكلم أمير المؤمنين، فقال: كم يحل للرجل أن يتزوج من النساء فيجمع بينهن؟

قال: أربع.

قال: وكم يحل له من الإماء؟

قال: ما شاء، ليس لهن عدد.

قال: وهل يجوز لأحد أن يقول خلاف ذلك؟

قال: لا.

قال أبو جعفر: قد سمعت - يعنى سمعت مقالتى وحجتى - فقال أبوحنيفة: إنما أحل الله هذا لأهل العدل، فمن لم يعدل أو خاف ألا يعدل فينبغى ألا يجاوز الواحدة.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[1].

فينبغى لنا أن نتأدّب بأدب الله، ونتعظ بمواعظه، فسكت أبو جعفر وطال سكوته، فخرج أبو حنيفة، فلما وصل منزله، أرسلت إليه زوجة

(١) سورة النساء: آية: (٣).

الخليفة خادمًا، ومعه مال وثياب وجارية وحمار، فردها، وقال للخادم: أقرئها سلامى، وقل لها: إنما ناضلت عن دينى، وقمت ذلك المقام لله، لم أُرد بذلك تقربًا إلى أحد، ولا التمست به دنيا.

من بيتكم يخرج الورع الصادق

تروى كتب الأدب والتاريخ أن أخت بشر الحافى ذهبت إلى الإمام أحمد فقالت: إنا قوم نغزل بالليل، ومعاشنا منه، وربما يمر بنا مشاعل الظاهرية - حرس بنى ظاهر ولاة بغداد - ونحن على السطح، فنغزل فى ضوئها الطاقة والطاقتين، أفتُحله لنا أم تُحرمه ..؟ فقال لها: من أنت؟ ..

قالت: أخت بشر..

فقال: آه يا آل بشر.. لا عدمتكم.. لا أزال أسمع الورع الصافى من قِبَلِكم ..!

ويُروى أن أحمد - رحمه الله - بكى وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق .. لا تغزلى فى شعاعها.

* * *

الإمام الشافعى في بيت الإمام أحمد

كان الإمام أحمد كثيرًا ما يحدث ابنته عن فضل الإمام الشافعى وعلمه وتقواه، فدعاه الإمام يومًا لزيارته، فلما تناول طعام العشاء، توجه الشافعى إلى فراشه واستلقى عليه . . ونام.

فقالت بنت الإمام أحمد: يا أبتاه! أهذا هو الشافعى الذى كنت تحدثنى عنه؟

قال لها: نعم.

قالت: لقد لاحظت عليه ثلاثة أمور انتقدته فيها: إنه عندما قدمنا له الطعام أكل كثيرًا . . وعندما دخل الغرفة، لم يقم ليصلى قيام الليل والتهجد. . . وقد صلى بنا الفجر من غير أن يتوضأ!

فذهب أحمد للشافعى مستفسرًا عن هذه الأمور.

فقال له الشافعى: يا أحمد لقد أكلت كثيرًا لأننى أعلم أن طعامكم من حلال وأنت كريم، وطعام الكريم دواء، وطعام البخيل داء، وما أكلت لأشبع، وإنما أكلت لأتداوى بطعامك.

وأما أننى لم أقم الليل، فلأنى عندما وضعت رأسى لأنام، نظرت كأن كتاب الله وسنة نبيه أمام عينى، فاستنبطت اثنتين وسبعين مسألة فقهية ينتفع بها المسلمون، فلم يكن هناك فرصة لقيام الليل.

وأما أننى صليت بكم الفجر بغير وضوء، فوالله ما ذاقت عينى طعم النوم حتى أجدد الوضوء، فلقد بقيت طول الليل يقظانًا، فصليت بكم الفجر بوضوء العشاء.

كلام نقى من قلب تقى

* قال الفضيل بن الربيع: حج أمير المؤمنين الرشيد، فأتانى فخرجت مسرعًا، فقلت: يا أمير المؤمنين! . . لو أرسلت إلىَّ أتيتك.

فقال: ويحك! قد حك فى نفسى شىء، فانظر لى رجلاً أسأله.

فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة.

فقال: امض بنا إليه.

فأتيناه فقرعنا الباب.

فقال: من ذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين.

فخرج مسرعًا فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إلىَّ أتيتك.

فقال: خذ لما جئناك له رحمك الله.

فحدثه ساعة، ثم قال له: عليك دين؟ فقال: نعم.

فقال: أبا عباس! اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئًا، انظر لى رجلاً أسأله.

قلت: ها هنا عبد الرزاق بن همام.

قال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعنا الباب.

فخرج مسرعًا فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلت إلىَّ أتيتك.

فقال: خذ لما جئناك له.

فحدثه ساعة: ثم قال: عليك دين؟ فقال: نعم.

قال: أبا العباس! اقض دينه.

فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئًا، انظر لى رجلاً أسأله.

قلت: ها هنا الفضيل بن عياض.

قال: امض بنا إليه.

فأتيناه فهذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها.

فقال: اقرع الباب، فقرعت الباب، فقال: من هذا؟

فقلت: أجب أمير المؤمنين.

فقال: ما لى ولأمير المؤمنين.

فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعة.

فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت.

فدخلنا، فجعلنا نجول بأيدينا عليه، فسبقت كف هارون قبلى إليه.

فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدًا من عذاب الله - عز وجل.

فقلت فى نفسى: ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى.

فقال له: خذ لما جئناك به - رحمك الله.

فقال الفضيل: إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة، دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظى، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنى قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا علىَّ، فعدَّ الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله، فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له محمد بن كعب القرظى: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أبًا، وأوسطهم عندك أخًا، وأصغرهم عندك ولدًا.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدًا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت.

وإنى أقول لك: فإنى أخاف عليك أشد الخوف، يومًا تزل فيه الأقدام،

فهل معك رحمك الله مثل هذا، أو من يشير عليك بمثل هذا.

فبكى هارون بكاء شديدًا حتى غُشى عليه.

فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين.

فقال: يا ابن الربيع، تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا!!

ثم أفاق: فقال له: زدنى - رحمك الله.

فقال: يا أمير المؤمنين! بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه، فكتب إليه عمر: يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، قال: فلما قرأ الكتاب، طوى البلاد، حتى قدم على عمر بن عبد العزيز، فقال له: ما أقدمك؟

قال: خلعت قلبى بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل.

قال: فبكى هارون بكاء شديدًا، وقال له: زدنى - رحمك الله.

قال: يا حسن الوجه، أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غشّ لأحد من رعيتك، فإن النبى ﷺ قال: «**من أصبح لهم غاشًّا؛ لم يرح رائحة الجنة**».

فبكى هارون وقال له: عليك دين؟

قال: نعم، دين لربى يحاسبنى عليه، فالويل إن سألنى، والويل لى إن ناقشنى، والويل لى إن لم أُلَهم حُجتى.

قال: إنما أعنى من دين العباد.

قال: إن ربى لم يأمرنى بهذا، إنما يأمرنى أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[1].

---

(١) سورة الذاريات- الآيات: (٥٦ - ٥٨).

فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك، وتقوَّ بها على عبادتك.

فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئنى بمثل هذا سلمك الله ووفقك، ثم صمت فلم يكلمنا.

فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب، قال هارون: إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا، هذا سيد المسلمين.

فدخلت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا! قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجها به.

فقال لها: مثلى ومثلكم، كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه.

فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال.

فلما علم الفضيل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة، فجاء هارون، فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك، إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا! قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف -رحمك الله-، فانصرف[1].



(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٨).

وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها

يُحكى أن ابن أبشاذ النحوى كان يومًا على سطح جامع مصر وهو يأكل شيئًا وعنده ناس، فحضرهم قِطٌ فقدموا له لقمة فأخذها فى فمه وغاب عنهم ثم عاد إليهم، فرموا له شيئًا آخر ففعل كذلك وتردد مرارًا وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب، ثم يعود من فوره حتى عجبوا من ذلك القط، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته، فلما شكوا فى أمره تبعوه فوجدوه يصعد إلى حائط فى سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع بين خراب وفيه قط آخر أعمى وكل ما يأخذ من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله.

فعجبوا من تلك الحال، فقال ابن أبشاذ: إذا كان هذا حيوان أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلى؟!!

* * *

محنة واختبار

قال الراوى: أخبرنى أحد أعيان مدينة الرياض أنه فى عام ١٣٧٦هـ، ذهب مجموعة من البحارة من أهل الجبيل إلى البحر، يريدون اصطياد السمك، ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهن لم يحصلوا على سمكة واحدة، وكانوا يصلون الصلوات الخمس، وبجانبهم مجموعة أخرى لا تسجد لله سجدة، ولا تصلى صلاة، وإذا هم يصيدون، ويحصلون على طلبهم من هذا البحر، فقال بعض هؤلاء المجموعة: سبحان الله! نحن نصلى لله - عز وجل - كل صلاة، وما حصلنا على شىء من الصيد، وهؤلاء لا يسجدون لله سجدة وها هو صيدهم!!

فوسوس لهم الشيطان بترك الصلاة، فتركوا صلاة الفجر، ثم صلاة الظهر، ثم صلاة العصر، وبعد صلاة العصر أتوا إلى البحر فصادوا سمكة، فأخرجوها وبقروا بطنها، فوجدوا فيها لؤلؤة ثمينة، فأخذها أحدهم بيده، وقلبها ونظر إليها، وقال: سبحان الله! لما أطعنا الله ما حصلنا عليها، ولما عصيناه، حصلنا عليها!! إن هذا الرزق فيه نظر.

ثم أخذ اللؤلؤة ورمى بها فى البحر، وقال: يعوضنا الله، والله لا آخذها وقد حصلت لنا بعد أن تركنا الصلاة، . . . هيا ارتحلوا بنا من هذا المكان الذى عصينا الله فيه، فارتحلوا ما يقارب ثلاثة أميال، ونزلوا هناك فى خيمتهم، ثم اقتربوا من البحر ثانية، فصادوا سمكة الكنعد، فبقروا بطنها فوجدوا اللؤلؤة فى بطن تلك السمكة، وقالوا: الحمد لله الذى رزقنا رزقًا طيبًا. بعد أن بدؤوا يصلون ويذكرون الله ويستغفرونه، فأخذوا اللؤلؤة. اهـ[1].

---

(١) لا تحزن (ص: ٤٢٦ - ٤٢٧).

هكذا تفعل الدنيا بأهلها

قال وهب بن مُنبِّه: خرج عيسى - عليه السلام- يسيح فى الأرض فصحبه يهودى وكان معه رغيفان ومع عيسى رغيف، فقال له عيسى: تشاركنى فى طعامك؟ قال اليهودى: نعم، فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم، فقام عيسى (عليه السلام) إلى الصلاة. فذهب صاحبه وأكل رغيفًا، فلما أتم عيسى قدما طعامهما.

فقال عيسى لصاحبه: أين الرغيف الآخر؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فأكل عيسى رغيفًا وصاحبه رغيفًا، ثم انطلقا فجاؤوا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه: لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال: افعل.

فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتى يرد الله بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم.

فمس بصره ودعا الله له فأبصر.

فقال عيسى لليهودى: بالذى أراك الأعمى يبصر أما كان معك من رغيف؟ فقال: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فسكت عيسى عنه، فمرّاً بظباء ترعى فدعا عيسى - عليه السلام - ظبيًا منها فذبحه، ثم أكلا منه، ثم قال عيسى للظبى: قم بإذن الله فقام فقال الرجل: سبحان الله!

فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية، مَنْ أكل الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا.

فمضيا فمرا بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزاه، فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟

فقال الرجل: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا.

فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب فقال عيسى - عليه السلام -: واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث.

فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى.

فقال عيسى: هى لك كلها... وفارقه، فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه، فمر به ثلاثة نفر، فقتلوه وأخذوا الذهب.

فقال اثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فائتنا بطعام.

فقال أحد الباقين: نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا.

قال الآخر: نعم.

قال الذى ذهب يشترى الطعام: أجعل فى الطعام سمًّا فأقتلهما وآخذ الذهب وحدى، ففعل ما أملاه عليه شيطانه، فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضًا بجوار الذهب، فمر سيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب أشار إليهم وإلى الذهب قائلاً لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها... أ.هـ.

* ولقد حذرنا النبى ﷺ من أن تتعلق قلوبنا بالدنيا فقال ﷺ - كما فى الصحيحين -: **«فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم»**(١).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله.

فقال: **«إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»**(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٥٨) كتاب الجزية، ومسلم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٥) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٢) كتاب الزكاة.

وعنه أن رسول الله ﷺ قال - كما عند مسلم -: **«إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»**(١).

وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله! دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: **«ازهد فى الدنيا؛ يحبك الله، وازهد فيما عند الناس؛ يحبك الناس»**(٢).

وعن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»**(٣).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»**(٤).

وعن عبيد الله بن محصن الأنصارى الخطمى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أصبح منكم آمنًا فى سربه، معافىً فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»**(٥).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال- كما عند مسلم - : **«قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا، وقنعه الله بما آتاه»**(٦).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) حسن: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٤).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧).

(٥) حسن: رواه الترمذى (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٤١) كتاب الزهد، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).

(٦) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة.

يا بلاش .. زواج بدرهمين؟!

هذا هو سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى- كبير علماء التابعين، يخطب إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ابنته إلى ولى عهده الوليد بن عبد الملك، وكانت من أحسن النساء جمالاً وكمالاً، وأعلمهن بكتاب الله وسنة رسوله، ولكن سعيد بن المسيب لم يتردد فى الاعتذار عن ذلك، وأصر عليه - رغم ما أوقعه به عبد الملك من إيذاء، حتى ضربه مائة سوط - لما عُرف به الوليد من مجون واستهتار.

وعاد العالم الجليل إلى المدينة، فزاره عبد الله بن أبى وداعة (ويقال: كثير بن أبى وداعة) أحد تلامذته، فسأله عن حاله، وعلم منه بوفاة زوجه.

فقال له: هلا استحدثت امرأة؟

فقال: يرحمك الله تعالى، ومن يزوجنى، وما أملك سوى درهمين، أو ثلاثة؟

فقال له سعيد: أنا أزوجك.

قال: وتفعل؟

قال: نعم. فزوجه ابنته على درهمين أو ثلاثة؟

وهكذا: آثر سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - الفقير التقى، الذى توفرت له الكفاءة فى الدين، على الأمير الغنى الذى يفتقر إليها، ولم يكتف بذلك، بل بلغ به الاطمئنان والثقة فى دين ذلك الفقير، ما يحدثنا عنه فيقول: « . . فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ، وممن أستدين؟ فصليت المغرب، وانصرفت إلى

منزلى، فـأسرجت، وكنت صائـمًا، فقـدمت عشـائى لأفطر، وكان خـبزًا وزيتًا، وإذا بابى يُقرع.

فقال: من هذا؟

قال: سعيد . . . قال: ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد، إلا سعيد بن المسيب، وذلك أنه لم يُر أربعين سنة إلا بين داره والمسـجد، فخرجت إليه، فإذا به سـعيد بن المسيب، فظننت أنـه قد بدا له، فقلت: يا أبا محـمد؛ لو أرسلت إلىَّ لآتيك.

فقال: لا، أنت أحق أن تؤتَى.

قلت: فما تأمر؟

قال: إنك كنت رجلاً عزبًا فتـزوجت، فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك، وهذه امرأتك. وإذا هى قائمـة خلفه فى طوله، ثم أخذ بيدها، فدفـعها فى الباب وردَّه، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم تقدمت إلى القصعة التى فيها الخبز والزيت، فوضعتها فى ظل السراج؛ لكى لا تراه، ثم صعدت السطح، فرميت الجيران، فجاؤونى.

وقالوا: ما شأنك؟

قلت: ويحكم!! زوَّجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها الليلة على غفلة.

فقالوا: أَوَ سعيد زوجك؟

قلت: نعم.

قالوا: وهى فى الدار؟

قلت: نعم، فنزلوا إليها، وبلغ ذلك أمى، فـجاءت وقالت: وجهى من وجهك حرام إن مسستهـا قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثًا، ثم دخلت بها، فإذا هى من أجمل النساء، وأحفظ لكتاب الله تعالى، وأعلمهم

بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج.

فمكثت شهرًا لا يأتينى سعيد، ولا آتيه، فلما كان بعد الشهر أتيته وهو فى حلقته، فسلمت عليه، فرد علىَّ السلام، ولم يكلمنى حتى تفرق الناس من المجلس.

فقال: ما حال ذلك الإنسان؟

فقلت: بخير يا أبا محمد، على ما يحب الصديق، ويكره العدو.

فقال: إن رابك منه أمر فدونك والعصا، فانصرفت إلى منزلى، فوجَّه إلىَّ بعشرين ألف درهم.

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

كان رئيس مرو وقاضيها رجل اسمه: نوح بن مريم، وكان له نِعَمٌ كثيرة وحال موفور، وكانت له بنت ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، خطبها منه جماعة من أكابر الرؤساء وذوى النعمة وأكثروا فلم ينعم بها لأحد منهم، وتحيَّر فى أمرها ولم يدر لأيهم يزوجها، وقال: إن زوَّجتها بفلان أسخطتُ فلانًا.

وكان له غلام هندى دَيِّن تقى اسمه: مبارك، وكان له بستان عامر غامر الأشجار والفاكهة والثمار، فقال للغلام: أريد أن تمضى وتحفظ البستان، فمضى وأقام فى البستان شهرين، فجاء سيده فى بعض الأيام إلى البستان فقال له: يا مبارك، ناولنى عنقود عنب، فناوله عنقودًا فوجده حامضًا، فقال له سيده: أعطنى غير هذا، فناوله عنقودًا حامضًا، فقال سيده: ما السبب فى أنك لا تناولنى من هذا البستان الكبير إلا الحامض.

فقال: لأنى لا أعلم الحامض من الحلو.

فقال سيده: سبحان الله! لك مدة شهرين مقيمًا فى البستان، ولا تعرف الحلو من الحامض.

فقال: والله يا سيدى إننى ما ذقته ولا أعلم أحامض هو أم حلو، فقال: لِمَ لم تأكل منه؟

فقال: لأنك أمرتنى بحفظه ولم تأمرنى بأكله، فما كنت أخونك.

فتعجب القاضى منه وقال: حفظ الله عليك أمانتك، وعلم القاضى أن الغلام غزير العقل، فقال له: أيها الغلام قد وقع لى فيك رغبة وينبغى أن تفعل ما آمرك، فقال الغلام: أنا طائع لله ثم لك، فقال القاضى: اعلم أن لى بنتًا جميلة، وقد خطبها كثير من الأكابر والمتقدمين ولم أعلم لمن أزوجها، فأشِر علىَّ بما ترى.

فقال الغلام: اعلم أن الناس فى زمن الجاهلية كانوا يريدون الأصل والحسب والنسب، واليهود والنصارى يطلبون الحسن والجمال، وفى عهد رسول الله ﷺ كان الناس يطلبون الدين والتقى، وفى زمننا هذا يطلبون المال، فاختر الآن من هذه الأشياء الأربعة ما تريد.

فقال له القاضى: يا غلام، قد اخترت الدين والتقى، وأريد أن أزوجك بابنتى؛ لأنى قد وجدت فيك الدين والصلاح، وجربت منك التقى والأمانة.

فقال الغلام: أيها السيد، أنا عبد رقيق هندى، وابتعتنى بمالك، كيف تزوجنى بابنتك وكيف تختارنى لابنتك وترضانى؟

فقال له القاضى: قم بنا إلى البيت لندبر هذا الأمر، فلما صارا إلى المنزل قال القاضى لزوجته: اعلمى أن هذا الغلام الهندى دَيِّنٌ تقى، وقد رغبت فى صلاحه وأريد أن أزوجه بابنتى فما تقولين؟

قالت: الأمر إليك، ولكن أمضى وأُعلم الصبية وأعيد عليك جوابها،

فجاءت الأم إلى الصبية فأدت إليها رسالة أبيها فقالت: ما أمرتمانى به فعلته وما أخرج عن حكم الله وحكمكما ولا أعقكما بالمخالفة لأمركما.

فزوَّج القاضى ابنته بمبارك وأعطاهما مالاً عظيمًا، وكان من ثمرة هذا الزواج المبارك عبد الله بن المبارك صاحب العلم والزهد ورواية الحديث وما دامت الدنيا فالحديث عنه يُروى.

ورطة تساوى وزنها ذهبًا

دخل أحد السلف أحد المزارع وكان جائعًا مُتعبًا فشدته نفسه لأن يأكل، وبدأت المعدة تقرقر فأطلق عينيه فى الأشجار فرأى تفاحة، فمد يده إليها ثم أكل نصفها بحفظ الله ورعايته، ثم شرب من ماء النهر بجانب المزرعة، لكن انتبه بعد ذلك من غفلته بسبب الجوع، وقال لنفسه: ويحك! كيف تأكل من ثمار غيرك دون استئذان... وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة يطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة، فبحث حتى وجد داره، فطرق عليه الباب، فلما خرج صاحب المزرعة، استفسر عن ما يريد.

قال صاحبنا: دخلت بستانك الذى بجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها، ثم تذكرت أنها ليست لى وأريد منك أن تعذرنى فى أكلها، وأن تسامحنى عن هذا الخطأ.

فقال الرجل: لا أسامحك ولا أسمح لك أبدًا إلا بشرط واحد.

قال صاحبنا: وهو ثابت بن النعمان: وما هو هذا الشرط؟

قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتى.

قال ثابت: أتزوجها!

قال الرجل: ولكن انتبه، إن ابنتى عمياء لا تبصر، خرساء لا تتكلم، وصماء لا تسمع.

وبدأ ثابت بن النعمان يفكر ويقدر - أنعِم بها من ورطة - ماذا يفعل؟ ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وشأنها وتربيتها وخدمتها خير من أن يأكل الصديد فى جهنم، جزاء ما أكله من التفاحة وما الأيام وما الدنيا إلا أياماً معدودات، فقبل الزواج على مضض وهو يحتسب الأجر والثواب من الله رب العالمين.

وجاء يوم الزفاف وقد غلب الهم على صاحبنا كيف أدخل على امرأة لا تتكلم ولا تبصر ولا تسمع، فاضطرب حاله وتمنى أن لو ابتلعته الأرض قبل هذه الحادثة، ولكنه توكل على الله، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ودخل عليها يوم الزفاف، فإذا بهذه المرأة تقوم إليه، وتقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فلما نظر إليها، تذكر ما يتخيله عن الحور العين فى الجنة.

قال بعد صمت: ما هذا؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر فأخبرها بما قال عنها أبوها.

قالت: صدق أبى، ولم يكذب.

قال: اصدقينى الخبر.

قالت: أبى قال عنى: إننى خرساء؛ لأننى لم أتكلم بكلمة حرام، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لى، وإننى صماء لأننى ما جلست فى مجلس فيه غيبة ونميمة ولغو، وإننى عمياء؛ لأننى لم أنظر إلى أى رجل لا يحل لى.

فانظر واعتبر بحال هذا الرجل التقى وهذه المرأة التقية وكيف جمع الله بينهما.

يا غلام ارجع إلى بستانك آمنًا

يُحكى أن بعض الملوك التفت وهو على أعلى قصره فرأى امرأة على سطح دار وكانت جميلة جدًّا.

فقال الملك لبعض جواريه: لمن هذه المرأة؟

فقالوا للملك: هذه زوجة غلامك فيروز.

فنزل الملك وقد شغفه حبها، فاستدعى غلامه، وقال له: يا فيروز.

قال: لبيك يا مولاى.

قال: خذ هذا الكتاب، وامض به إلى البلد الفلانية وائتنى بالجواب.

فأخذ الغلام الجواب، وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز نفسه للسفر فلما أصبح ودع أهله وسار طالبًا حاجة الملك، ولم يعلم بما دبره الملك.

أما الملك فإنه توجه إلى دار غلامه، فقرع الباب قرعًا خفيفًا، فقالت امرأة الغلام: أرى مولانا عندنا اليوم.

قال: جئت زائرًا.

فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة وما أظن فيها خيرًا.

فقال لها: ويحك! إننى أنا الملك وسيد زوجك وما أظنك عرفتينى؟

فقالت: بل عرفتك يا مولاى، ولكن سبقك الأوائل فى قولهم:

سأترك ماءكم من غير ورد
وذلك لكثرة الوارد فيه

إذا سقط الذباب على طعام
رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وتجـــــتنب الأســـــود ورود مــــــاء
إذا كـــــان الكلاب ولـغن فـــيــــه

ثم قالت: أيها الملك تأتى إلى موضع شركك كلبك تشرب منه، فاستحيا الملك من كلامها، وخرج وتركها، ونسى نعله فى الدار.

أما الغلام فإنه لما خرج لحاجة سيـده، وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه فتـذكر أنه نسيـه تحت فراشه، فـرجع إلى داره فوافق وصوله عـقب خروج الملك من داره، فوجد نعـل الملك فى الدار فطاش عقله، وعلم أن الملك لم يرسله فى هذا السفر إلا لأمر يفعله.

فسكت ولم يُبد كلامًا وأخذ الكتـاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد فأنعم الملك عليه مائة دينار فمضى إلى السوق، واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة وأتى إلى زوجته فسـلم عليها، وقال لها: قومى إلى زيارة بيت أبيك.

قالت: لماذا؟

قال: إن الملك أنعـم علىَّ وأريد أن تُظهـــرى لأهلك ذلك، فـقـــامت وتوجهت إلى بيت أبيـها، ففـرحوا بها وبما جاءت بـه معها، فـأقامت عند أهلها شهرًا، فلم يسأل عنها زوجها ولم يذكرها.

فأتى إليه أخوها، وقال: إما أن تخبـرنا بسبب غضبك، وإما أن تحاكمنا إلى الملك.

فقال فيروز: إن شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها علىَّ حقًّا.

فطلبـوه إلى الحكم، فأتى مـعهم إلى القـاضى وهو إذ ذاك جالسًـا إلى جوار المـلك، فقال أخـو الزوجة: مـولانا قاضى الـقضاة إنى أجـرت هذا الغلام بستانًا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة، وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره، فالتفت القاضى إلى الغلام، وقال له: ما تقول

يا فيروز، فقـال: أيها القاضى! قد تسلمت البستان وسلمتـه إليه أحسن ما كان.

فقال القاضى: هل سلم البستان كما كان؟

قال: نعم، ولكن أريد معرفة السبب لرده.

قال القاضى: ما تقول يا فيروز؟

فقال: والله يا مولاى ما رددت البستان كراهة فيه، وإنما جئت من الأيام فـوجدت فـيه أثر الأسـد - يعنى نعل الملك - فـخفت أن يغـتالنى الأسـد فحرمت دخـول البستان إكرامًا للأسـد، وكان الملك متكئًا فاستـوى جالسًا، وقال: يا غلام! ارجع إلى بستانك آمنًا، فـوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثرًا، ولا التـمس منه ورقًا ولا ثمرًا ولا شيئًا، ولـم يلبث فـيه غير لحظة يسيـرة وخرج من غير بأس، ووالـله ما رأى الأسد مثل بسـتانك ولا أشـد احتـرازًا من حيـطانه على شجـره، فـرجع الغلام إلى داره وردَّ إليـه زوجته، ولم يعلم القاضى ولا غيره بشىء مما حدث.

* * *

من ترك شيئًا لله؛ عوَّضه الله خيرًا منه

قال القاضى أبو بكر بن عبد الباقى بن محمد البزار الأنصارى المتوفى سنة (٥٣٥ هـ) ببغداد:

كنت مجاوراً بمكة - حرسها الله تعالى-، فأصابنى يومًا من الأيام جوع شديد لم أجد شيئًا أدفع به عنى الجوع، فوجدت كيسًا من أبريسم مشدودًا بشرابة من إبريسم أيضًا، فأخذته وجئت به إلى بيتى، فحللته فوجدت فيه عقدًا من لؤلؤ لم أر مثله.

فخرجت فإذا بشيخ ينادى عليه، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار، وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذى فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس.

فقلت له: تعال إلىّ، فأخذته وجئت به إلى بيتى، فأعطانى علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذى هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إلىَّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علىَّ أن أعيده إليك، ولا آخذ له جزاءً.

فقال لى: لا بد أن تأخذ وألحَّ علىَّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركنى ومضى.

وأما ما كان منى، فإنى خرجت من مكة وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسَلِمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة فى البحر لا أدرى أين أذهب؟ فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت فى بعض المساجد، فسمعونى أقرأ، فلم يبق فى تلك الجزيرة أحد إلا جاء

إلىَّ وقال: علمنى القرآن، فحصل لى من أولئك شيء كثير من المال.

ثم إنى رأيت فى ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لى: تُحسن تكتب؟

فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاؤوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنت أعلمهم، فحصل لى أيضًا من ذلك شيء كثير، فقالوا لى بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة، ولها شيء من الدنيا، نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لا بد، وألزمونى فأجبتهم إلى ذلك.

فلما زفوها إلىَّ، مددت عينى أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا فى عنقها، فما كان لى حينئذٍ شغل إلا النظر إليه.

فقالوا: يا شيخ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم؟

فقالوا: ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدت فى الدنيا مسلمًا أتقى من هذا الرجل الذى ردَّ علىَّ هذا العقد.

وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بينى وبينه حتى أزوجه بابنتى.

والآن قد حصلت... قال: فبقيت معها مدة، ورُزقت منها بولدين، ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداى، ثم مات الولدان، فحصل العقد لى، فبعته بمائة ألف دينار، وهذا المال الذى ترونه معى من بقايا ذلك المال.

* * *

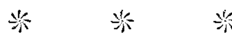
صنائع المعروف تقى مصارع السوء

قال ﷺ: «**صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد فى العمر**»(١).

حُكى أن رجلاً جلس يومًا يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره وطرده.

ودارت الأيام وافتقر هذا الرجل وزالت نعمته حتى إنه طلق زوجته، وتزوجت من بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب، فقال الرجل لزوجته: ادفعى إليه هذه الدجاجة، فخرجت بها إليه فإذا به زوجها الأول فأعطته الدجاجة ورجعت وهى تبكى إلى زوجها فسألها عن بكائها، فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الأول وطرده فقال لها زوجها: ومم تعجبين وأنا والله السائل الأول!

فتأمل معى - أخى الحبيب - كيف أن الرجل لما انتهر السائل وطرده حدث له ما حدث . . . ولو كان رد السائل بلطف ورحمة، أو أعطاه شيئًا يسيرًا فلربما كان الأمر على خلاف ذلك - والله أعلم.



(١) رواه الطبرانى فى الكبير، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٧٩٧).

النساء ثلاث !!

حكى ابن حبيب أن رجلاً أقسم على ألا يتزوج حتى يشاور مائة إنسان، وذلك نظرًا لما قاساه من النساء.

فاستشار تسعة وتسعين، وبقى عليه واحد .. فخرج يسأل من لقيه، وإذا بمجنون قد اتخذ قلادة من عظم وسوَّد وجهه، وركب قصبة كالفرس، فسلم عليه.

وقال له: أريد أن أسألك عن مسألة أرجو الجواب عنها.

فقال له: سل ما يعنيك، وإياك أن تتعرض لما لا يعنيك.

قال له: إنى رجل لقيت من النساء بلاء عظيمًا .. وآليت على نفسى أن لا أتزوج حتى أستشير مائة نفس، وأنت تمام المائة، فماذا تقول؟

فقال: اعلم أن النساء ثلاث، واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك، ولا عليك.

أما التى لك: فهى شابة جميلة لطيفة لم يعرفها الرجال قبلك، إن رأت خيرًا حمدت، وإن رأت شرًّا سترت.

وأما التى عليك: فامرأة لها ولد من غيرك، فهى تنهب مالك وتعطى ولدها، ولا تشكرك مهما عملت معها.

وأما التى لا لك ولا عليك: فهى امرأة قد تزوجت غيرك من قبلك، فإن رأت خيرًا قالت: هذا ما نحب، وإن رأت شرًّا؛ حنت إلى زوجها الأول.

وهذه هى أحوال النساء، شرحتها لك فاعلم، وإن شئت تتزوج فانتقى من خيرهن وإلا، فلا.

قال: ناشدتك الله من أنت؟

قال الرجل المتمم للمائة: ألم أشترط عليك ألا تسأل عما لا يعنيك؟

وصية غالية في ليلة البناء

خطب عمرو بن حُجر إلى عوف بن مُحلم الشيبانى ابنته أمَّ إياس.

فقال: نعم أُزوجكُما على أن أُسمى بنيها، وأزوج بناتها.

فقال عمرو بن حُجر: أما بنوننا فنسميهم بأسمائنا، وأسماء آبائنا وعمومتنا، وأما بناتنا فننكحهن أكفاءهن من الملوك، ولكنى أُصدقها عقارًا فى كندة، وأمنحها حاجات قومها، لا تُرد لأحد منهم حاجة! فقبل ذلك منه أبوها، وأنكحه إياها، فلما كان بناؤه، خلت بها أمها فقالت:

أى بنية؛ إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت، وعُشَّك الذى فيه درجت، إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكونى له أَمة؛ يكن لك عبدًا، واحفظى له خصالاً عشرًا؛ تكن لك ذخرًا:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم إلا أطيب ريح!

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتفاظ بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وملاك الأمر فى المال: حسن التقدير، وفى العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرًا، ولا تُفشين له سرًّا، فإنك إن

خالفت أمره؛ أوغرت صدره، وإن أفشيت سره؛ لم تأمنى غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتمًّا، والكآبة بين يديه إن كان فرحًا.

فولدت له الحارث بن عمرو جَد امرئ القيس الشاعر.

الدنيا لا تساوى شربة ماء

طلب هارون الرشيد ماء، فلما أراد شربه، قال له ابن السماك: مهلاً يا أمير المؤمنين! لو مُنعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها؟

فقال: بنصف ملكى.

قال: اشرب.

فلما شرب قال: لو مُنعت خروجها من بدنك، بماذا كنت تشتريها؟

قال الرشيد: بجميع ملكى.

فقال له ابن السماك: إن مُلكًا لا يساوى شربة ماء وخروج بولة لجدير أن لا يُنافس فيه.

* * *

ذكاء المغيرة بن شعبة

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب استعمل المغيرة بن شعبة على البحرين، فكرهوه، فعزله عنهم، فخافوا أن يرده، فقال دهقانهم(١): اجمعوا مائة ألف درهم حتى أذهب بها إلى عمر وأقول له: إن المغيرة اختان(٢) هذا ودفعه إليَّ.

ففعلوا، فأتى عمر، وقال: إن المغيرة اختان هذا ودفعه إليَّ، فدعا عمر المغيرة، وقال: ما يقول هذا؟

قال: كذب! إنما كانت مائتى ألف!

قال: فما حملك على ذلك؟

قال: العيال والحاجة.

فقال عمر للعلج(٣): ما تقول؟

قال: والله لأصدُقنك، والله ما دفع إليَّ قليلاً ولا كثيراً.

فقال عمر للمغيرة: ما أردت إلى هذا؟

قال: الخبيث كذب عليَّ، فأحببت أن أُخزيه.

* * *

(١) الدهقان: زعيم فلاحى العجم.

(٢) أى: خان.

(٣) الواحد من كفار العجم.

إن من يمد رجله لا يمد يده

* قدم السلطان عبد العزيز إلى مصر وزار الجامع الأزهر وصحبه الخديوى إسماعيل، فلاحظ الخديوى على شيخ الجامع أنه غير مهتم بهم فهو مُسندٌ ظهره، مادٌّ رجله، فأسرع بالسلطان عنه، ثم كلف الخديوى أحد رجاله أن يذهب لهذا الشيخ بصُرةٍ فيها فلوس يريد أن يجذبه إليها بها ويعرف حاله.

فلما جاء الرسول للشيخ؛ ليعطيه الصرة، قبض الشيخ عنه يده وقال له: قل لمن أرسلك: إن من يمد رجله، لا يمد يده.

ابن عباس رضى الله عنهما يُفحم الخوارج

* عن عبد الله بن عباس قال: لما اعتزلت حروراء[1] وكانوا فى دار على حدتهم، قلت لعلى: يا أمير المؤمنين! أبرد عن الصلاة لعلى آتى هؤلاء القوم فأكلمهم.

قال: فإنى أتخوفهم عليك.

قال: قلت: كلا إن شاء الله.

قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون فى نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قومًا قط أشد اجتهادًا

(١) هم الخوارج ونزلوا مكانًا يقال له: حروراء، ومن ثَمَّ قيل لهم الحرورية.

منهم، أيديهم كأنها تغن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود قال: فدخلت، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟

قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، نزل الوحى وهم أعلم بتأويله.

فقال بعضهم: لا تحدثوه.

وقال بعضهم: لتحدثنه.

قال: قلت: أخبرونى ما تنقمون على ابن عم رسول الله وختنه وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثًا.

قلت: ما هن؟

قالوا: أولهن: إنه حكَّم الرجال فى دين الله، وقد قال الله: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾(١).

قال: قلت: وماذا؟

قالوا: وقاتل ولم يَسب ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم.

قال: قلت: وماذا؟

قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم وحدثتكم من سنة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون؟

قالوا: نعم.

قال: قلت: أما قولكم: إنه حكَّم الرجال فى دين الله فإنه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) سورة يوسف: الآية: (٤٠).

الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ..﴾ إلى قوله: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾(١).

وقال فى المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾(٢).

أنشدكم الله أحكم الرجال فى حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم فى أرنب ثمنها ربع درهم؟

قالوا: اللهم فى حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم.

قال: خرجت من هذه؟

قالوا: اللهم نعم.

وأما قولكم: إنه قاتل ولم يَسْب ولم يغنم؛ أتسبون أُمكم أَم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله عز وجل يقول: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾(٣) فأنتم تترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم. أخرجت من هذه؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم: إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابًا، فقال: «**اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله**» فقالوا: والله لو كنا نعم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال: «**والله إنى لرسول الله وإن كذبتمونى اكتب يا على: محمد بن عبد الله**».

فرسول الله ﷺ كان أفضل من على، أخرجت من هذه؟

---

(١) سورة المائدة: الآية: (٩٥).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٥).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٦).

قـالوا: اللهم نعم، فـرجع منهم عـشـرون ألفًا وبقى منـهم أربعة ألفًـا فقُتلوا[(١)].

الأدب مَنجاة

قيل: إن ملكًا من ملوك الفرس قـرب إليه طباخـه طعامًا، فـوقعت منه نقطة على المائدة على المـلك، فأعـرض الملك عنه إعراضًـا تحقق به الطبـاخ قتله، فأمسك الطباخ بالإناء وكفأه، وألقاه على المائدة وعلى الملك.

فقال الملك: ما حملك على ما فعلت، وقـد علمت أن سقوط النقطة قد تؤدى إلى قتلك؟

فقـال الطباخ: استحـييت أن الناس تسمع عن الملك أنه استـوجب قتلى واستباح دمى مع قديم خدمـتى ولزومى حرمته فى نقطة واحدة أخطأت بها يدى فأردت أن يعظم ذنبى ليـحسن بالملك قتلى ويُعذر فى قـتلى، من فعل مثل فعلى، فعفا عنه الملك وأمر بإعطائه جائزة.



(١) حديث حسن: رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠٥٩٨)، وأبو نعيم فى الحلية (١/٣١٨- ٣٢٠).

أنا الذى أعرفك!!

حُكى أن مطرف بن عبد الله بن الشخِّير نظر إلى المهلَّب بن أبى صُفرة وعليه حُلة يسحبها، ويمشى الخيلاء.

فقال: يا أبا عبد الله! ما هذه المشية التى يبغضها الله ورسوله؟

فقال المهلب: أما تعرفنى؟

فقال: بل أعرفك؛ أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة، فأخذ ابن عوف هذا الكلام، فنظمه شعرًا، فقال:

عجبت من مُعجبٍ بصورته
وكان بالأمس نطفة مذرة
وفى غدٍ بعد حسن صورته
يصير فى اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونحوته
ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وقد كان المهلب أفضل من أن تُخدع نفسه بهذا الجواب، ولكنها زلة من زلات الاسترسال، وخطيئة من خطايا الإدلال.

* * *

ثمرة مريرة لسوء الفهم

كان الخوارج إذا أصابوا فى طريقهم مسلمًا على خلاف معتقدهم قتلوه؛ لأنه عندهم كافر، وإذا أصابوا نصرانيًّا استوصوا به، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم!!

وقد حُكى: أن واصل بن عطاء أقبل فى رفقة، فأحسوا بالخوارج، فقال واصل لأهل الرفقة: إن هذا ليس من شأنكم، فاعتزلونى ودعونى وإياهم، وكانوا قد أشرفوا على الهلاك، فقالوا: شأنك.

فخرج واصل إليهم، فقالوا له: ما أنت وأصحابك؟

قال: قوم مشركون، مستجيرون بكم؛ ليسمعوا كلام الله ويفهموا حدوده.

قالوا: قد أجرناكم.

قال: فعلمونا.. فجعلوا يعلمونه أحكامهم.

ويقول واصل: قد قبلت أنا ومن معى.

قالوا: فامضوا مصاحبين - أى: بالسلامة - فقد صرتم إخواننا.

فقال: بل تبلغوننا مأمننا؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**﴾(١).

فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذلك لكم.. فساروا معهم حتى أبلغوهم مأمنهم.

* * *

(١) سورة التوبة - آية: (٦).

من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها

كان أحد الخلفاء يحسن استقبال العلماء، ويكرمهم بالمال، وذات يوم اندسَّ بينهم رجل يحمل جرة، وثيابه مهلهلة، فاستلفت نظره، وسأله عن حاجته فأجاب:

ولما رأيت القوم شدوا رحالهم
إلى بحرك الطامى أتيت بجرتى

فدهش الخليفة من سرعة خاطره، وحسن جوابه، وقال لخازنه: املأ جرته ذهبًا، فملأها، وأخذها الرجل، فحسده بعض من رأوه، وادعوا أنه أبله، لا يعرف قيمة المال، وربما أنفقه فى غير محله.

فقال الخليفة: المال ماله، ومثلى يعطى ولا يرجع فى العطاء.

أما الرجل فلقد حمل الجرة، وتوجه إلى الحى الذى يعيش فيه، فوزع الذهب على الفقراء حتى انتهى ما معه.

وعلم الخليفة بفعله، فأرسل إليه يسأله عن سر ذلك.

فقال:

يجود علينا الخيِّرون بمالهم
ونحن بمال الخيِّرين نجود

فأُعجب الخليفة بجوابه، وأمر له أن يعطى مقابل ما كان فى الجرة عشر مرات.

فقال الرجل: صدق الله العظيم القائل: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾(١).

---

(١) سورة الأنعام: آية: (١٦٠).

الكلام على أربعة وجوه

قال أبو إسحاق الفزارى: كان إبراهيم بن أدهم يطيل السكوت، فإذا تكلم انبسط، فقلت له ذات يوم: لو تكلمت، فقال: الكلام على أربعة وجوه، فمنه كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته، فالفضل منه السلامة، ومنه كلام لا ترجو منفعته، ولا تخشى عاقبته، فأقلُّ ما لك فى تركه خفة المؤونة على بدنك ولسانك، ومنه كلام لا ترجو منفعته وتخشى عاقبته، وهذا هو الداء العضال، ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذى يجب عليك نشره، قال: فإذا هو قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام.

ثمار قلوبنا

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس، فقال: يا أبا بحر! ما تقول فى الولد؟

قال: يا أمير المؤمنين! ثمارُ قلوبنا، وعمادُ ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماءٌ ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك وُدهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلاً، فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك.

فقال: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت علىَّ وإنى لمملوء غضبًا على يزيد، فسللته من قلبى.. فلما خرج الأحنف من عنده، بعث معاوية إلى يزيد بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب، فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب، شاطره إياها.

امرأة توصى ولدها

قالت امرأة توصى ولدها: أى بنى: اجلس أمنحك وصيتى، وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى عليك من كثير عقلك.

أى بنى إياك والنميمة، فإنها تزرع الضغينة، وتُفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتُتخذ غرضًا، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضًا إلا كَلَمْته حتى يهى ما اشتد من قوته.

وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريمًا يلين لهزتك، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا يتفجر ماؤها، ومثِّل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه.

قلب الأم

خرجت امرأتان ومعهما صبيان، فتعدى الذئب على صبى إحداهما وأكله، فاختصمتا فى الصبى الثانى إلى داود - عليه السلام-، فقصتا عليه القصة، فحكم به للكبرى منهما، فاختصمتا إلى سليمان - عليه السلام.

فقال: ائتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منهما نصف.

فقالت الصغرى: أتشقه يا رسول الله؟

قال: نعم.

فقالت: لا تفعل، فنصيبى فيه لها.

فقال: خذيه فهو ابنك، وقضى به لها.

* وتأمل معى هذه القصة التى صاغها الشاعر فى تلك الأبيات:

أغرى امْرُؤٌ يومًا غلامًا جاهلاً
بنقوده كيما ينال به الوطر
قال: ائتنى بفؤاد أمك يا فتى
ولك الجواهر والدراهم والدُّرر
فمضى وأغرز خنجرًا فى صدرها
والقلبَ أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى
فتدحرج القلب المقطع إذ عثر
ناداه قلبُ الأم وهو مُعفرٌ
ولدى حبيبى هل أصابك من ضرر؟
فكأن هذا الصوت رغم حُنُوِّه
غضبُ السماء على الغلام قد انهمر
فدرى فظيع جنايةٍ لم يَجْنها
ولدٌ سواه منذ تاريخ البشر
فارْتد نحو القلب يغسله بما
فاضت به عيناه من سيل العبر
ويقولُ: يا قلب انتقم منى ولا
تغفر فإن جريمتى لا تُغتفر
واستل خنجره ليطعن قلبَه
طعنًا فيبقى عِبرةً لمن اعتبر
ناداه قلبُ الأم كُف يدًا، ولا
تطعن فؤادى مرتين على الأثر

الجزاء من جنس العمل

اعلم أيها الأخ الكريم أنه كما تدين تدان، وكما تزرع تحصد.

ذكر العلماء أن رجلاً كان عنده والد كبير، فتأفف من خدمته ومن القيام بأمره، فأخذه وخرج إلى الصحراء؛ ليذبحه، فلما وصل إلى صخرة أنزله هناك فقال: يا بنى! ماذا تريد أن تفعل بى؟

قال: أريد أن أذبحك.

قال: يا بنى! هذا جزاء الإحسان؟

قال الابن: لا بد من ذبحك فقد أسأمتنى وأمللتنى . .

فقال الأب: يا بنى! إن أبيت إلا ذبحى فاذبحنى عند الصخرة التالية ولا تذبحنى هنا أو هناك؟

قال الابن: وما ضرك أن أذبحك هنا أو هناك؟!

قال: يا بنى! إن كان الجزاء من جنس العمل فاذبحنى عند الصخرة التالية فلقد ذبحت أبى هناك . . ولك يا بنى مثلها.

فاحرص أخى الحبيب على بر الوالدين؛ لتظفر بالخير فى الدنيا والآخرة فبر الوالدين سبب لتفريج الكربات ومجلبة للتوفيق فى الدنيا والآخرة، وهو سبب لسعة الرزق وزيادة العمر وهو سبب للفوز برحمة الله ومغفرته، وهو سبب لدخول جنة الرحمن، كما قال سيد الأنام ﷺ: **«الوالد أوسط أبواب الجنة»**(١).



(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٠٠) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٢٠٨٩) كتاب الطلاق، وأحمد (٢١٢١٠)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩١٤).

يتحمل أذى جاره عشرين سنة فكان سبب إسلامه

كان للحسن البصرى جار نصرانى وكان له كنيف على السطح وقد نقب ذلك فى بيتـه، فكان يتسرب منه البـول فى بيت الحسن، وكان الحسن أمر بإناء فوُضع تحتـه، فكان يُخـرجُ ما يجتمع منه ليلاً. ومضى على ذلك عشرون سنة.

ثم مرض الحسن ذات يوم فعاده النصرانى، فرأى ذلك.

فقال: مُذ كم تحملون منِّى هذا الأذى؟

فقال الحسن: منذ عشرين سنة. فقطع النصارنى زُنَّارَه[١] وأسلم.

البخارى.. وقصة أغرب من الخيال

قدم محمـد بن إسماعيل البخارى بغداد، فسـمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا إليه وعمدوا إلى أحـاديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخـر، وإسناد هذا المتن لمتن آخـر، ودفعـوا إلى عشـرة أنفس، إلى كل رجل عـشرة أحـاديث، وأمروهم إذا حضـروا المجلس، أن يلقوا ذلك على البخارى، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعة أصحاب الحديـث من الغرباء أهل خراسان، وغيرها، من البـغداديين، فلما

(١) الزُنَّار: حزام يشده النصرانى على وسطه.

اطمأن المجلس بأهلـه انتُدب إليه رجل من العـشرة، فسـأله عن حديث من تلك الأحاديث.

فقال البخارى: لا أعرفـه، فسأله عن آخر: فـقال: لا أعرفه. فـمازال يلقى عليه واحـدًا بعد واحد بعـد واحد حتى فـرغ من عشرته، والبـخارى يقول: لا أعـرفه، فكان الفـهمـاء ممن حضر المجلس يلتفت بعـضهم إلى بعض، ويقـولون: الرجل فَـهمٌ، ومن كـان منهم غـيـر ذلك يقـضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم.

ثم انتدب رجل آخر مـن العشرة فسأله عن حـديث من تلك الأحاديث المقلوبة، فقـال البخارى: لا أعرفه، فـسأله عن آخر. فقـال: لا أعرفه فلم يزل يلقى عليه واحدًا بعـد آخر حتى فرغ من عشرته، والبـخارى يقول: لا أعرفه، ثم انتـدب إليه الثالث والرابع حتى تمام العشرة، حـتى فرغوا كلهم من الأحـاديث المقلوبة، والبخـارى لا يزيدهم على: لا أعـرفه، فلمـا علم البخـارى أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فـقال: أما حديثـك الأول فهو كذا، والحديث الثانى فهـو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، وردّ متون الأحاديث كلها إلى أسانـيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

* * *

رسالة لكل كذاب

قال الراوى: صديق والدى يحكى له هذه القصة العجيبة . .

يقول: فى أحد المرات كنت جالسًا فى البرية وأقلب بصرى هنا وهناك، أنظر إلى مخلوقات الله وأتعجب من بديع صنع الرحمن.

ولفت نظرى هذه النملة التى كانت تجوب المكان من حولى تبحث عن شيء لا أظن أنها تعرفه.. ولكنها تبحث وتبحث .. لا تكل .. ولا تمل..

يقول: وأثناء بحثها عثرت على بقايا جرادة .. وبالتحديد رِجل جرادة.. وأخذت تسحب فيها وتسحب وتحاول أن تحملها إلى حيث مطلوب منها فى عالم النمل وقوانينه أن تضعها .. هى مجتهدة فى عملها وما كلفت به.. تحاول .. وتحاول ..

يقول: وبعد أن عجزت عن حملها، أو جرها ذهبت إلى حيث لا أدرى واختفت .. وسرعان ما عادت ومعها مجموعة من النمل كبيرة وعندما رأيتهم علمت أنها استدعتهم لمساعدتها على حمل ما صعب عليها حمله .. فأردت التسلية قليلاً وحملت تلك الجرادة، أو بالأصح رجل الجرادة وأخفيتها.. فأخذت هى ومن معها من النمل بالبحث عن هذه الرجل .. هنا وهناك .. حتى يئسوا من وجودها فذهبوا ..

لحظات، ثم عادت تلك النملة لوحدها فوضعت تلك الجرادة أمامها .. فأخذت تدور حولها وتنظر حولها .. ثم حاولت جرها من جديد .. حاولت ثم حاولت .. حتى عجزت .. ثم ذهبت مرة أخرى ... ذهبت لتنادى على أبناء قبيلتها من النمل؛ ليساعدوها على حملها بعد أن عثرت

عليها .. جاءت مجموعة من النمل مع هذه النملة بطلة قصتنا وأظنها نفس تلك المجموعة..!!

يقول: جاؤوا وعندما رأيتهم ضحكت كثيراً وحملت تلك الجرادة وأخفيتها عنهم .. بحثوا هنا وهناك .. بحثوا بكل إخلاص .. وبحثت تلك النملة بكل ما لها من همة .. تدور هنا وهناك .. تنظر يميناً ويساراً.. لعلها أن ترى شيئاً ولكن لا شيء فأنا أخفيت تلك الجرادة عن أنظارهم .. ثم اجتمعت تلك المجموعة من النمل مع بعضها بعد أن ملت من البحث ومن بينهم هذه النملة، ثم هجموا عليها فقطعوها إرباً أمامي وأنا أنظر والله إليهم وأنا في دهشة كبيرة وأرعبني ما حدث .. قتلوها .. قتلوا تلك النملة المسكينة، قطعوها أمامي .. نعم قتلوها أمامي قُتلت وبسببي .. وأظنهم قتلوها؛ لأنهم يظنون بأنها كذبت عليهم!!

سبحان الله! حتى أمة النمل ترى الكذب نقيصة بل كبيرة يعاقَب صاحبها بالموت!!



أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه

روى أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار يكنى أبا مغلق، كان تاجراً يتجر بمال له ولغيره يسير به فى الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقيه لص مُقنَّع معه سلاح.

فقال له اللص: ضع ما معك فإنى قاتلك.

قال: فما تريد إلا دمى فشأنك والمال.

قال: أما المال فلى ولست أريد إلا دمك.

قال: أما إذا أبيت فدعنى أصلى أربع ركعات.

قال اللص: ما شئت.

فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه فى آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أسألك بعزك الذى لا يرام، وبملكك الذى لا يُضام، وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا اللص يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى ثلاث مرات.

فإذا هو بفارس أقبل وبيده حربة قد وضعها بين أذنى فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه فقتله، ثم أقبل هذا الفارس إلى التاجر الورع الناسك، وقال له: قم، فقال التاجر: من أنت بأبى وأمى فقد أغاثنى الله بك اليوم؟

فقال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثانى فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لى: دعاء مكروب فسألت الله أن يولينى قتله.

قال الحسن: فمن توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروبًا كان، أو غير مكروب.

احذروا من النميمة

رُوى أن رجلاً رأى غلامًا يباع وليس به عيب إلا أنه نمام فقط، فاستخف بالعيب واشتراه، فمكث عنده أيامًا، ثم قال لزوجة سيده: إن سيدى يريد أن يتزوج عليك وقال: إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه، فإذا نام خذى الموسى واحلقى شعرات من تحت لحيته واتركى الشعرات معك، فقالت فى نفسها: نعم.

وعزمت على ذلك إذا نام زوجها، ثم جاء زوجها وقال له: إن سيدتى زوجتك قد اتخذت لها صديقًا ومحبًّا غيرك وتريد أن تتخلص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن لم تصدقنى فتظاهر بالنوم الليلة وانظر كيف تجىء إليك وفى يدها شىء تريد أن تذبحك به.

وصدقه سيده، فلما جاء الليل جاءت المرأة بالموسى؛ لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتظاهر بالنوم، فقال فى نفسه: والله لقد صدق الغلام، فلما وضعت الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموس منها وذبحها به، فجاء أهلها فوجدوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد النمام.

قال ﷺ كما فى الصحيحين: «**لا يدخل الجنة نمام**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بقبرين، فقال - كما فى الصحيحين -: «**إنهما يُعذَبان، وما يُعذَبان فى كبير، بلى إنه كبير: أما أحدهما، فكان يمشى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٥٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٠٥) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٦) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٩٢) كتاب الطهارة.

فاحذر يا أخى! من السعى بين الناس بالنميمـة، فإن النميمة من أسباب عذاب القبر، ومن أسباب حرمان العبد من دخول الجنة.

من حيل الشيطان

قال ابن الجوزى: وبلغنا أن رجلاً جاء إلى أبى حنيـفة، فشكا له أنه دفن مالاً فى موضع ولا يذكر الموضع، فـقال أبو حنيفة: ليس هذا فقهًـا فأحتال لك فيـه، ولكن اذهب فصلِّ الليلة إلى الغداة، فـإنك ستذكـره إن شاء الله تعـالى، فـفعل الـرجل ذلك، فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حـتى ذكـر الموضع، فجاء إلى أبى حنيفة فأخبره.

فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلى حـتى تذكر، فهلا أتممت ليلتك شكرًا لله عز وجل.

من حفر حفرة لأخيه وقع فيها

ورد أن رجـلاً ترك ولدين بعـد مماتـه وخلف لهـمـا مـالاً لا بأس به، فاقتـسماه وتصرف كل منهـما فى حقه فـاشتغل الابن الأصغـر فى التجارة وأخلص لله فى عمله وكـان كثير التصـدق لا يبخل على عباد اللـه بنعمة، فنمت تجارته وازدادت أمواله وأصـبح ذا ثروة طائلة ولم يكن له أعداء لذلك كانت أمواله محـصنة لا يؤثر فيها حسد. أمـا الابن الآخر فقد سلك طريق الغواية حتى أهلك ثروته فى الخمر والميـسر والزنا، فنفدت أمواله عن آخرها وأصبح فقـيرًا لا يجد ما يقتـات به ومع ذلك كان أخوه كثـير العطف عليه

يئويه ويقـدم له من المأكل والملبس ما يكفيه. ولم يكتف هذا بعطف أخيه عليه، بل أخذ الحسد يتمكن من قلبه لأخيه، وفكر فى طريقة يُضيع بها ثروة أخيه، حتى يسير مماثلاً له فى الفقر، وبذلك يطمئن قلبه فلا يعايره الناس بفقره ويشيدون بسمعة أخيه فصار يجتهد للوصول إلى تنفيذ غرضه الدنىء وأخيراً اهتدى بوحى من إبليس إلى رجل حسود اشتهر بحسده، وقليل من القوم من نجا من حسده، وكان الحاسد ضعيف البصر، لا يكاد يرى إلا عن قُرب، فذهب الأخ الأكبر إلى هذا الرجل المشهور بحسده، وطلب منه حسد أموال أخيه مقابل أجر يدفعه عند هلاك ثروته وأخذه إلى طريق كانت تمر منه تجارة أخيه فنبه الأخ الأكبر الرجل الحسود إليها - التجارة - قائلاً: استعد فقد قربت تجارة أخى، وصارت على بُعد ميل واحد منها، فقال الرجل الحسود: يا لقوة بصرك، أتراها على هذا البُعد، يا ليت لى بصر قوى مثل بصرك، فشعر صاحبنا بألم فى رأسه، وأظلمت عيناه وعمى فى الحال ومرت تجارة أخيه سالمة لا يمسها سوء.

* * *

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

حُكى أن خدم بعض الملوك، التقطوا طفلاً كان مطروحًا بالطريق فأمر الملك بضمه إلى أهل بيته، وسماه أحمد اليتيم، فلما نشأ، ظهرت عليه أمارات النجابة والفطنة، فهذَّبه وعلَّمه، واصطفاه وقدَّمه فى جميع أعماله وشئون قصره، وذات يوم، أمره أن يُحضر شيئًا من بعض حجراته، وحين ذهب، رأى جارية كانت مقربة من الملك فى حال مريبة مع خادم من خدم القصر، فتوسلت إليه أن يكتم خبرها، وعرضت نفسها عليه، فقال: معاذ الله! أن أخون الملك، وقد أحسن إلىّ، ثم تركها وانصرف.

فأوجست الجارية فى نفسها خيفة، وتوهمت أنه سيفشى سرها، فذهبت إلى الملك باكية شاكية فسألها، فقالت: إن أحمد اليتيم، راودها عن نفسها وهمَّ أن يقهرها على فعل منكر، فغضب أشد غضب، وعزم على قتله.

فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحدًا بكذا أو كذا فاقتله، وابعث برأسه إلىَّ، وبعد قليل أحضر الملك أحمد اليتيم، وقال له: اذهب إلى فلان واطلب منه كذا وكذا، فامتثل وذهب، وفيما هو فى طريقه لقى بعض الخدم، فحكَّموه فى أمر اختلفوا فيه، فأخبرهم بما هو مكلف به، فقالوا: نبعث الخادم فلان؛ ليحضر ما تطلب، حتى تفصل فى أمرنا، فأجابهم إلى ما طلبوا.

وذهب ذلك الخادم، وأخبر رئيس الخدم برسالته فقتله وحزَّ رأسه، وجاء بها إلى الملك، فلما أبصره وكشف عنه الغطاء، رأى رأسًا أخرى، فأمر بإحضار أحمد اليتيم فسأله عن خبره فأخبره بما كان.

فقال له الملك: أتعرف لهذا الخادم ذنبًا؟

قال: نعم. إنه فعل كذا وكذا مع فلانة الجارية، وقد سألانى بالله ربى أن أكتم خبرهما، فلما سمع الأمير ذلك سكن ما به، وأمر بقتل الجارية، وأعاد إلى أحمد ثقته به، واطمئنانه إليه.

قصة الحجّاج مع الرجل الذى يعول أربعًا وعشرين امرأة

كتب عبد الله بن مروان إلى الحَجَّاج: أن ابعث إلىّ أسلم بن عبد البكرى، لما بلغنى عنه، فأحضره الحجاج، فقال الرجل: أيها الأمير! أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[1] وما بلغه باطل، وإنى أعول أربعًا وعشرين امرأة، ما لهن أكسب غيرى، وهنّ بالباب.

فأمر الحجاج بإحضارهن، فلما حضرن جعلت هذه تقول: أنا خالته، وهذه أنا عمته، وهذه: أنا أخته، وهذه: أنا زوجته، وهذه: أنا بنته، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشر، فقال لها الحجاج: من أنت؟ أنا ابنته، ثم قالت: أصلح الله الأمير - وجثت على ركبتيها - وقالت:

أحَجَّاج لم تشهد مقامَ بناته
وعماته يندبنه الليل أجمعا
أحجاج كم تقتل به إن قتلته
ثمانًا وعشرًا واثنتين وأربعًا

---

(١) سورة الحجرات: الآية (٦).

أحـجـاج من هذا يقـوم مـقـامـه
علينا فـمـهـلاً إن تزدنا تضـعـضـعًـا
أحـجـاج إمـا أن تجـود بنعـمـة
علـينا وإمـا أن تـقـتلنا مـعًـا

فبكى الحجاج، وقال: والله لا أعنت عليكن ولا زدتكن تضعضعًا، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل، وبما قالت ابنته هذه، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صلته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتفقدها فى كل وقت!!

شكوى امرأة وذكاء قاضٍ

* روى الزبير بن بكر: أن امرأة أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين! إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله

فقال لها: نِعْم الزوج زوجُك، فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب.

فقال له كعب بن سوار الأسدى: يا أمير المؤمنين! هذه امرأة تشكو زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر رضي الله عنه: كما فهمت كلامها، فاقض بينهما.

فقال كعب: علىّ بزوجها، فأُتِى به، فقال له: إن امرأتك تشكوك.

فقال: أفى طعام أو شراب؟ قال: لا فى واحد منهما، فقالت المرأة من الرَّجَز:

يا أيُّها القاضى الحكيمُ رشدُهْ
ألهى خليلى عن فراشى مسجدُهْ
زَهَّده فى مضجعى تعبُّدُهْ
نهاره وليله ما يرقُدُهْ
فلست فى أمر النساء أحمدُهْ
فاقض القضا يا كعب لا تردُّدُهْ

فقال الزوج من الرَّجز:

زهَّدنى فى فَرْشِها وفى الحجَلْ
أنّى امرؤٌ أذهلنى ما قد نزلْ
فى سورة النحل وفى السبع الطوال
وفى كتاب الله تخويف جَلَلْ

فقال كعْب من الرَّجَز:

إن لها حقًّا عليك يا رجل
نصيبها فى أربعٍ لِمَنْ عَقَلْ
فأعطها ذاك ودَعْ عنك العِلَلْ

ثم قال له: إن الله قد أحلَّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياليهنَّ، تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة.

فقال عمر لكعب: والله ما أدرى من أى أمريك أعجب أمن فهمك أمرهما، أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك القضاء بالبصرة [١].

* * *

(١) الأحكام السلطانية (ص: ٩٢) للماوردى.

الناقة والضيف

عن الهيثم بن عدى قال:

خرجتُ من عند أهلى أريد ديار بعض إخوانى، ومعى ناقة أركبها، إذ ندَّت فذهبت فجعلت أتبعها حتى أمسيتُ فأدركتها، ونظرت فإذا خيمة أعرابىّ فأتيتها، فقالت ربَّة الخباء: من أنت؟ فقلت: ضيف، فقالت: وما يصنع الضيف عندنا ؟ إن الصحراءَ لواسعة.

ثم قامت إلى بُرٍّ فطحنته، ثم عجنته وخبزته، وقعدت فأكلت، ولم ألبث أن أقبل زوجها ومعه لبن، فسلم، ثم قال: من الرجل؟

فقلت: ضيف.

فقال: مرحبًا حيَّاك الله، فدخل الخباء وملأ قعبًا من لبن، ثم أتانى به وقال: اشرب، فشربت شرابًا هنيئًا، فقال: ما أراك أكلت شيئًا، وما أراها أطعمتك.

فقلت: لا والله.

فدخل إليها مغضبًا وقال: ويلك! أكلت وتركت ضيفك، فقالت: وما أصنع به؟ أُطعمه طعامى ؟ وجاراها فى الكلام حتَّى شجها، ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتى، فنحرها، فقلت: ما صنعت عافاك الله؟

فقال: لا والله ما يبيت ضيفى جائعًا.

ثم جمع حطبًا وأجَّج نارًا، وأقبل يكبِّبُ ويطعمنى ويأكل ويلقى إليها ويقول: كلى لا أطعمك الله، حتى إذا أصبح تركنى ومضى، فقعدتُ مغمومًا، فلما تعالى النهار، أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر أن ينظر إليه، فقال: هذا مكان ناقتك، ثم زودّنى من ذلك اللحم ومما حضره، وخرجت

من عنده، فضمَّنى الليل إلى خباء، فسلمت، فـردت صاحبة الخباء السلام، وقالت: من الرجل؟ فقلت: ضيف.

فقالت: مرحبًا بك، حيَّاك الله وعافاك، فنزلت، ثم عمدت إلى بُرٍّ فطحنته وعجنته، ثم خبزته خبزة روَّتها بالزبد واللبن، ثم وضعته بين يدى فقالت: كل واعذر.

فلم ألبث أن أقبل أعرابىّ كريه الوجه، فسلم فرددت عليه السلام، فقال: من الرجل؟ قلت: ضيف.

قال: وما يصنع الضيف عندنا، ثم دخل إلى أهله، فقال: أين طعامى؟

فقالت: أطعمته الضيف.

فقال: أتطعمين الضيف طعامى.

فتجاريا الكلام، فرفع عصاه وضرب بها رأسها فشجَّها، فجعلت أضحك، فخرج إلىَّ فقال: ما يضحكك؟

قلت: خير.

فقال: والله لتخبرنى.

فأخبرته بقضية المرأة والرجل اللذين نزلت عندهما قبله، فأقبل علىَّ وقال: إن هذه التى عندى هى أخت الرجل، وتلك التى عنده أختى، فبتُّ ليلتى متعجبًا وانصرفت[1].



(١) وفيات الأعيان (٦/١٠٨).

نهاية ذئب بشرى

كانت هناك طالبة جامعية فى عمر الزهور فى العشرين من عمرها. . جميلة وعاطفية ومن عائلة متواضعة، ذات أخلاق كريمة، وكانت لها صديقة تحبها حبًّا شديدًا وكانت تلك الصديقة لها أخٌ ليس عنده أى رصيد من الدين أو الخلق فاستطاع بمكره أن يستميل قلب تلك الفتاة وأخذ يداعبها بكلامه المعسول حتى أخذت تلك الفتاة تذوب من كلامه.

وأخذ يخطط للإيقاع بتلك الفتاة البريئة فى مصيدته. . وبعد مراوغة وتخطيط ووعود كاذبة استطاع أن يوقع تلك الفريسة السهلة وأن يسلبها أعز ما تملكه أى فتاة فى هذه الحياة.

وأحست تلك الفتاة بضياع مستقبلها بل وضياع دينها بعد أن أصبحت حاملاً من الزنى. . . وظلت تتصل بهذا الذئب؛ لكى ينفذ وعوده لها بالزواج، ولكنه كان يتهرب منها. . . . وبدأت أعراض الحمل تظهر عليها وأحست الفتاة بأن الأرض ضاقت عليها بما رحبت وضاقت عليها نفسها فماذا تصنع فى تلك المصيبة؟!

وأخذت تطارده فى كل مكان حتى استطاعت أن تكلمه، وأن تطلب منه أن يتزوجها فما كان منه إلا أن فكر فى فكرة لا تخطر على قلب إبليس. . فيا ترى ما هى تلك الفكرة؟

قال لتلك الفتاة: أنا على استعداد لأن أتزوجك ولكن بشرط أن تأتى غداً الساعة الرابعة إلى الشاليه الذى أمتلكه فى المكان الفلانى؛ لتقابلى أمى فإن رأتك أمى ووافقت على زواجى منك فسوف أتزوجك.

وفى نفس الوقت اتفق الذئب مع مجموعة من الذئاب البشرية؛ لكى

يذهبوا إلى الشاليه فى نفس الموعد؛ ليغتصبوا تلك الفتاة، ثم يدخل عليها بعد ذلك ليقول لها: أنا لا أستطيع أن أتزوج من فتاة فُعل بها كل هذا.

ووافقت الفتاة على الذهاب إلى الشاليه فى الموعد المحدد ظنًّا منها أن الله هداه وأن سيستر عرضها.. لكنها لم تكن تعلم ماذا يدبر لها.

وفى الموعد المحدد قامت تلك الفتاة؛ لتذهب إلى الشاليه للقاء والدته - كما كان يزعم- وإذا بأخيها يصاب بألم شديد فى بطنه فكانت بين نارين.. بين أن تذهب إلى الشاليه وبين أن تذهب بأخيها الوحيد إلى المستشفى، فما كان منها إلا أن اتصلت بصديقتها - أخت ذلك الذئب - وقالت لها: إننى على موعد الآن مع والدتك فى الشاليه ولكن أخى مريض وسأذهب معه إلى المستشفى فأرجو منك أن تذهبى إلى الشاليه؛ لتخبرى والدتك أننى سأحضر إليها بعد ساعة، فوافقت أخت هذا الشاب وهى لا تعرف ما يدبره أخوها لتلك الفتاة.

وذهبت أخت هذا الذئب إلى الشاليه ظنًّا منها أن أمها هناك وهى لا تعرف؛ لأن أمها فى هذا الوقت كانت خارج البيت، المهم أنها ذهبت إلى الشاليه وبمجرد أن دخلت؛ حتى انقضَّ عليها الذئاب وانتهكوا عرضها وسلبوها أغلى ما تملكه أى فتاة وتركوها جثة هامدة.. وبعد ساعة من الزمن جاء هذا الذئب؛ ليرى ما صنعوه بتلك الفتاة، وليكون هذا المشهد مبررًا له؛ لأن يرفض الزواج منها... ولكن كانت أكبر مفاجأة فى انتظاره!!!

دخل الذئب وسأل أصحابه: ماذا صنعتم ؟ قالوا: فعلنا كل ما طلبت منا وزيادة.. وها هى بالداخل جثة هامدة من شدة الاعتداء عليها.. فدخل ونظر إلى الفتاة وإذا بها أخته ملقاة فى حالة بئيسة فلم يستطع أن يتكلم كلمة واحدة، بل خرج صامتًا وأصحابه يكلمونه وهو لا يرد عليهم حتى وصل

إلى سيارته وفتح الباب، ثم دخل السيارة، وفتح التابلوه وتناول مسدسًا وأطلق الرصاص على نفسه، فمات فى التو واللحظة... ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

أهدى هذه القصة لكل شاب يعيش علاقة محرمة مع أى فتاة: أقول له: اتق الله فى أعراض المسلمات واعلم أنه كما تدين تدان، والجزاء من جنس العمل.

عشرة أسباب لعدم إجابة الدعاء

حُكى أن ابراهيم بن أدهم - رحمه الله - مر بسوق البصرة، فاجتمع الناس إليه وقالوا له: يا أبا إسحاق! ما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟! قال: لأن قلوبكم ماتت بعَشرة أشياء:

الأول: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

والثانى: زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

والثالث: قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

والرابع: أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها.

والخامس: قلتم: إن الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه.

والسادس: قلتم: إن الجنة حق ولم تعملوا لها.

والسابع: قلتم: إن النار حق ولم تهربوا منها.

والثامن: قلتم: إن الموت حق ولم تستعدوا له.

والتاسع: انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

وقال بعضهم فى هذا المعنى:

نحن ندعو الإله فى كل كرب
ثم ننساه عند كشف الكروبِ
كيف نرجو إجابة لدعاء
قد سَددنا طريقها بالذنوب

إياك ودعوة المظلوم

خرج أحد الصيادين صبيحة يومه يطلب رزقًا حلالاً فرمى شبكته فلم يُخرج شيئًا فأخذ يبتهل إلى الله فأولاده يصرخون جوعًا فى بيته، واقتربت الشمس من المغيب، فرزقه الله سمكة ضخمة، فحمد الله تعالى، وأخذها مسرورًا إلى بيته وإذا بملك قد خرج للنزهة فرآه فأحضره وعلم ما معه فأعجبته السمكة، فأخذها عنوة، وذهب إلى قصره فأراد أن يدخل سرورًا على الملكة فأخرج السمكة أمامها فاستدارت السمكة وعضت أصبعه فلم يسترح ليلته ولم ينم فأحضر الأطباء فأشاروا بقطع أصبعه، ولكنه لم يسترح بعدها؛ لأن السم كان قد تسرب إلى يده، فأشاروا بقطع يده ولكنه لم يسترح أيضًا بل أخذ يصرخ ويستغيث فأشاروا بقطع ذراعه فاستراح من الآلام الجسدية، ولم تهدأ نفسه فعلم الأمر فأشاروا عليه أن يذهب إلى طبيب من أطباء القلوب - العلماء الحكماء - فذهب وأخبره قصة السمكة، فقال له: لن تهدأ إلا إذا عفى عنك الصياد فبحث الملك عن الصياد حتى وجده وشكى إليه أمره واستحلفه أن يصفح عنه فعفا عنه، وصفح فقال له الملك: ماذا قلت فىَّ؟ فقال: ما قلت سوى كلمة واحدة: «**اللهم إنه أظهر علىّ قوته فأرنى فيه قدرتك**».

وامعتصماه

وقف رجل على الخليفة المعتصم فقال: يا أمير المؤمنين! كنت بعمُّورية[١] وجارية من أحسن النساء سيرة، قد لطمها علجٌ[٢] فى وجهها، فنادت: وامعتصماه، فقال العلج: وما يقدر عليه المعتصم! يجىء على أبلَق وينصرك، وزاد ضربها، فقال المعتصم: وفى أى جهة عمورية ؟ فقال له الرجل وأشار إلى جهتها: ها هى ذى، فأدار المعتصم وجهه إليها، وقال: لبيك أيتها الجارية، لبيك هذا المعتصم بالله أجابك، ثم تجهَّز إليها فى اثنى عشر ألف فرس أبْلق، وحاصرها وطال مُقامه، فشقَّ عليه ذلك واغتمّ، وخرج ليلة مع بعض حَشَمِه متجسسًا فى العسكر يسمع ما يقول الناس، فمرَّ بخيمة حدَّاد يضرب نعَال الخيل، وبين يديه غلام أقرع، قبيح الصورة، وهو يضرب على السّندان ويقول: فى رأس المعتصم، فقال له معلمه: اتركنا من هذا، ما لك وللمعتصم؟ فقال: ما عنده تدبير، له كذا وكذا يومًا على هذه المدينة مع قوته ولا يفتحها، لو أعطانى الأمر ما بات غدًا إلا فيها.

فتعجب المعتصم مما سمع، وترك بعض رجاله موكَّلاً به، وانصرف إلى خبائه، فلما أصبح جاؤوا به، فقال: ما حملك يا هذا على ما بلغنى عنك؟

فقال الرجل: الذى بلغك حق، ولو ولَّيْتَنى الحرب فإنى أرجو أن يفتح الله عليك، فقال: قد ولَّيتك، وخلع عليه وقدَّمه على الحرب، ففتح الله عليه، ودخل المعتصم المدينة.

---

(١) كانت بلدة ببلاد الروم.

(٢) العلج: الواحد من كفار العجم.

ثم دعا بالرجل الذى بلّغه حديث الجارية، فقال له: سِر بى إلى الموضع الذى رأيتها فيه، فسار به، وأخرجها من موضعها، وقال لها: يا جارية! هل أجابك المعتصم؟ ثم ملّكها العِلج الذى لطمها، والسَّيد الذى كان يملكها وجميع ماله.

ثمن البقرة

باع بقرته التى لا يمتلك سواها بثلاثة آلاف ليرة، وقبض الثمن، ووضعه فى كيس، ثم دسه فى وسطه... وتوجّه إلى منزله وعليه علامات الحزن والحسرة، وعلمت زوجُه ببيع البقرة التى يمتلكونها، فأخذت تُعزيه عن فقدها وتُمنيه بأن الله سيعوِّض عليهم بأحسن منها.

وجاء الليل، وآوى الناس إلى منازلهم من شدة البرد، وجلس الرجل «أبو حسن» وزوجه فى غرفتهما المتواضعة، وبينما كانت أم حسن تُعلِّل طفلها بالرضاع الكاذب؛ لتحمله على الفطام، إذا بطرقات خفيفة على باب الدار، وفتح أبو حسن الباب، فإذا برجل يرتجف من شدة البرد والمطر، يقول: غريب ألجأنى البرد إلى قريتكم، ولا أعرف بها أحدًا، وأنا فى طريقى إلى مدينة حمص.

فقال **أبو حسن**: ماذا نستطيع أن نقدّم لك، ونحن أسرة فقيرة، وبيتنا ضيق، لا يُساعدنا على استقبال الضيوف.

فقال **الغريب**: أرجوكم البرد شديد اسمحوا لى فقط بالمبيت عندكم حتى الصباح، ولا أريد أن أُكلفكم أية نفقة.

فقال **أبو الحسن**: ليس لدينا سوى هذه الغرفة أنام بها أنا وزوجى وطفلنا الصغير؛ فاعذرنا لعدم وجود مكان لك.

فقال الغريب: أنام فى هذه الزاوية، وتنامون أنتم فى الجانب الآخر، ويُمكنكم أن تضعوا بيننا حاجزًا، وأجركم على الله.

رقَّ قلب أم حسن لهذا الغريب، وقالت: يُعيننا الله يا أبا الحسن، ولعله يرد عنا المصائب بحسنة هذا الضيف الغريب....

ورحَّبا بالضيف، ثم قام كلّ إلى فراشه بعد أن أعدُّوا للضيف ما وجدوا من غطاء وفراش، وما لبث أبو حسن وزوجه أن غطُّوا فى نومهم، فقد أجهدهم التعب والسهر، كان الغريب يرقب أهل الدار حتى تيقَّن أنهم استغرقوا فى نومهم، وإلى جانبهم طفلهم الرضيع، فقام الغريب من فراشه على أطراف أصابعه، وراح يتحسَّس موضع الطفل، فحمله وخرج به من الغرفة، ووضعه بعيدًا فى فناء الدار... وعاد إلى فراشه، وتظاهر بالنوم.

وأحسّ الطفل بلسع البرد، فراح يبكى، فاستيقظت أم حسن على بكائه، وتحسست فراش الطفل، فلم تجده فيه، فأيقظت زوجها، وقالت له: لقد حبا الطفل إلى فناء الدار، قُمْ بنا نعيده إلى فراشه قبل أن يضره البرد.

فقاما حتى وصلا إلى الطفل، وانحنت عليه أمه، وضمَّته إلى صدرها، وهى تقول: لهفى عليك يا ولدى ما الذى أخرجك من فراشك فى هذا البرد الشديد.

وما كاد أبو حسن وزوجه يتجهان بطفلهما نحو الغرفة حتى خرَّ السقف، وانهدمت الدار، فوقفا واجمين، وسمع الجيران فرقعة الخشب، وسقوط السقف، فجاؤوا ليُسهِمُوا بالإنقاذ، فقال أبو الحسن: يا ناس: عندنا ضيف فى داخل الدار، يجب أن ننقذه قبل كل شىء.

ودخل أبو حسن بصحبة بعض الجيران، وسَعَوْا إلى موضع الضيف، فلم يجدوه، فأخذوا يرفعون الأنقاض حتى وصلوا إلى سرير أبى حسن، وإذا بالضيف ميِّتًا تحت الأنقاض وبيده كيس النقود، وقد أخرجه من تحت

الوسادة التى ينام عليها صاحب الدار.

كان هذا اللص قد حضر السوق، ورأى أبا الحسن وهو يبيع البقرةَ، ويضع ثمنها فى الكيس، فقرَّر سرقة الثمن، ورسم الخطة لاختلاس المال، وتبع أثر صاحب البقرة من بعيد حتى رآه يدخل الدار، فلما أذنوا له بالمبيت حمل الطفل ليلاً إلى خارج الدار، وتركه يبكى ليخرج أهله إليه، وعندها يتسنَّى له أخذ الكيس الذى فيه ثمن البقرة، وقد رأى أبا حسن يدسه تحت الوسادة.

كان اللص يضع الخطة، وكان الله له بالمرصاد، فما كاد يُنفذ خطته حتى يأذن الله أن يتعجَّل بالعقاب لهذا الماكر الشرير، مُنكر الجميل، وأن يُنقذ الطفل وأهله من سوء المصير، فأوحى إلى الطبيعة، فثارت ثورتها، وسقط السَّقف على اللص، فقضى نحبه تحت الأنقاض، فإن غفل الإنسان لا تغفل يدُ الله، وانصرف الناس، وهم يقولون هذا مثل الجزاء السريع للذنب الفظيع.

وحقًّا إن فى ذلك لعبرةً لمن كان له قلب[1][2].



(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

(٢) أنيس الصالحين (ص: ٢٣، ٢٤).

الله لطيف بعباده

فى مجلة (شباب) وردت هذه القصة التى أذكرها بترتيب واختصار (روى الأستاذ . . . هذه الحادثة الغريبة حيث يقول: ذهبت أنا وأخى الأصغر مع مجموعة من الأصدقاء إلى الربع الخالى لأجل الصيد على بعد ٤٠٠ كم فى وسط الرمال، فمكثنا عدة أيام بعدها، قررت أنا وأخى بعدها العودة واتجهنا بطريق الخطأ نحو الشرق، وبعد وقت وجدنا صاحب سيارة فتزوَّدنا منه بالوقود وتوجهنا نحو الشمال، وفى طريقنا أصبح فى السيارة بعض الأعطال لا نستطيع من جرائها أن نتعدى سرعة ٣٠ كم لأن العجلة تضرب فى الرفرف مع أننا ربطناه بالحبال والأسلاك، وكانت عودتنا فى صباح يوم الجمعة وعند المساء دخلنا منطقة تكثر فيها الشجيرات المحاطة بالرمال، فوجدنا سيارة محطمة قديمة الصنع فنزلنا إليها علَّنا نجد فيها ما يصلح عطل سيارتنا ونظرنا حولها وإذا بعظام صاحب السيارة الذى يبدو أنه هالك بجوارها فبدأ الرعب يدب فى قلوبنا وما هى إلا لحظات إلا وسيارتنا تنطفئ . . . حاولت تشغيلها فلم أستطع عندها نظرت فى محركات السيارة فوجدتها صالحة، لكنى لم أكرر التشغيل خشية نفاد كهرباء البطارية، وازداد الخوف وبدأ الظلام يخيم علينا فالجو ممطر وبارد والجثة وعظامها بجوارنا، فتوجهنا إلى الله -تعالى- بالدعاء فهو فارجُ الهمِّ وكاشف الكرب، ثم ذهبت إلى السيارة لتشغيلها ويدى على قلبى، أدرت المفتاح ففشلت المحاولة كررت المحاولة فحصلت المفاجأة اشتغلت السيارة فخررت ساجدًا لله -تعالى-، ثم ركبنا السيارة مسرعين وغادرنا المكان وبعد ساعات رأينا نور إحدى السيارات فتوجهنا نحوه وسألنا عن المسافة المتبقية فأفادنا بأنها

٢٥٠ كم وسألناه عن أقرب طريق فذكر أنه على بعد ٥٠ كم فتوجهنا إليه ونمنا داخل السيارة لأن الجو ممطر، وعندما حان وقت صلاة الفجر صلينا ثم واصلنا السير حتى وصلنا، ولله الحمد[1].

ينجو في اللحظة الحاسمة

تحدث أحد الأخوة في المسجد الذي أسكن بجواره وأقسم بالله أنه سمع هذه القصة من صاحبها الذي تحدثت معه يقول هذا الشاب التائب:

لقد منَّ الله عليَّ وأنقذني من النار بعدما كان بيني وبينها إلا ذراع، يقول: كنا ثلاثة أصدقاء اجتمعنا على معاصي الله وكان صاحباي يسافران كل عام إلى إحدى الدول، وهناك كانا يبارزان الله بجميع أنواع الفواحش من شربٍ للخمر، وزنًا، وميسر، وقمار . . . إلخ، وهذا العام أقنعاني بالسفر معهما وزينا لي السفر والفواحش، فقررنا السفر بالسيارة هذا العام، ليسهل علينا التحرك والاستمتاع إلى أقصى درجة، وركبنا السيارة وقطعنا الكيلومترات حتى لم يعد إلا القليل، وكنت أجلس في الكرسي الخلفي وزملائي في الكرسي الأمامي، وفجأة وقعت عيناي على لوحة الطريق التي توضح المسافات بين المدن، وكان ما أذهلني: «١٥٠ كم على جهنم» يا ألله قفزت من مقعدي وقلت لصاحباي: ألم تقرآ، قالا: ماذا، قلت: يافطة الطريق مكتوب عليها: ١٥٠ كم على جهنم، فقالا لي: إنك مرهق وبحاجة إلى النوم، وقالا لي بأن هذه تخيلات، فسكتُّ وبعد مسافة «٥٠ كم جاءت اللوحة الثانية، جاءت لينقذني الله بها فقرأت «١٠٠كم» على جهنم، وهنا

(١) بتصرف من مجلة (شباب) العدد ٣٥ الصادرة في شوال ١٤٢٢هـ.

أخذت أقنع زميليّ بضرورة الرجـوع والتوبة إلى الله، وهذا تحذير ونذير من الله فلم يستجيبا لى.

وعند ذلك صمَّمت على النزول من السيارة والرجوع فأنزلانى، ومضيا وكانت السـاعة الثـالثة ليـلاً... انتظرت طويلاً على الطريق مـا يقارب من الساعة، وفـجأة شاهدت شاحنة قـادمة، فحمـدت الله ووقف لى السائق، وركبـت معه فلـم يكلمنى، ولكنه كان يردد: «إنا للـه وإنا إليه راجـعون»، فقلت له: ما بك؟ فقال: سيارة على الطريق المقابل اصطدمت واحترقت بمن فيهـا، وحاولت مساعـدتهما ولكن النار التهـمتهمـا، قلت له: ما لون هذه السيارة؟ وكانت المفاجأة سيارة صديقىّ! وهنا أخذت أبكى وأحمد الله العلى القدير أن نجـانى بفضله ورحمتـه.... وأقولها للشبـاب: عودوا إلى ربكم وتوبوا إلى بارئكم.

فاللهم ارحمنا وأحسن خاتمتنا. آمين..

* * *

وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها

عن يزيد بن هارون قال: غدوت إلى أصبغ بن يزيد الوراق أريد أن أسمع منه فوجدتُه شديد الغم فقلت: يـرحمك الله ممَّ غَمُّك؟ فقال لى: إن كنت تريد أن تكتب فاكتب وإلا فانصرف فكتـبت وانصرفت، فلما كان فى اليوم الثانى غدوت إليه فوجدته قد تضاعف فسألته عن ذلك فقال: إن كنت تريد أن تكتب فاكـتب وإلا فانصرف فكتبـت وانصرفت، فلما كان اليـوم الثالث رحت إليه فـوجدته طلق الوجـه مسرورًا فـقلت له: أراك اليوم والحـمد لله مسرورا وكنت بالأمس مغـمومًا فما الخبر؟ فـقال: أما إنك لولا سؤالُك فى اليوم الخالى ما أخـبرتك، ولكنى أُعلمك أنى مكثت أنا ومَن عندى ثلاثًا لم نطعم طعـامًا فلمـا كان اليوم خـرجت إلىّ ابنتى الصـغيرة وقـالت: يا أبت الجوعُ، فتـركتها وأتيت الميضأة فـتوضأت للصلاة وصليت ركعـتين ومددتُ يدى لأدعو فـأُنسيت ما كنت أحـسنه من الدعاء فقلت: اللهم إن حـرمتنى الرزق فلا تحرمنى الدعاء فأُلهمت الدعاء. . . فقلت فيه (وافتح علىَّ رزقًا لا تجعل لأحد على فيه منة، ولا لك علىَّ فى الآخـرة تبعة، برحمتك يا أرحم الراحمين) ثم انصرفت إلى البيت فإذا بابنتى الكبيرة قد قامت إلىّ وقالت يا أبتِ: جاء الساعة عمى بهذه الصُّرة من الـدراهم وبحمال عليه دقيق وحمال عليه من كـل شىء فى السوق وقال: أقـرئوا أخى السلام. . قـال أصبغ بن زيد: والله مـا كان لى من أحد ولا أعـرف من كان هذا القـائل ولكن الله على كل شىء قدير(١).

(١) انظر: المستغيثون بالله تعالى لابن بشكوال، ص ٦٤، ٦٥ بتصرف.

يا فارج الهم

أخبرت امرأة بهذه القصة قائلة: استدان زوجى من شخص (أربعة وعشرين ألف ريال) ومرت سنوات لم يستطع معها زوجى جمع المال والدَّين مُثقل كاهله، حتى أصبح دائم الهم والحزن فضاقت بى الدنيا لحال زوجى، وفى إحدى ليالى رمضان قمت وصليت ودعوت الله -تعالى- بإلحاح -وأنا أبكى بشدة- أن يقضى الله -تعالى- دَين زوجى، وفى الغد وقبيل الإفطار سمعت زوجى يتحدث فى الهاتف بصوت مرتفع فحسبت الأمر سوءًا وذهبت مسرعة إليه لكنه انتهى من حديثه فسألته ما الأمر؟ فقال: -وهو عاجز عن الكلام ويبكى بكاءً شديدًا ودموع الفرح بادية عليه-: إن المتصل صاحب الدَّين يخبرنى أنه وهب المال لى، أما أنا فتلعثمتُ ولم أدر ما أقول فكأن جبلاً انزاح عن رأسى ولهج لسانى بشكر الله -تعالى- على ما أنعم علينا. وشكرت صاحب الدَّين.

* * *

دعوة فى السَّحر

ذُكر أنَّ رجلاً تنكدت عليه وظيفته وبقى فى حزن شديد وكرب عصيب، وكان يبحث عن رجل يؤثر فى وظيفته بوساطة، فلقى يومًا أحد المشايخ فتحدثا فى موضوع الوظيفة وسأل الرجلُ الشيخ هل رأيتَ فلانًا؟ فقال: لم أره ولكن هل انقضت حاجتك فقال الرجل: ما زلت أبحث عن واسطة فقال الشيخ: هناك من يحل موضوعك ويكفيك همك فقال: وهل يؤثر على صاحب التوظيف؟ قال: نعم، قال: من؟ قال الشيخ: هو الله - تعالى-. فتردَّد الرجل فقال للشيخ: اتق الله - تعالى- لو قلت لك فلان من البشر لقلت: هيا بنا إليه، فهلاَّ جربت دعوة الأسحار؟ ثم تفرَّقا والتقيا بعد مدة، وقال للشيخ بوجه مستبشر: فى ذلك اليوم لم أذهب لأى أحد وقمت فى السحر وكأن أحدًا يوقظنى، فصليت ودعوت الله - تعالى- بصدق وإخلاص وفى الصباح أردت أن أذهب لمكان الوظيفة، ولكن شاء الله - تعالى- أن أغير الطريق فمررت بإحدى الدوائر الحكومية وقلت: لماذا لا أدخل عليهم وأسألهم فلما دخلت على المدير قام لى ورحَّب بى فأخبرته أنى أبحث عن وظيفة فقال: عندنا وظيفتان فاختر إحداهما وابدأ الدوام - أى العمل- من اليوم الفلانىِّ. (وكان هذا الموظف يريد من ذاك الرجل الذى يتوسَّط له أن يبحث له عن أقل من هذه الوظيفة)[١].

* * *

---

(١) بتصرف من شريط الاعتصام بالله تعالى للشيخ الشنقيطى.

الدعاء مفتاح الفرج

لم يكن فى بيت تلك العائلة شىءٌ من طعام أو غذاء نظرًا لأن راتب الزوج يذهب لتسديد أقساط بيتهم الجديد، وما كان للزوجة حيلة فى الحصول على طعام تسد به حاجتهم، والأمر الذى أثارها خوفُها على أطفالها، فقامت فى آخر الليل وقت تنزُّل الرَّحمات وإجابة الدعوات، فلبست خمارها وصفَّت فى محرابها وصلَّت ما كُتب لها وأكثرت من الدعاء حتى أُذن للفجر فصلت وجلست فى مصلاها تذكر الله - تعالى- وتدعوه حتى غلبها النوم وفى وقت الضحى استيقظت وصلَّت سنة الضحى ودعت الله - تعالى- وبعد قليل أتى ابنها الصغير من الروضة، وبعدها سمعت الجرس فأرسلت ابنها ليفتح الباب فإذا الطارق رجل من أهل الخير أتى بموادّ غذائية وبعض الأغراض الأساسية فأدخلها عند الباب، فذهبت الأم لترى من الطارق فسمعت ابنها يقول للرجل: من أنت؟ فلا يجيب وعندما انتهى أدخل الطفل وأغلق الباب. فشكرت المرأة ربها - جل وعلا-.

* * *

الزم الدعاء.... فالشفاء قريب

كانت تشتكى ألمًا فى أذنها فذهبت للمستشفى وبعد الكشف قرر الطبيب حاجتها لعملية جراحية، فراجعت نفسها وكرهت كشف وجهها فامتنعت وأبت، عندها تذكر الطبيب امرأة أخرى فعلت مثلها فتبسم وقال: إن كنت لا تريدين العملية فكونى مثل تلك المرأة الكبيرة فى السن التى جاءت إلىَّ وكشفت عليها فإذا هى تحتاج لعملية ترقيع الطبلة فلما أخبرتها بكت وقالت يا طبيب: والله لا أكشف حجابى لغير محارمى، فشرحت لها أن حالتها تستدعى ذلك ولا ينفع لها العلاج، فازدادت إصرارًا وإباءً فأعطيتها موعدًا آخر لعلها تراجع نفسها وتوافق على العملية وجاء الموعد وحضرت وكأنى بها تناجى ربها وتطلب الشفاء العاجل، ولما جلست على السرير وكشفت عليها كانت الحقيقة التى أذهلتنى وزادت من إيمانى لقد نظرت إلى الأذن فإذا هى سليمة مائة بالمائة فتحيرت وسألتها مستفهمًا ما الخبر؟ فقالت: منذ أن خرجت وأنا أدعو الله- تعالى- أن يشفينى لأنِّى أفضل أن أموت ولا يرانى أحد غير مَحرم لى. فقلت: إن الله على كل شىء قدير. ثم قال لهذه المرأة: وإن كنت ترفضين إجراء العملية فادعى الله - تعالى- والتجئى إليه بصدق بأن يشفيك ويكشف ما بك فقالت المرأة: ومن يكون مثل تلك العجوز فلعلَّها عابدة صوَّامة قوّامة ولكن سأدعو ربى ثم خرجت من عنده وبدأت بالدعاء والابتهال إلى الله- تعالى- أن يشفيها ويكشف ما بها ومضت الأيام وحان الموعد فذهبت للطبيب الذى كان بانتظار المفاجأة الثانية وبدأ بالكشف عليها- وكأنى به يرتجف قلبه أملاً فى تحقيق رغبتها- فانشرح

صدره لما كشف عليها، وقال مبشرًا ومستبشرًا وذاكرًا الله- تعالى-: إن الأذن بريئة تمامًا ولله الحمد ففرحت المرأة ولهج لسانها بقول: لك الحمد يا ربِّ فأنت على كلِّ شيء قدير، ثم قالت للطبيب: إنى لزمت الدعاء فشفانى العليم الخبير القريب المجيب.

عليك بدعاء تفريج الكرب

عن أبى بكر الرازى قال: كنت بأصبهان عند أبى نعيم أكتب الحديث وهناك شيخ يسمى أبا بكر عليه مدار الفُتيا، فسُعى به عند السلطان فسجن فرأيت المصطفى ﷺ وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر، فقال لى المصطفى ﷺ فى المنام: «**قل لأبى بكر بن على: يدعُ بدعاء الكرب الذى فى صحيح البخارى حتى يفرِّج الله عنه**» قال: فأصبحت فأخبرته فدعا به فلم يكن إلا قليلٌ حتى أُخرج[١].

* وها هو دعاء تفريج الكرب.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[٢].

* * *

(١) فيض القدير لعبد الرءوف المناوى (٥/ ٢٣١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٤٦) الدعوات، مسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة.

إن تصدق الله يَصدقك

قال الدكتور عبد الرحمن السميط - حفظه الله-: «من خلال عملنا فى غرب السودان أُخبرت أن داعية قبل أربعين سنة أتى إليها (جبال النوبة) وكانت مشهورة بالوثنية وينتشر فى كل قرية ساحر، فكان الداعية يشرح الإسلام عند ذلك تجمع السحرة وأثاروا الناس فذهبوا إلى الشيخ وقالوا: نحن فى جفاف وإذا كان ربك هو حقًّا الرب الصحيح فادعه يُنزل المطر. وبدون تردد قال لهم: ما هو اليوم قالوا: الإثنين قال: سأدعو يوم الأربعاء فجلس منذ ذلك الوقت يصلى ويدعو ولم ينم فى أى ليلة أكثر من ساعة واحدة، وفى يوم الأربعاء تجمع الناس وبدأ يدعو فيذكر لى المسلمون القدامى أنه نزلت كمية من الأمطار لم تشهدها المنطقة؛ هدمت البيوت، ومسحت قرى بكاملها»(١).

* * *

(١) بتصرف من شريط (مشاهداتى فى أفريقيا) للشيخ د. عبد الرحمن السميط.

الوحوش تفسح الطريق لجند الله

ها هو عقبة بن نافع - رحمه الله - جهزه معاوية ﷺ على عشرة آلاف فافتتح أفريقية واختطَّ قيروانها، وكان الموضع غيضةً لا يُرام من السباع والأفاعى، فدعا عليها فلم يبق فيها شىء، وهربوا حتى إنَّ الوحوش لتحمل أولادها. فحدثنى موسى بن على عن أبيه قال: نادى إنا نازلون فاظعنوا فخرجن من جحورهن هوارب. وروى نحوه محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: لما افتتح عقبة إفريقية قال: يا أهل الوادى إنا حالُّون إن شاء الله فاظعنوا... ثلاث مرات فما رأينا حجراً ولا شجراً إلا يخرج من تحته دابة حتى هبطن بطن الوادى ثم قال للناس: انزلوا باسم الله(١).

رجع إليها البصر فى الطواف

سقطت امراة على الأرض فأدى ذلك لفقدها البصر فتأثرت تأثراً بليغًا وذهبت مع أهلها للبيت الحرام، ولما وصلت هناك وفى أطهر بقعة على وجه الأرض دعت الله -تعالى- أن يرد لها البصر، وبينما هى تطوف أُصيبت بدوار فأُغمى عليها ثم أفاقت بعد وقت، وإذا ببصرها قد عاد فحمدت الله- تعالى- كثيراً وبقيت وقتًا فى الحرم تشكر الله - تعالى-.

* * *

(١) السير (٣/ ٥٣٣).

نــزل المـطـر
فأسلمت القبيلة كلها

قال الدكتور عبد الرحمن السميط رئيس جمعية العون المباشر الكويتية - حفظه الله تعالى-: (اكتشفنا قبل عشر أو إحدى عشرة سنة قبيلة من القبائل الوثنية فـذهبنا لجمع المعلومـات حتى نبـدأ البرنامج الدعوى، فـلما وصلت إليـهم وعلمـوا أنى مسلم، قـالوا: نحن نكره النصـارى وأنت تدعـونا إلى الإسلام ولكن قبل أن نعلن إسـلامنا نريدك أن تدعو لنا بنزول الغيث؛ لأنه ومنذ ثلاث سنوات لم تنزل قطرة واحدة، فاعـتذرت لهم؛ لأنى أعرف أنهم وببساطتهم يقولون: إن استـجاب الله - تعالى- لى فهذا الدين حق وإن لم يستجب فليس بحق فـهذا هو اعتقادهم، فرفعـت يدى إلى السماء ودعوت بدموعى أكثر من لسانى وقلت: يا رب المسألة ليست متعلقة بى وإنما بدينى، فلا تخـذل هذا الدين بسبب أخطاء ارتكبـتها، ولازلـت أبكى وأنا أدعو ثم ختمت الدعاء، فقالوا: نأتيك بعد ثلاث ساعات فذهبنا وجلسنا تحت شجرة وكان الوقت ظهـرًا وأذكر أنَّا لم نأكل ذلك اليوم شـيئًا ولا اليـوم الذى قبله وجاء وقت العـصر وهم مُقـبلون إلينا، فإذا بالسـماء تمطر فحـمدت الله - تعالى- وأسلمت هذه القبيلةُ كاملة والحمد لله)[(١)].

* * *

---

(١) ذكرها فى مقابلة مع قناة المجد الفضائية فى شهر محرم ١٤٢٥هـ.

سقاهم الله من السماء

عن السرى بن يحيى قال: بلغنا أن ملكًا من الملوك الأعاجم أقبل فى جيش فلقى عصابة من المسلمين، فلما رأوه اعتصموا بربوة فصعدوا فوقها فقال ذلك الملك: ما أحد ولا شىء أشد عليهم من أن نحيط بهم ثم نُنزلهم مكانهم حتى يموتوا من العطش، فأحاطوا بهم فأصابهم حر شديد وعطش فاستقوا الله - عز وجل- فأقبلت سحابة فجعل الرجل يحمل بُرنسه يتلقى به الماء حتى يمتلئ ثم يشرب حتى يروى، فقال ذلك الملك: ارتحِلوا فوالله لا أقتل قومًا سقاهم الله من السماء وأنا أنظر(١).

سهام الليل

ذكر الشيخ أنس بن سعيد بن مسفر - حفظه الله تعالى- قصة رجل عاقٍّ لأمه فقال: (إنه يعاملها بقسوة يصرخ فى وجهها، بل يسبها ويشتمها وقد أعطاه الله تعالى قوةً فى الجسم، لكنه صرفها بالظلم والاستبداد بالرأى، كانت أمه العجوز كثيرًا ما تطلب منه أن يخفف من حدّته وجفوته وطغيانه، فالكلُّ نَفَرَ من حوله حتى زوجته تركته بلا عودة، بسبب قسوته وشدته، وكان يجعل أمه العجوز تخدمه وتقوم على شؤونه وهى المحتاجة إلى الرعاية والخدمة وما أكثر ما أسال دمعها على خدها وهى تدعو الله - تعالى- أن يصلح لها فلذة كبدها ويهدى قلبه. كيف لا؟ وهو وحيدها. وفى يوم من الأيام دخل عليها والشر يتطاير من عينيه فجعل يصرخ فى

(١) كتاب مجابى الدعوة لابن أبى الدنيا (ص ٦٤).

وجهها ويقول: ألم تُعدى الغداء؟ قامت العجوز بيدين ترتعشان وجسد واهٍ أثقلته السنون والأمراض والهموم، لتعد الغداء لقرة عينها، فلما رأى الطعام لم يعجبه، فألقاه على الأرض وأخذ يتبرم ويسخط ويقول: لقد بُليت بعجوز شمطاء لا أدرى متى أتخلص منها؟ عندها بكت الأم وقالت ودمعها على خديها: يا ولدى اتق الله ألا تخاف النار؟ ألا تخاف سخط الله -تعالى- وغضبه؟ ألا تعلم أن الله -تعالى- حرم العقوق؟ ألا تخاف أن أدعو عليك؟ فاستشاط غضبًا من كلامها وزاد جنونه فأمسكها بثيابها وأخذ يهزها بقوة ويقول: اسمعى أنا لا أريد نصائح لست أنا من يقال له: اتق الله ثم ألقى بها بعيدًا فاختلط بكاؤها مع ضحكته الاستهتارية وهو يقول: ستدعين علىَّ تظنين أن الله -تعالى- يستجيب لك، ثم خرج من عندها وهو يستهزئ ويسخر من كلامها. فذرفت الأم الدموع الحارة تبكى أيامًا وليالى كابدت فيها المشقة والعناء، بكت شبابها الذى أفنته فى تربيته. أما هو فقد خرج وركب سيارته ورفع صوت المسجل عاليًا على تلك الأغنية الماجنة متناسيًا ما فعل بأمه التى خلفها حزينة وحيدةً يعتصر الألمُ قلبها، ويحرق الأسى فؤادها، كمدًا وحزنًا على تصرفه الطائش، فرفعت شكواها إلى الله -تعالى- قائلة (حسبى الله ونعم الوكيل) وكان لدى الابن رحلة إلى منطقة مجاورة وأثناء سيره بسرعة جنونية إذا بجمل يسلطه الله -تعالى- عليه فيظهر له فى وسط الطريق فتضطرب سيارته ولا يستطيع أن يمسك مقودها فيصدم ذلك الجمل ودخلت قطعة من الحديد فى أحشائه، وأصيب بشلل رباعى لا يحرك إلا رأسه فبقى هكذا ليكون عبرة وعظةً ثم مات[١].



(١) بتصرف من شريط بعنوان (سهام الليل) لفضيلة الشيخ أنس بن سعيد بن مسفر.

يا بركة
دعاء الوالدين

* قال أبو بكر الطرطوشي: (جاءت امرأة إلى بقى بن مخلد وهو رجل واسع العلم والدراية، من مشايخ علماء الأندلس، فقالت إن ابنى أسره الروم ولا أقدر على أكثر من دويرة لى لا أقدر على بيعها فلو أشرت على من يفديه بشيء، فإنه ليس لى ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار، فقال: نعم أنظرينى حتى أنظر فى أمره إن شاء الله سبحانه.. ثم أطرق الشيخ وحرك شفتيه وجاءت المرأة بعد مدة ومعها ولدها، فجعلت تدعو وتقول: حدِّث خبرك له فقال: كنت أسيرًا عند بعض ملوك الروم، وكان له إنسان يستخدمنا ويؤذينا وعلينا قيودنا، فجئنا ليلة من العمل فانحلَّ القيد من رجلى ووقع على الأرض، ووصف ذلك اليوم فوافق الوقت الذى دعا فيه الشيخ، قال: فصاح علىَّ الذى يستخدمنى وقال: كسرت القيد؟ قلت: لا إلا أنه سقط من رجلى فاستحضروا الحداد وقيدونى فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلى، فتحيروا ودعوا برهبانهم، فقالوا: ألك والدة؟ قلت: نعم قالوا: وافق دعاؤها الإجابة، أطلقك الله فلا نمسك فزوَّدونى وصحبونى إلى ناحية المسلمين)[1].

* * *

(١) الدعاء المأثور وآدابه للحافظ أبى بكر الطرطوشى، ص ٤٢ .

فاز بدعوة والده فبلغ تلك المنزلة العظيمة

* ذُكر أن رجلاً فى ضيق عيش وشدة، وكان يسعى للكسب ليساعد أباه فإذا جاء بأجرة يومه وضعها على المنضدة استحياء أن يمدها بيده لأبيه وكلما وضعها دعا له الوالد قائلاً: اللهم ارزق ابنى القرآن واجعله من أهله. فبلغ الابن عشرين عامًا وهو يسعى لتحصيل الرزق، وفى يوم من الأيام كان راجعًا من عمله، فالتقى بعالم كان عمدة بلده فى الفتوى، فقال العالم للرجل: ما الذى أنت فيه؟ قال الرجل: أسعى برزقى. فقال العالم: هل لك أن تجعل لى يومًا من أسبوعك؟ فقال الرجل: نعم ونعمت عينى بذلك. فما زال يتردد على العالم حتى أصبح طالب علم وترقَّى شيئًا فشيئًا حتى جاء اليوم الذى يناقش فيه رسالة الدكتوراة فى تفسير القرآن الكريم فلما دُعى للمناقشة وجلس، إذا بشيخه وأستاذه يقوم مهابةً له واحترامًا، ثم قال له: تفضل يا شيخ وقام أمام الجميع يقول: هالنى ما رأيت فيه من العلم والمعرفة بكتاب الله تعالى فعظمته وأجللته، فأخذ الرجل يبكى فقال الشيخ: تبكى ونحن نريد أن نُجلَّك؟ قال: تذكرت دعوة أبى - رحمه الله- (اللهم ارزق ابنى القرآن واجعله من أهله)، . . . وحمد الله - تعالى- أن بلَّغه هذه المنزلة العظيمة من العلم ومن تفسير كلام الله تعالى ويالها من نعمة[١].

* * *

(١) بتصرف من شريط (رحمة الضعفاء) للشيخ محمد الشنقيطى.

يحفظه الله بدعوة أمه

دخلت سيارة ذلك الشاب تحت شاحنة كبيرة واشتعلت فيها النار، فاجتمع الناس وحاولوا إخراجها، والكلُّ ينظر ما مصير السائق؟ وماذا حدث له فلما أخرجوا السيارة إذا بالسائق لم يُصَب بأى أذى غير تناثر بعض الزجاج عليه، عندها تعجب الجميع وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، فسأل أحدهم الرجل: هل تعرف عملاً أنجاك الله - تعالى- به؟ فقال: إنِّى أعمل فى جدة وعندما استلمت الراتب ذهبتُ لوالدتى فى رابغ، وأعطيتها ما كُتب لى فاستبشرت ودعت الله - تعالى- أن يحفظنى ويبارك لى.



هداية الوالد بدعوة ولده

ذُكر أن شابًّا صالحًا يحب الأخيار ومجالستهم، وكان والده يكره الصالحين وإذا رآهم مع ابنه ربما طردهم من المنزل غير مُراعٍ شعور ابنه الصالح الذى ظلَّ يدعو والده ويدعو له... وفى ليلة من الليالى قام فى ثُلث الليل وصلَّى وفى آخر ركعة رفع يديه إلى السماء وبدأ يدعو لوالده ودموعه تنهمر من عينيه، وفى تلك اللحظات المفعمة بصدق الالتجاء إلى الله - تعالى- دخل والده البيت قادمًا من إحدى سهراته وسمع بالبيت باكيًا يبكى بحُرقة وألم، فالتمس مصدر الصوت حتى وصل إليه، فإذا هو ابنه يتضَّرع إلى الله - تعالى- أن يهدى والده، فتأثر وجلس على ركبتيه عند باب الغرفة وأخذ يبكى ويراجع نفسه ويقول: ولدى يدعو لى وأنا أضايقه، ولدى يدعو لى وأنا أحاربه، ولما انتهى الابن من صلاته وفتح الباب إذ بوالده جالس يبكى، فلما رآه اشتدَّ بكاؤه وضمه إليه وقال: والله لا أضايقك بعد اليوم،.... وهداه الله - تعالى- والعجيب أنهما ربما قاما يصلِّيان آخر الليل سويًّا.

* * *

لا تدعوا على أولادكم

كان شابٌّ يرعى غنمًا لأبيه، وفي يوم طلب من والده أن يسمح له بالذهاب للالتحاق بإحدى الوظائف، فرفض الأب وحاول الابن مرارًا فلم يأذن له، فقرر الذهاب بالرغم من عدم رضا والده، فقال الأب: أما القوة فما لى عليك من قوة، ولكن ليس لى إلا دعاء أرفعه إلى الله - تعالى- وقت السَّحَر. فذهب الابن وترك الغنم مع رجل آخر، وأخذ من بعض قريباته ما يحتاجه المسافر، وعلم الأب بسفره- وكان صالحًا تقيًّا- فرفع يديه إلى الحى القيوم وسأل الله - عز وجل- أن يُريه فى ولده ما يكره فعمى الابن فى الطريق، واستقبله بعض أفراد قبيلته وقالوا: ماذا تريد، قال: كنت أريد الوظيفة أما الآن فأنا أعمى لا يُقبل مثلى. فرجعوا به إلى أبيه ودخلوا عليه فى جوف الليل، وكان والده ضعيف البصر، فقال أفلان أنت؟ قال الابن: نعم، قال: هل وجدت السهم؟ قال: نعم فأخبروا الأب أنه عَمِىَ فحزن حزنًا عظيمًا وتأثر تأثرًا كبيرًا وقام تلك الليلة يبكى ويئن ويركع ويسجد يدعو الله - تعالى- ويلحس عين ولده بلسانه ويبكى والله سميع قريب مجيب، فما قام لصلاة الفجر حتى عاد لولده البصر فلله الحمد كثيرًا [(١)].

* وفى يوم من الأيام آذى طفل أمه وأزعجها أشد الإزعاج، فقالت: (اخرج الله يلقط روحك)، فخرج من الباب ولم تعلم الأم أن هذه الدعوة قد تُستجاب، فخرج مسرعًا واعترض الطريق فاصطدمت به إحدى السيارات، وما إن سمعت الأم الصوت إلا وأحست بشىء يدقُّ قلبها، فخرجت مذهولة يرتجف قلبها وترتعش أركانها خوفًا من أن تفقد فلذة كبدها

(١) بتصرف من شريط (عقوق الوالدين) للشيخ على القرنى.

فلما نظرت وجدته ابنها وقد فارق الحياة، فانهارت ونُقلت للمستشفى، وأصيبت بعدة أمراض وكانت تردد وتقول: أنا التى قتلت ابنى(١).

دعا عليه فأصبحت يده ملتوية

عن أبى عبد الرحمن الطائى قال: كان رجلٌ من بنى فهد قد كبر وضعف، يُكنَّى أبا منازل، وكان له ابن يقال له مُنازل: وكان له ولد صغار وكان إذا أصاب شيئًا أعطاهم إياه، وكان يقبض عطاء أبيه وكان شيخًا كبيراً فولد للشيخ ابنتان صغيرتان وكان منازلٌ يستأثر عليهم، فلما خرج العطاء خرج منازل فقال: أعطونى عطاءه فقام الشيخ فقال: أعطونى عطائى فى يدى ففعلوا، فحمل عطاءه ثم قام يتوكأ على منازل، فقال منازل: هلمَّ أحمل عنك، فقال: دعه فلما خلا له الطريق فك يد أبيه ثم أخذ العطاء فذهب به، فانصرف الشيخ وليس فى يده شىء، فقال له أهله وولده: ما صنعت؟ قال أخذ منازل عطائى ثم أنشأ يقول:

جـزَتْ رحمٌ بينى وبينَ منازل
جزاءً كما يستنجزُ الدَّينَ طالبُه
ربيته حتَّى إذا ما هو استَوى
كبيراً وساوَى عامل الرمح عاربه
تَظلَّمنى مالى كذا ولوى يَدى
لوى يده الله الذى هو غَالبه

فأصبح منازل ملويَّةً يده(٢).

---

(١) من إحدى أشرطة الشيخ سعيد بن مسفر - حفظه الله تعالى-.
(٢) انظر: كتاب مجابى الدعوة لابن أبى الدنيا، ص (٦١-٦٢).

انفصل رأسه عن جسده بدعوة أمه

شابٌ فى العشرين من عمره، دخلت سيارته تحت شاحنة كبيرة فى حادث شنيع، فتجمع الناس لإنقاذه فلما أخرجوه من سيارته إذ برأسه منفصل عن جسده، فبحث الضابط عن اسمه، ثم اتصل على البيت فردت امرأة، فقال: هذا منزل فلان (والد صاحب الحادث)؟ قالت: نعم قال: أين هو؟ قالت: غير موجود ولا يوجد أحد فى البيت قال: وما قرابتك من فلان؟ قالت: أنا أمه فقال: بتمهيد وأسلوب لقد حصل لابنك حادث بسيط ونريد من يحضر للقسم لإكمال الإجراءات، فلما سمعت الأم اسم ابنها الذى وقع عليه الحادث دعت الله تعالى عليه بالهلاك والموت، ففوجئ الضابط بردها وتعجب، ثم أخبرها بما حصل لابنها وسألها عن سبب دعائها فقالت: إنه خرج من عندى وقد شتمنى وضربنى ودائمًا يهددنى حتى سئمت منه، لقد أتعبنى وكأنِّى لم أسهر عليه ولم أتعب فى تربيته فدعوت الله تعالى أن يهلكه ويريحنى منه[١].



(١) بتصرف من شريط (ففوجئت بردها) للشيخ عبد الرحمن الهاشمى.

بصمة فى قبر

* قصة هذا العنوان أن رجلاً غنيًّا يملك ثروة كبيرة جاءته سكرات الموت التى لم ينجُ منها أحد حتى رسول الله ﷺ ، فلما حضرته الوفاة جاء أولاده واجتمعوا عند رأسه، وإذا بالرجل فى تلك اللحظة يوصيهم بأن يحب بعضهم بعضًا، وألا يجور أخٌ على أخيه، وإذا بهم يعاهدون هذا الوالد على أن يمتثلوا تلك الوصية، ودخل عليه ملك الموت فقبض روحه.

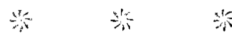
وبدءوا فى تجهيز جثة هذا الوالد الكريم، فغسَّلوه، وكفَّنوه، وصلوا عليه، وذهبوا به إلى المقبرة، وبعد أن دفنوه، وخرجوا من قبره، وإذا بولد من أولاده يستأذن بقية إخوانه وأقاربه بأن ينزل مرة أخرى إلى قبر أبيه من أجل أن يطمئن على أنه قد دُفن ووُجِّه إلى القبلة، فأذنوا له، فنزل الشاب الغنى إلى قبره والده.

وفجأة! تغيب هذا الولد أكثر من ربع ساعة فى قبر والده؛ فأصاب إخوانه القلقُ، فنزل واحد منهم إلى قبر أبيه لينظر ماذا يصنع أخوه فى هذا القبر، وإذا به يجد أخاه قد أُلقى فى القبر ميتًا بجوار أبيه - وليس هذا الأمر بعجيب، لكن الأعجب هو الذى ستعلمه الآن- لقد وجد أن أخاه قد خلع الكفن عن جسد أبيه وأخرج يده من الكفن وجعله يبصم بأصبعه على عقد بيع لعمارة من أملاك الوالد.

فلقد نزل الولد إلى قبر أبيه من أجل أن يحصل على عمارة من تلك العقارات التى كان يمتلكها الوالد فنزل وفى جيبه مَحبرة وفى الجيب الآخر عقد بيع، نزل وفك الكفن، وأخذ أصبع والده ووضعه فى المبصمة على المحبرة ووضع يد والده على العقد، وجعل يُبصمه على عقد بيع لإحدى

العمارات التى يمتلكها هذا الوالد، وقبل أن يخرج بالعقد من أجل أن ينتفع به وأن يستمتع بتلك العمارة جاءه ملك الموت فى القبر فطرحه ميتًا بجوار والده- ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

بصمة فى قبر! عنوان عجيب لكن القصة أعجب بكثير، وكما قلت: ما أكثر العجائب التى نسمعها، بل ونراها فى كل يوم، بل وفى كل لحظة، يوم أن خربت الضمائر، وماتت القلوب، وابتعد كثير من الناس عن طاعة علاَّم الغيوب، وتعلقت أكثر القلوب بالدنيا ونسوا جنة عرضها السماوات والأرض أعدها الله - جلَّ وعلا- لعباده الصالحين فقال - جَلَّ فى عُلاه- كما فى «الصحيحين»- : **«أعددت لعبادى الصالحين فى الجنة: ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»**[١].



(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

نهاية شاب وأسرته[١]

هذه قصة شاب وصل إلى المرحلة الجامعية بعد كَدٍّ وتعب وعناء، لم يبق على تخرجه من الجامعة إلا عام واحد، قرر أن يسافر إلى الخارج دون علم الأهل؛ لأنه يعرف جيدًا أن والديه سوف يرفضان مبدأ فكرة السفر إلى الخارج للسياحة كما تعود شباب هذا الجيل، هذا الشاب عندما راودته فكرة السفر إلى الخارج قبل انتهاء العام الدراسى بثلاثة أشهر تقريبًا، بدأ يسأل نفسه ويجادلها حتى يخترع الأكاذيب والأباطيل التى تقنع والديه بسفره إلى الخارج وفى نهاية المجادلة والمحاورة مع نفسه وصل إلى عذر وحلٍّ نهائى يستطيع عن طريقه إقناع والديه وتحقيق حلمه ورغبته، هذا الحل هو أن يقول لوالده: إنه سوف يسافر إلى إحدى المدن داخل وطنه للترويح عن النفس بعد عناء عام كامل حافلٍ بالجد والاجتهاد والمثابرة.

اقتنع الوالد المسكين بكلام ولده واستسلم لمغرياته وأعذاره، ووافق على سفره إلى المدينة التى حددها له، قام هذا الشاب بالإسراع فى تجهيز نفسه قبل أن يرجع الأب فى كلامه وأول شىء بدأ به هو التقدم بطلب إلى مدير الجوازات لاستخراج جواز سفر، وتحقق له ما كان يريده وينقصه استخراج الجواز دون علم الأهل.

عاد إلى منزل الأهل فرحًا مسرورًا، بشوش الوجه، فقد أنجز أهم عمل يساعده فى رحلته الداخلية كما زعم.

فى اليوم المحدد للسفر طلب هذا الشاب من والده أن يعطيه مبلغًا معينًا يساعده على قضاء حوائجه فى هذه الرحلة والتى لا تستغرق أكثر من أسبوعين. . .

---

(١) نبضات واقعية، لبولغيث محمد ناصر عامرى.

وافق الوالد، وأعطى ولده المبلغ الذى يكفيه لمدة أسبوعين، . . . ودَّع هذا الشاب أهله، وانطلق إلى أحد أصدقائه لكى يوصله إلى المطار وفى طريقهم إلى المطار صارح هذا الشاب صديقه وقال له: إننى لن أسافر إلى المدينة التى زعمتُ أننى مسافر إليها، بل سوف أسافر إلى الخارج، ولأنك صديقى فإنى أصارحك وأرجو ألا تخبر أهلى بهذا الموضوع، فهذا سر بينى وبينك، وسيكون بيننا اتصال هاتفى عن طريقه نأخذ الأخبار من بعضنا.

استقبل الصديق الخبر دون أن يحاول مع الشاب فى الرجوع عن فعلته هذه، . . . جلس هذا الشاب هو وصديقه فى صالة المغادرين للرحلات الدولية بالمطار بانتظار موظف المطار ليعلن عن موعد إقلاع الرحلة. . . ، وما هى إلا لحظات حتى أعلن عن قرب إقلاع الرحلة الدولية المتجة إلى. . .

ودَّع هذا الشاب صاحبه وصعد إلى الطائرة دون تردد فى العودة بل على العكس كان فرحًا مسرورًا بهذه الرحلة، وبعد مرور عدة ساعات وصل هذا الشاب إلى المدينة التى يقصدها ونزل بمطارها واستقل سيارة أجرة متجهًا إلى أحد الفنادق المتوسطة لقضاء فترة الراحة والاستجمام بها بعد تعب وإرهاق ألمَّ به أثناء السفر.

عند دخوله الفندق طلب من موظف الاستقبال بالفندق أن يعطيه غرفة ذات سرير واحد، ثم طلب منه مشروبًا روحيًّا كما يقال، وهو نوع من المسكرات، فهو فى عجلة من أمره يريد أن يلحق السهرة، فقد جاء فى وقت قد بدأت فيه السهرة فى الفندق.

دخل الشاب غرفته وغير ملابسه بعد أن اغتسل وما هى إلا لحظات حتى دخلت عليه فتاة جميلة وسيمة ذات جسم رشيق، كاسية عارية وبيدها ما طلبه.

اندهش الشاب من المنظر الذى أمامه وقام بفرك عينيه فهو بين مُصدِّق ومكذب ثم أخذ الكأس، وقال لها بكل احترام وتقدير: «شكرًا جزيلاً» باللغة الإنجليزية.

ذهبت هذه الفتاة وهو مازال مستغرقًا فى التفكير، وصورتها لا تفارق عينه، فهذه أول مرة فى حياته يرى مثل هذه المغريات، وفتاة بهذا الجمال والجسم والرشاقة وبهذه الملابس. وبالرغم من التعب والإرهاق لم يُبالِ بل استغرق فى الشرب والتفكير حتى وصل إلى حلٍّ وهو أن ينزل إلى المرقص أو البار الموجود بالفندق؛ لكى يشبع عينه بالنظر ويشبع معدته بالشرب ناسيًا ومتناسيًا للأهل والوطن ودون وازع دينى يردعه.

دخل المرقص وهو متردد وخائف بل يرتجف من الخوف فهو لا يفهم لهجة الحاضرين وليس معه من العلم إلا القليل، جلس هذا الشاب فى إحدى زوايا المرقص ينظر إلى الفتيات الكاسيات العاريات وهن يرقصن ويترنحن يمنة ويسرة بسبب المشروبات وهو فاغرٌ فاه يريد أن يشاركهم ولكن الخوف يمنعه.

وما هى إلا لحظات حتى جاءته فتاة تشبه الفتاة التى قابلها فى غرفته ولكن بلباس مختلف فجلست معه على نفس الطاولة وطلب لها بعض المشروبات الغازية ودار بينهما حديث مبدئى - تسأله ويسألها- وأثناء الحديث اتضح أن الفتاة التى جلست معه هى نفس الفتاة الموظفة بالفندق والتى جاءت له بالطلب فى غرفته. وعندما سألها لماذا غيرت ملابسها - ملابس العمل الكاسية العارية - وجاءت للجلوس معه؟ قالت له: أنا موظفة بهذا الفندق منذ عدة سنوات وأقوم بتوصيل الطلبات للمقيمين داخل الفندق من مختلف الجنسيات وعندما تنتهى فترة عملى أقوم بتغيير ملابسى وأنزل إلى المرقص كى أتعرف على نزلاء الفندق الجدد وأجلس معهم وقد جلست معك لأننى عرفت أنك من دولة..... عن طريق موظف الاستقبال وأحببت أن أعرفك على نفسى وعلى نظام الفندق هنا.

بعد قضاء ثلاث ساعات أو أربع فى المرقص نهض هذا الشاب من مكانه

وهو لا يستطيع الحراك، فقامت الفتاة بمساعدته حتى أوصلته إلى غرفته، وما إن وصل الغرفة حتى رمى بنفسه على السرير دون حراك وغطَّ فى نوم عميق.

وفى الصباح استيقظ من نومه مندهشًا من منظره ومستغربًا من وجود الفتاة بجانبه فنهض مفزوعًا وقال لها: ماذا حدث؟ وماذا تفعلين هنا؟ ومن سمح لك بالدخول والمبيت معى؟ فقالت: اهدأ فأنت فعلت كذا وسمحت لى بالدخول، والمبيت معك على علم من إدارة الفندق بذلك، واطمئن لن يصيبك أذى، ثم قامت بتهدئته بنوع من العذوبة والحنان حتى استسلم إلى مغرياتها، ورجع إلى سريره يكمل نومه.

وعندما استيقظ من نومه مرة أخرى وجد الفتاة أمامه قد أحضرت بعض الأطعمة والمشروبات وهيأت الجو المناسب للتحدث والأكل مع بعضهما.

قام هذا الشاب وهو يحس بدوار وصداع فأخذ حمامًا لكى يكون نشيطًا ثم عاد وجلس مع الفتاة وأكلا وشربا، بعد ذلك نهضا واستعدا للخروج خارج الفندق والتجول داخل المدينة والتعرف على معالمها مع علم الإدارة أيضًا بذلك، فهذا نوع من عملها لكى تكسب صداقة النزيل وتغريه، وفى نهاية المطاف تأخذ منه كل ما تريد لمصلحة الفندق وتعطيه كل ما يريد وأهمها. . .

وبعد قضاء أجمل الأوقات وأسعدها عادا إلى الفندق وواصلا سهرتهما بشرب المسكرات والزنا وهكذا مدة إقامته فى الفندق سهر وشرب وزنا حتى انتهى الأسبوعان وهى المدة التى حددها لأهله، وقبل أن تنقضى هذه المدة بيوم ذهب لتأكيد الحجز ثم إلى الأسواق لشراء بعض الهدايا للأهل والأصدقاء ثم عاد للفندق لتكملة السهرة فيه.

وفى الصباح وقبل موعد السفر بساعة ودع الشاب محبوبته وداعًا حارًّا

ووعدها بالمجيء مرة أخرى عندما تكون الفرصة سانحة له وأخذ منها عنوانها ورقم هاتفها وأيضًا مجموعة صور فوتوغرافية تجمع بينهما.

وقبل أن يخرج من الفندق أخبرته برغبتها فى المجيء معه لكى تودعه وهو راكب الطائرة متوجهًا إلى وطنه وأهله فوافق.

عاد هذا الشاب إلى وطنه وهو فى أشد الفرح والسرور لمقابلة الأهل والأصدقاء وفى نفس الوقت فى أشد الحزن والأسى على فراق محبوبته الفتاة الجميلة التى ودعته فى المطار.

كان الذى استقبله فى المطار هو صديقه الذى أوصله المطار عند سفره، فقام هذا الشاب يحدث صاحبه ويفتخر بما فعله فى تلك المدينة من معاصٍ ويرغّب صديقه بالسفر معه فى المرة القادمة.

وصل الشاب إلى منزل أهله فرحًا مسرورًا يحمل فى حقيبته الهدايا الجميلة الغريبة التى لا يستطيع أحد أن يكشف من أين مصدرها هل من الوطن أم من بلد آخر، استقبل والده وإخوته وجلس معهم عدة دقائق معدودة، ثم استأذن من الأهل معتذرًا بالنوم والتعب والإرهاق وصعد إلى غرفته لينام، عندما امتد على سريره جلس يتذكر أيامه الحلوة التى قضاها فى تلك المدينة مع تلك الفتاة الجميلة وقام بإعادة شريط الذكريات من لحظة وصوله المدينة حتى صعوده الطائرة فى طريق العودة.

وفى اليوم الثانى جلس الشاب مع والديه يتبادلان الحديث حول رحلته هذه وكيف قضاها وأين؟ والابن يجيب على أسئلتهم بالأكاذيب والأباطيل حتى لا يشك والده فى أنه سافر إلى الخارج، وبعد ما يقارب السنة أصبح هذا الشاب من خريجى الجامعة ومن موظفى إحدى الشركات يشغل منصبًا عاليًا... له كلمته وسُمعته.

بعد هذه السنين رجع الشاب فى التفكير فى الفتاة الجميلة حتى قرر أن

يتزوج من إحدى قريباته لكى ينساها بتاتًا ففاتح والده بموضوع الزواج فوافق الأب وأبدى رغبته فى أنه يتمنى أن تكون ابنة أخيه زوجة لابنه.

فوافق هذا الشاب على الزواج من ابنة عمه وقام بالاستعداد لإنهاء أمور الخطوبة والعقد وحفل الزفاف بعد أن تحدد كل شىء فى وقت قصير جداً.

أخذ هذا الشاب أجازة لمدة شهر من مقر عمله لأنه يرغب فى الزواج، وبعد أن تمت مراسم حفل الزفاف بمدة قصيرة قضى أول شهر من زواجه بين الأهل والأصدقاء فى وطنه.

وبعد مرور شهرين أو ثلاثة أشهر أصبحت زوجته حاملاً وسوف يكون أبًا، فعند سماعه لهذا الخبر فرح فرحًا شديدًا، ولم تكن الدنيا تسع لفرحته هذه، انتظر هذا الشاب فترة الحمل بكل شوق فهو يعد الليالى والأيام والساعات والدقائق ينتظر أول مولود له ومتى يقال له : ألف مبروك رُزقت بولد أو بنت.

وفى يوم من الأيام وقبل ولادة زوجته بشهر تقريبًا حصل لهذا الشاب حادث مروع أدى إلى إصابته فى الرأس نتج عنه نزيف فى قاع الجمجمة أُدخل من خلاله المستشفى فى قسم العناية المركزة، وبعد مرور أسبوعين من الحادث بدأ يفيق هذا الشاب من غيبوبته حيث سبب له النزيف غيبوبة وبدأت حالته تتحسن.

بعد شهر نُقلت زوجة الشاب إلى المستشفى حيث بدأت علامات وأعراض الولادة تظهر عليها وفعلاً ولدت هذه الزوجة ورُزقت بمولودٍ ذكر، ووصل خبر الولادة إلى الشاب وأنه رُزق بمولود ذكر ففرح فرحًا شديدًا؛ لأنه أصبح أبًا وبدأت حالته فى تحسن مستمر.

وفجأة وفى يوم من الأيام بدأت تظهر علامات غريبة على هذا الشاب، ارتفاع فى درجات الحرارة، عرق ليلى غزير، تضخم فى الغدد اللمفاوية

وخاصة الموجودة فى العنق وتحت الإبط، إسهال ونقص فى الوزن، سعال شديد وجاف.

عند ذلك قرر الأطباء عمل تحاليل مخبرية وفحوصات عاجلة لمعرفة السبب، فهذه كلها علامات الإصابة بمرض العصر «الإيدز».

أظهرت جميع نتائج التحاليل أن هذا الشاب مصاب بالإيدز ويؤكدها جميع الأطباء الاستشاريين بالمستشفى من مختلف التخصصات، كل هذه التحاليل والفحوصات عُملت دون علم الأهل بنتائجها فتم نقل الشاب إلى غرفة معزولة بعيدًا عن المرضى الآخرين ومُنعت الزيارة عنه، فقلق أهل الشاب عليه وسألوا الطبيب عن سبب العزل لابنهم.

فأخذ الطبيب والد الشاب إلى مكتب الخدمة الاجتماعية بالمستشفى وأخبره بحالة ابنه وما هو المرض الحقيقى الذى يعانى منه الآن بغض النظر عن الحادث الذى وقع له.

فكانت الصدمة الكبرى للأب والأهل، فقال الأب كيف أصيب بهذا المرض؟ ومتى؟ وتجمع فى مخيلتهم مائة سؤال وسؤال.

وفى نهاية الأمر قرر الأب أن يدخل إلى ابنه فى غرفته ويستأذن الطبيب فى زيارة ابنه، فوافق الطبيب ودخل الأب على ابنه وهو يبكى تتساقط دمعاته من عينيه وهو يقول: اصدقنى القول يا ابنى أريد إجابة على أسئلتى واستفساراتى، فقال الابن وهو لا يدرى بالموضوع: أصدقك القول يا أبى، فسأله والده وقال: أين سافرت؟ ومع من؟ فقال الشاب: سافرت إلى مدينة... المدينة التى حددها داخل وطنه سابقًا لكى يوافق والده على سفره، ومع أصدقائى؟ فقال الأب تكذب علىّ، لقد سافرت إلى مدينة فى الخارج، مدينة يُحل فيها الحرام، وشربت الخمر والمسكرات، أليس كذلك؟ فأجاب الشاب بقوله: نعم، فقال الوالد: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولم

يكمل مقولته هذه حتى أصيب بصدمة نتج عنها شلل رباعى.

علم الشاب أنه السبب فى ما حصل لوالده ولكنه لم يعلم إلى الآن أنه مصاب بمرض الإيدز.

علم الأهل بما فيهم زوجته بحالته فقررت هى أيضًا أن تزوره فى غرفته فذهبت إليه ودخلت عليه وهى باكية وقالت له: لقد ظلمتنى وظلمت ابنك الرضيع والذى لم ولن تراه بعد اليوم.

فقال: كيف ظلمتك وظلمت ابنى وكيف تقولين: إننى لم ولن أراه بعد اليوم؟

فقالت: هل تعرف ما هو مرضك ولماذا أصيب عمى بشلل رباعى؟!

فقال فى تخوف: مجرد إصابة فى الرأس بسبب الحادث الذى وقع لى.

فقالت: يا ليته هكذا؟

فقال: إذًا ما هو مرضى أخبرينى؟

فقالت وهى تبكى بكاءً شديدًا: إنك مصاب بمرض الإيدز.

فقال: ماذا؟!... مرض الإيدز... فأصيب بأزمة قلبية أدت إلى وفاته على الفور... والزوجة واقفة أمامه تنظر إليه معتقدة أنه قد أُغمى عليه بسبب هول الخبر، فاستدعت الطبيب ليراه؟ وعند فحصه اتضح أنه قد فارق الحياة وأخبر زوجة المتوفى بحالته فسقطت مغشيًّا عليها.

ودخل الأهل الغرفة بعد سماعهم صراخ الزوجة ينظرون إليها وإلى زوجها وهما فى حالة يُرثى لها وقاموا بنقل الزوجة إلى قسم الإسعاف بالمستشفى وقام موظفو القسم بتجهيز الشاب المتوفى وتكفينه مؤقتًا حتى تكتمل جميع الأوراق الخاصة بحالات الوفاة بالقسم.

وفى اليوم التالى وبين بكاء النساء والأطفال قام أقرباء الشاب المتوفى بالذهاب إلى المستشفى لاستلام جثته ودفنه ووضعه فى أول منزل له من منازل الآخرة.

ومع مرور الوقت اكتشف الأطباء أن هذه الزوجة وابنها مصابان بمرض الإيدز فتحطمت الزوجة وأصيبت بحالة هيستيرية عندما علمت بأنها مصابة هى وابنها بالإيدز ونُقلت إلى مستشفى الصحة النفسية على الفور، وفى مستشفى الصحة النفسية بدأت تزداد حالة الزوجة سوءًا حتى أُصيبت بالجنون فعُزلت عن جميع المرضى حتى لا تؤذيهم ومُنعت الزيارة عنها أيضًا.

وذات يوم من الأيام طلب والد هذه الزوجة من الطبيب المعالج بالسماح له بأخذ الزوجة إلى المنزل لترى ابنها وأمها، فوافق الطبيب على ذلك بعد أن تعهد والد الزوجة بأنه مسؤول عما ستفعله هذه الفتاة من أذية لنفسها ولابنها.

وفى المنزل عندما شاهدت الزوجة طفلها احتضنته بقوة وهى تبكى وتضحك واضعة وجهه على صدرها فانقطع نفس الطفل ومات بين يديها وهى مازالت تحتضنه.

حاول والد الزوجة أن يأخذ الطفل من يد أمه فلم يستطع وبعد عدة محاولات أخذ الطفل ولكن بعد فوات الأوان وعندما شاهدت الزوجة طفلها بدون حراك قامت بالرقص والضحك والبكاء معًا وهى تقول: مات لقد مات؟!!

فذهبت مسرعة إلى المطبخ وأخذت سكينًا وقامت بتهديد أبيها وأمها ثم صعدت إلى غرفتها وأغلقت على نفسها الباب ثم ربطت حبل بالمروحة وشنقت نفسها... فقام والدها بالاتصال بالشرطة لمساعدته فهو كبير فى السن، وما هى إلا لحظات حتى وصلت الشرطة إلى العنوان ودخل رجال الشرطة المنزل، فأخبرهم والد الفتاة بالقصة وأن ابنته فى غرفتها فى الدور العلوى.

صعد رجال الشرطة إلى الغرفة وكسروا الباب فوجدوا الفتاة معلقة بحبل

مربوط بالمروحة وقد فارقت الحياة، وهكذا كانت نهاية الشاب وأسرته ولكن ما ذنب الأم وطفلها البرىء؟!!

فهل من توبة يا شباب؟!! وهل من رقابة يا أيها الآباء؟!!

ذاك زرعك.. وهذا حصادك [(١)]

انضم خالد إلى حلقة تحفيظ القرآن الكريم... كان خجولاً هادئًا... كثير الصمت... نشيطًا فى الحفظ والمراجعة... أحب الجميع... وأحبه الجميع... يقول أستاذه: لم نكن ننكر عليه أى شىء إلا شروده الطويل وتفكيره الساهم... فأخذته يومًا فى رحلة إلى شاطئ البحر فلعل سره الكبير يلتقى مع هذا البحر الكبير فيفرغ ما فى نفسه من همٍّ ويُخرج ما فى روحه من ألم... ووقفت أمام هذا الفتى الصامت أمام هذا البحر الهادئ الصامت... المنظر كله صمت... فى صمت... وفجأة يخترق هذا السكون الصامت... صوت بكاء حار... ونحيب مر.....صوت خالد وهو يبكى... لم أشأ أن أقطع عليه لذة البكاء وطعم الدموع فلعل ذلك يريح نفسه... ويزل همه.... وبعد لحظات قال: إنى أحبكم... أحب القرآن... وأهل القرآن الصالحين... الطيبين... ولكن أبى... أبى يحذرنى دائمًا أن أمشى معكم... يخاف منكم... يكرهكم... دائمًا يُبغِّضنى فيكم... ويستشهد على ذلك بقصص وحكايات وأساطير... لكن عندما أراكم فى الحلقة تقرؤون القرآن كنت أرى النور فى وجوهكم وفى كلامكم... ولما انضممت للحلقة شعرت بالسعادة... واجتهدت فى حفظ القرآن... كانت ليالىَّ

---
(١) الميلاد الجديد: للغامدى «بتصرف واختصار».

وأيامى كلها قرآنًا. . . ولاحظ أبى التغيير الذى طرأ على حياتى، عرف بطريقة أو بأخرى أننى دخلت التحفيظ ومشيت مع المطاوعة[1].

كانت تلك الليلة السوداء. . . كنا ننتظر حضوره من المقهى. . . كعادته اليومية. . . لنتناول العشاء فدخل البيت بوجهه المظلم وتقاطيعه الغاضبة، وجلسنا على سُفرة الطعام. . . الكل صامت. . . كالعادة. . . كلنا نهاب الكلام فى حضوره. ثم قطع الصمت بصوته الأجش الجهورى: لقد سمعت أنك تمشى مع المطاوعة، فانعقد لسانى. . . وذهب بيانى. . . ولم ينتظر الإجابة. . . تناول إبريق الشاى. . . ورماه بقوة فى وجهى. . . ودارت الدنيا فى رأسى. . . وسقطتُ فحملتنى أمى. . . وصحوت من إغماءتى الخفيفة على يديها الدافئة وإذا بالصوت الجهورى يقول: اتركيه. . . وإلا أصابك ما أصابه. . . فاستللت جسمى من بين يدى أمى وتحاملت على نفسى لأذهب إلى غرفتى وهو يشيعنى بأبشع الشتائم. . . وأحط الألقاب. . . لم يكن يمر يوم إلا وهو يضربنى. . . يشتمنى يركلنى. . . يرمينى بأى شىء يجده أمامه. . . حتى أصبح جسمى لوحة مرعبة اختلطت فيها الألوان الداكنة.

كرهته. . . أبغضته. . . امتلأ قلبى بالحقد عليه. . . وفى يوم من الأيام ونحن على سفرة الطعام قال: قم ولا تأكل معنا. . . وقبل أن أقوم. . . قام هو وركلنى فى ظهرى ركلة أسقطتنى على صحن الطعام. . . تخيلت أننى أصرخ فى وجهه: سوف أقتص منك. . . سوف أضربك كما تضربنى وأشتمك كما تشتمنى، سوف أكبر. . . وأصبح قويًا. . . وسوف تكبر وتصبح ضعيفًا. . . عندها أفعل بك كما تفعل بى. . . ثم هربت. . . وخرجت من المنزل. . . وأصبحت أجرى وأجرى على غير هدى وبدون هدف حتى ساقتنى رجلى إلى هذا البحر وأمسكت بالمصحف أقرأ فيه حتى

(١) المطاوعة: يطلقها العوام فى بعض البلاد العربية على من أطلق لحيته والتزم الشرع.

لم أستطع أن أواصل من كثرة البكاء وشدة النحيب، . . . عندها نزلت من خالد بعض من دموعه النقية. . . ولم أنبس بكلمة فقد ربط العجب لسانى، هل أعجب من هذا الأب الوحشى الذى خلا قلبه من الرحمة؟ أم أعجب من هذا الابن الصابر الذى أراد الله عز وجل له الهداية فألهمه الثبات؟، أم أعجب منهما الاثنين حين استحالت رابطة الأبوة والبنوة بينهما أشلاء وصارت علاقتهما كعلاقة الثعلب بالذئب والأسد بالنمر. . .؟ أخذته بيدى، ومسحت دموعه بيدى وصبّرته. . . دعوت له ونصحته ببر والده والصبر على أذاه. . . ووعدته بأن أقابل والده وأكلمه وأستعطفه. . . ومضينا. . . ومرت الأيام. . . وأنا أفكر فى الطريقة التى أفاتح بها والد خالد فى موضوع ابنه وكيف أقنعه. . . بل كيف أُعرفه على نفسى. . . وأخيرًا. . . استجمعت قواى وقررت أن تكون المقابلة فسرت إلى منزله وطرقت الباب. . . ويدى ترتجف. . . ثم فتح الباب. . . وإذا بذلك الوجه العابس، وتلك التقاطيع الغاضبة. . . فابتسمت ابتسامة صفراء لعلها تمتص نظراته السوداء. . . وقبل أن أتكلم. . . أمسك بتلابيب ثوبى وشدنى إليه وقال: أأنت المطوع الذى تدرس خالدًا فى المسجد؟؟. . . قلت: ن، ع، م. . . قال: والله لو رأيتك تمشى معه مرة أخرى كسرت رجلك، خالد لن يأتيكم بعد الآن، ثم جمع مادة فمه. . . وقذف بها دفعة واحدة فى وجه الفقير إلى الله، وأغلق الباب وكان ختامها مسكًا. . . فمسحت عن وجهى ولحيتى ما أكرمنى به. . . ورجعت وأنا أسلى نفسى. . . رسول الله ﷺ فُعل به أكثر من ذلك، كذبه قومه وشتموه ورموه بالحجارة، أدموا رجله. . . وضعوا القاذورات فوقه. . . طردوه وأخرجوه من أرضه. . . ومرت الأيام والشهور ونحن لا نرى خالدًا. . . فأبوه يمنعه حتى من الخروج للصلاة، ونسيناه فى غمرة الحياة. . . ومرت السنون وفى ذات ليلة بعد صلاة العشاء

وفى المسجد إذ بيد غليظة تمسك بكتفى. . .آه إنها ذات اليد التى أمسكت بعنقى قبل سنين. . . إنه نفس الوجه. . . ونفس التقاطيع. . . ونفس الفم الذى أكرمنى بما لا أستحق. . . ولكن هناك تغييرًا كبيرًا. . الوجه العابس. . . أصبح منكسرًا، والجسم هدته الآلام والهموم. . . فقلت: أهلاً يا عم ورحبت به فانفجر باكيًا. . . سبحان الله! ما كنت أظن أن ذلك الجبل سوف يصبح يومًا سهلاً فقلت: تكلم يا عم وأخرج ما فى نفسك كيف حال خالد؟ فتنهد بعمق وقال: أصبح خالد يا بنى ليس خالدًا الذى تعرفه، ليس خالدًا الفتى الطيب الهادئ الوديع. . . منذ أن خرج من عندكم تَعرَّف على شلة من شلل الفساد يلهو ويلعب. . . بدأ بالدخان معهم فشتمته وضربته. . . لا فائدة فقد تعود جسمه على الضرب واستساغت أذناه الشتائم. . . كبر بسرعة كان يسهر معهم ولا يأتى إلا مع خيوط الفجر، طُرد من المدرسة أصبح يأتينا ليلاً بلسان يَهذى ويد ترتعش. . . تغير ذلك الجسم الغض الطرى أصبح جسمه مهترئًا ضعيفًا. . . أصبح وجهه أسودًا وعينه حمراء كالنار، ذهب قلبه الطيب البار، واستحال قلبًا قاسيًا كالصخر أو أشد. . . أصبح لا يمر يوم إلا ويشتمنى أو يركلنى أو يضربنى. . . تصور يا بنى أنا أبوه يضربنى. . . ثم عاود بكاءه الحار ثم مسح دموعه، أرجوك يا بنى زوروا خالدًا خذوه معكم، بيتى مفتوح لكم، بل إننى راضٍ أن يعيش فى منازلكم وينام معكم، أرجوك يا بنى أقبّل يدك وألثم رجليك أرجوك، المهم أن يرجع خالد كما كان، ومضى فى بكائه ونحيبه وحسراته وتركته حتى أنهى ذلك كله، فقلت له: يا عم ذاك زرعك، وهذا حصادك، ورغم ذلك دعنى أحاول.

وبدأت محاولاتى مع خالد لردّه إلى طريق الهداية والاستقامة. . . الذى انحرف عنه بتأثير الضغوط الرهيبة التى مارسها عليه والده الظالم القاسى. . . وبتأثير رفقاء السوء. . .

حـاولت أن أقـابل «خـالدًا» بأى وسـيلةٍ. . . ولكنه كـان يتـهـرب من مواجهتى بكل وسيلةٍ ممكنة. . .

بعـــثت له الرســـائل والخطابات. . . تـابعت علـى منزله المـكالمات والاتصالات. . . انتظرته عند باب منزله السـاعـات تلو الساعات. . . بحثتُ عنه فى المقـاهى وأماكن التـجمـعات. . . ولكن دون أن أظفـر بمقابلـته أو محادثتـه أو مواجهته. . . وفى ذات مرة. . . وبينمـا كنتُ سائرًا على قدمىَّ فى أحد شوارع الحارة. . . إذ بى أواجه «خالدًا» أمامى. . .

عرفته مباشرة رغم تغير مـلامحه كثيرًا. . . وعرفنى هو على الفور. . . فحاول الهرب منى. . . والتملص من مواجهتى. . .

أمسكت يده بقوة. . . ضـممتهُ إلى صدرى!! احتـضنتهُ إلى قلبى!!كان موقـفًا مـؤثرًا مؤلمًا. . . لم يستـطع «خالد» الصمـود أمامـه. . . فانفـجر بالبكاء. . . ولم أتمالك نفسى أنا أيضًا. . . فأجهشت بالبكاء!!

بقينا على هذه الحال لدقـائق. . . ثم أخذته معى إلى منزلى. . . جلسنا سـويًّا لفـترة طويلةٍ وحكى لى «خـالد» كل مـا جرى له بعـد تركه «لحلقـة القرآن». . . وأن حاله قد تغيرت منذ أن فارقنا. . .

أخبرتُ «خالدًا» بأن والده هو الذى طلب منى أن آتيه. . . وأدعوه للعودة إلى «حلقة القـرآن الكريم» فى المسجـد!! . . . وأخبرته أن والده قـد أصبح يحب الصالحين والمتدينين!! . . . ودعوتهُ إلى التوبة النصوح. . . . فتحتُ له أبواب الأمل والرجـاء فى رحمة الله تعـالى. . . . حثـثته علـى العودة إلى المسجد والمصحف ومخالطة الصالحين. . .

طلبتُ منه وبإلحاح شديد. . . أن يعود إلى درب الهداية والالتزام. . .

ولما أكثرتُ عليه الإلحاح... انفجر باكيًا وهو يقول:

صدقنى يا أسـتاذ «سلمان» إننى أتمنى أن أعود إليكم. . . وإلى المسجد وإلى درب الهـداية والاسـتـقـامـة. . . ولكننى لا أسـتطيعُ ذلك. . . لا

أستطيع!!... لقد دمّر «أبى» بظلمه وقسوته وكراهيته للصالحين والملتزمين كل شىء جميلٍ وسامٍ فى حياتى...!!

لقد أصبحتُ أعيش فى هذه الحياة بلا هدف كريم... أو غاية نبيلة أسعى لتحقيقها والحصول عليها... لقد أصبحتُ لا أُطيق الصبر عن المخدرات والأفلام والنساء والسهرات والسفريات!!...

لقد فات الأوان يا أستاذ «سلمان»!!... لقد انتهى كل شىء!!... فدعونى أسير فى هذا النفق المظلم حتى أصل إلى نهايته...والله أعلم ماذا ستكون النهاية؟!!

وقبل أن يُفارقنى «خالد» نظر إلىّ نظرةً حانيةً لطيفة وقال:

أستاذ «سلمان»... ادعُ الله أن يغفر لى ذنوبى وجرائمى... وادعُ الله على «أبى» الظالم الذى قادنى إلى الهاوية!!

ثم انصرف «خالد» عنى والدموع تتحدر من مقلتيه... ولسان حاله يقول: هذا ما جناه أبى علىّ... لا ما جنيته على نفسى!!...

انقطعت أخبار «خالد» عنى بالكلية بعد تلك الحادثة... وعلمتُ من أبيه أنه قد ازداد بعدها قسوةً وغلظةً وشراسةً معه... وازداد ضلالاً وعنادًا وإنهماكًا فى المعاصى... وظللتُ أدعو الله له بالهداية والصلاح دائمًا...

وفى ذات ليلة مظلمة حالكة السواد... وقبيل الفجر بقليل... خرجتُ من البيت لشراء دواء لأحد أطفالى... من إحدى الصيدليات المجاورة... وكان طريقى يمر على منزل «خالد»... فلفت نظرى وجود سيارات شرطة عند باب منزله!!... ترجلتُ عن سيارتى مسرعًا... واتجهتُ إلى منزل «خالد» لأستطلع الخبر... فلقيتُ أحد إخوة «خالد» واقفًا على الباب... والدموع تتحدر من عينيه... سألته عن الخبر... فأخبرنى بالكارثة الفظيعة!!...

والمصيبة المؤلمة!!...

لقد عاد «خالد» إلى البيت قرب الفجر... وكان مخموراً سكران يهذى!!... طرقَ باب البيت بعنفٍ... حاولت الأم أن تفتح له... ولكن «أبا خالد» منعها من ذلك!! استمر «خالد» يطرق الباب بقوة وعنف... فخرج له أبوه ليطرده عن الباب!!... ودخل الاثنان فى شجار وسبابٍ مقذعٍ!!... وشتم «خالدٌ» أباه.... وحاول أن يمدَّ يده عليه!! بدون وعيٍ أو شعور منه!!... وحاول الأب أن يُدافع عن نفسه!!... فضرب «خالداً» بعصا غليظة كانت معه على رأسه!!..

جنَّ جنون «خالد» عندها... فأخرج سكيناً من جيبه!!... وهوى بها على جسد والده العجوز!!... وطعنه بها عدة طعنات متتابعة!!... سقط الأب على الأرض مُضرجاً بدمائه!!... وأما «خالد» فقد ولى هارباً.... جاءت سيارة الإسعاف فحملت الأب إلى المستشفى بين الموت والحياة!!...

قال الأستاذ «سلمان» وفى الصباح... علمتُ أن الأب قد لفظ أنفاسه الأخيرة فى المستشفى !!... متأثراً بالطعنات التى أصابت جسده... وأما «خالد» فتم القبض عليه وإيداعه السجن... تمهيداً لتحويله إلى المحكمة الشرعية ليواجه مصيره المحتوم... الموت!!...

وخرجنا فى جنازة «والد خالد» فى قبره... وانصرف المشيعونَ... وقفتُ على القبر... ودعوتُ له بالتثبيت... ثم قلتُ له:

يا أبا خالد: هل تسمعنى؟!!...

يا أبا خالد: ذاك زرعك!!... وهذا حصادكَ!!... فذُق مرارةَ ما جنته يداكَ!!...

فما أبشعه من حصاد!!... وما أقساها من نهاية مريرة دامية!!

فهل فهم الآباء والأمهات هذا الدرس جيداً قبل فوات الأوان؟!!...

كما تدين تدان

حكى الدكتور ميسرة طاهر- حفظه الله تعالى- قصة رجل رافقه فى الدراسة فقال فى معرض حديثه : . . .وأنا رأيته فى يوم من الأيام يحمل عصا يجرى بها وراء والده، ووالده حافيًا وعليه ملابس النوم. . والابن يقول له: قف (يا كلب). . . رأيته بأم عينى فأخبرت أبى - رحمه الله تعالى- عليه بما رأيت وإنى متألم، فقال: لا تستغرب يا بنى، أنا أعرف الأب يوم كان صغيراً كان يقول له أبوه: اذهب يا فلان الله يجعل من ينتقم منك من صلبك، وقد استجاب الله - تعالى- دعاءه(١).

لا تروع مسلمًا (٢)

منذ ودعته لينتقل إلى بلد آخر للدراسة وهى لا تتوقف عن التفكير فيه والحديث مع الجارات عنه. . .إنه وحيدها وفلذة كبدها. . . لكم اشتاقت إليه. . . تنهدت أم أحمد وهى تعد الأيام الأخيرة لابنها فى بلاد الغربة البعيدة. . .

الحمد لله. . . أيام ويعود. . . كم اشتقت إليك يا بنى. . .

ويتراءى لمخيلتها وهو يلقى بالحقائب ويهرع نحوها ليُقبِّل يديها ويمنحها بسمته الحانية. . . ترمق الماضى وتتذكر كيف كان يملأ عليها البيت سروراً وسعادة. . . وكيف تعبت كثيراً حتى بلغ مبلغ الرجال وصار يشار إليه

---

(١) بتصرف من شريط بعنوان (إشارات نبوية للسعادة الأسرية) للدكتور/ ميسرة طاهر.

(٢) «حوادث واقعية» الحميدى.

بالبنان لاجتهاده وذكائه... شعرت بأنه آن الأوان لتقطف ثمرة جهدها وترى ابنها طبيبًا ماهرًا له مكانته...

تستيقظ من شرودها على رنين الهاتف... تنهض من أريكتها وتسرع وهى تعتقد أن الذى سيكلمها هو ابنها...

لابد أنه أحمد... سيخبرنى بموعد قدومه... وترفع السماعة ونبضات قلبها تخفق... من...؟! من المتكلم؟.

وتصفعها كلمات حارقة تنبئها بالفاجعة... ابنك يا أم أحمد لقد اصطدم بسيارته ومات... تتغير ملامح وجهها وينعقد لسانها... تصاب بالذهول... تسقط السماعة من يدها... تضطرب قليلاً ثم تهوى على الأرض...

ويقدر الله عز وجل أن يأتيها قريب لها فى ذلك الوقت ليسأل عنها... يطرق الباب فلا يجيب أحد... يحرك مقبض الباب فيجده مفتوحًا...

ترى ما الأمر؟!

يلج المنزل ليفاجأ بأم أحمد ملقاة على الأرض غائبة عن الوعى... يسرع بنقلها إلى المستشفى...

ويصل أحمد إلى بلدته، ويسرع والشوق يدفعه لرؤية أمه التى يحبها حبًّا عظيمًا، وصل البيت وهو يحلم بأنه يزف لأمه بشرى نجاحه، ويدخل المنزل ليفاجأ بعدم وجود أحد بداخله يسأل عن أمه فيعلم أنها فى المستشفى... يستقل سيارته ويسرع للاطمئنان عليها، ينهب بسيارته الأرض ليصل فى أسرع وقت ممكن... ويمضى دون أن ينتبه لمخاطر الطريق... وينفجر إطار سيارته عند منعطف حاد فتنقلب سيارته وتتحطم... يسرع الناس لإنقاذه... يخرجونه من السيارة والدماء تغطى جسده... ينقله أحدهم بسيارته للمستشفى... يصل وقد فارق الحياة... تصحو أمه وتعلم بقصته... تشهق من شدة الأسى وتنهار... لا حول ولا قوة إلا بالله... لقد ماتت...!!.

ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون

تزوجت امرأة بزوج أكرمها وعاملها أحسن معاملة فغيَّر هذا الوفاق أهل الزوج وحاكوا الشر ضدها وما زالوا يُحرِّضونه حتى طلقها- وهى حامل- بغير ذنب اقترفته، فكانت تبكى وتقول: (حسبى الله ونعم الوكيل! اللهم اخلفنى خيرًا منه) ووضعت ذلك الطفل، ثم تزوجت برجل ذى خلق ودين ربَّى طفلها حتى كبر وتزوج، وأما أهل زوجها الأول فلا تسأل عن حالهم فقد طُلقت أخواته الثلاثة وطُلقت أمه بعد أربعين عامًا من الزواج، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون.

الأيام دول

هذه قصة واقعية من أيامنا هذه، ترسلها زوجة إلى جريدة الأهرام، ونشرها محرر «بريد الجمعة» عبد الوهاب مطاوع فى مقالة تحت عنوان: «الضوء الأخير!».

تقول هذه الزوجة: دفعنى للكتابة إليك بيتا الشعر اللذان قرأتهما فى ردك على إحدى الرسائل ويقولان:

إنما الدنيا هِبَاتٌ
وعوار[1] مُستردّه
شدةٌ بعدَ رخاء
ورخاءٌ بعدَ شدّه

(١) عوارٍ: جمع عارية وهى الشىء المستعار.

فأردت أن أروى لك قصتى عسى أن تكون عـبرة لغيرى، فأنا زوجة وأم لفتاة بالسنة النهـائية بإحدى الكليات النظرية، ولى ابنٌ شـابٌ متزوج ولَدَيْه طفلان، وزوجى ضابط عسكرى بالمعاش، ونعـيش فى أحد أحياء القاهرة، ومنذ أن بدأت حـياتى مع زوجى ونحن نعـيش حياة رغـدة، وقد اسـتعنت طوال حياتى الزوجية على تربيـة أولادى بمربيات عدة، لا أتذكر عددهن من كثرتهن، ولا عجب فى ذلك، فـقد كانت كل واحدة منهن لا تمكث عندى أكثر من شهرين، ثم تفرّ من قسوة زوجى العدوانى بطبعه، والذى لا أعرف هل اكتسب عـدوانيته هذه خلال رحلة حيـاته أم أنها وراثية فيه، فـقد كان يتفننُ فـى تعذيب أى مربيـة تعمل عندنـا، ولا أنكر أنى شاركتـه فى بعض الأحيان جريمته.

ومنذ خمـسة عـشر عـامًا، وابنتى فى السـابعة من عمـرها، وابنى فى المرحلة الإعـداديـة جـاءنا مـزارع من مـعـارف زوجى، ومن أبـناء بلدته، يصطحب معـه ابنته الطفلة ذات الأعوام التـسعة، فـاستقـبله زوجى بكبرياء وترفُّع، وقال المزارع البسيط: إنه أتى بابنته لتعمل عندنا مقابل عشرين جنيهًا فى الشـهر... ووافقنا، وترك المـزارع المكافح طفلته الشـقراء، فانـخرطت الطفلة فى البكاء، وهى تمسـك بجلباب أبيـها، وتسـتحلفـه ألا يتأخـر عن زيارتها، وألا ينسى أن يسلم لها على أمهـا وإخوتها، وانصرف الرجل دامع العينين، وهو يعدها بما طلبت، وبدأت الطفلة حيـاتها الجديدة معنا، فكانت تستيقظ فى الصباح الباكر قبل أن يسـتيقظ طفلاى لتساعدنى فى إعداد طعام الإفطار لهمـا، ثم تحمل الحقـائب المدرسية، وتنزل بهـا إلى الشارع، وتظل واقفة مع ابنتى وابنى حتى يحملهمـا أتوبيس المدرسة، وتعود للشقة فتتناول طعام إفطارها وكان غالبًا من الفـول بدون زيت، وخبز على وَشَك التعفن، وفى بعض الأحيـان قد نجود عليـها بقليل من العـسل الأسود أو الجبن، ثم

تبدأ فى ممارسة أعمال البيت من تنظيف وشراء الخضر والمسح وتلبية النداءات حتى منتصف الليل، فتسقط على الأرض كالقتيلة وتستغرق فى النوم، وعند أى هفوة أو نسيان أو تأجيل أداء عمل مطلوب، ينهال عليها زوجى ضربًا بقسوة شديدة، فتتحمل الضرب باكية صابرة، ورغم ذلك فقد كانت طفلة فى منتهى الأمانة والنظافة والإخلاص لمخدوميها، تفرح بأبسط الأشياء، وتغنى غناءً حزينًا خافتًا يعبر عن شوقها لبلدتها وأمها وإخوتها وهى تغسل الأطباق.

ورغم اعترافى بأنى كنت شريكة لزوجى فى قسوته على الخادمات، وتفننه فى تعذيبهن، حتى أنه كان أحيانًا يختلق الأسباب لضرب أى خادمة تعمل عندنا، إلا أنه كانت تأخذنى الشفقة فى بعض الأحيان بهذه الفتاة، لطيبتها وانكسارها وإخلاصها، فأناشد زوجى ألا يضربها، وأقول له: إنها قد كبرت وتعوّدت على طباعنا، وتحملتنا كثيراً فلا داعى للاستمرار فى ضربها، فكان يقول لى مقهقهًا: إنه لو لم يضربها، فإنها ستطلب منه أن يضربها؛ لأنها قد تعوّدت عليه، وأن هذا الصنف من الناس لا تجدى معه المعاملة الطيبة، واستمرت الفتاة تتحمل العذاب فى صمت وصبر، وأتذكر هذه الطفلة التى تماثل أبنائى فى العمر تنظف وتغسل دون شفقة، وبعد أن تنتهى من أعمالها الشاقة ترتدى فستانًا قديمًا لكنه نظيف؛ لأنها كانت تحرص على نظافة ملابسها البسيطة، أما أبوها فلم تره تلك الطفلة إلا مرات معدودة بعد عملها عندنا، فقد انقطع عن زيارتها بعد شهور، وبدأ يرسل أحد أقاربه لاستلام أجرتها الشهرية، كما لم تر أمها وإخوتها إلا فى ثلاث مناسبات محددة، الأولى حين مات شقيقها الأكبر فى حادث عند عودته من الأردن، وكانت الفتاة المحرومة تعلق أملاً كبيراً على عودته، وتحلم بأن ينتشلها من العذاب الذى تعانيه عندنا، فإذا به يلقى مصرعه، وتفقد آخر

أمل لها فبكته بحرقة وسرًّا حتى لا يراها زوجى، فتلقى عقابًا على يديه.

والمرة الثانية لم تكن تعطفًا منا عليها، وإنما كانت تخلصًا منها فى الحقيقة فقد كانت مريضة بمرضٍ مُعدٍ، وخشينا على طفلينا من انتقال العدوى إليهما، فأبعدناها إلى بلدتها بحجة أن ترى أمها وإخوتها.

وكانت المرة الثالثة عند وفاة أبيها بعد أن دخلت مرحلة الصبا، واستقر الحزن والانكسار فى قلبها.

وأرجو أن تصدقنى يا سيدى، إذ ليس لدى ما يبرر أن أدعى شيئًا غير صادق، وأنا كتبت لك بإرادتى، إذا قلت أنى أبكى الآن كلما تذكرت قسوة عقابنا لها إذا أخطأت أى خطأ، كان لابد أن تخطئ، كأى طفلة، وكأى إنسان، فقد كان زوجى يصعقها بسلك الكهرباء!!، وكثيراً ما حرمناها من وجبة العشاء فى ليالى البرد القاسية، فباتت على الطوى جائعة، ولا أتذكر أنها نامت ليلة لمدة سنوات طويلة دون أن تبكى!!.

وسوف تتساءل ولماذا تحملت كل هذا العذاب ولم تهرب بجلدها من جحيمكم؟ وأجيبك بأن الفتاة حين قاربت سن الشباب خرجت ذات يوم لشراء الخضروات ولم تعد، فسأل زوجى البواب عنها، وعرف أنها كانت تتحدث لفترات طويلة مع شاب يعمل لدى جزار بنفس الشارع، وأنه من المحتمل أن تكون قد اتفقت معه على أن يتزوجها وينتشلها من هذه الحياة، فلم يمض أسبوع حتى كان نفوذ زوجى قد تكفل بإحضارها من مخبئها، واستقبلناها عند عودتها استقبالاً حافلاً بكل أنواع العذاب، فقام زوجى بصعقها بالكهرباء، وتطوّع ابنى بركلها بعنف، بينما بكت ابنتى وهى تقول لأبيها: حرام يا بابا حرام... حرام... ففقد سيطرته على نفسه واستدار إليها وضربها هى أيضًا، وكانت المرة الأولى فى حياتها التى يضربها فيها أبوها!!.

وعادت الفتاة لحياتها الشقية معنا، واستسلمت لمصيرها، واستمر الوضع كما كان عليه، تخطئ أو تؤجل عمل شيء بعض الوقت، فيضربها زوجى ضربًا مبرحًا، ونخرج فى الأجازات إلى منطقة الأهرامات لنستمتع بشيء من اللحم، ونترك لها بقايا طعام الأسبوع لتأكله. . . .إلخ، ثم شيئًا فشيئًا بدأنا نلاحظ عليها أن الأكواب والأطباق تسقط من يديها، وأنها تتعثر كثيرًا فى مشيتها، فعرضناها على الطبيب فأكد لنا أن نظرها قد ضعف جدًّا، وأنه ينسحب تدريجيًّا، وأنها لا ترى حاليًا ما تحت قدميها، أى أنها أصبحت شبه كفيفة، ورغم ذلك فلم نرحمها، وظلت تقوم بكل أعمال نظافة المسكن، وتخرج لشراء الخضر كما كانت تفعل، بل وكثيرًا ما صفعتها إذا عادت من السوق بخضروات ليست طازجة وكثيرًا ما كانت تفعل لضعف بصرها الشديد، فأشفقت عليها زوجة البواب، فكانت تُجلسها فى مدخل العمارة وتذهب هى لشراء الخضروات لها، حتى تنقذها من الإهانة والضرب، واستمر الحال هكذا لفترة من الزمن، ثم خرجت الفتاة ذات يوم من البيت بعد أن أصبحت كفيفة تقريبًا، ولم تعد إليه مرة أخرى، ولم نهتم بالبحث عنها هذه المرة.

ومضت السنوات فأحيل زوجى للتقاعد، وفقد المنصب والنفوذ واستقبل حياة الفراغ،- أسوأ استقبال فتضاعفت عصبيته وثوراته، وانفلاتاته إلى حد غير محتمل- ومع ذلك فقد تحملته بسبب عشرة السنين.

وتخرج ابنى فى الجامعة وعمل، ثم أراد أن يخطب إحدى زميلاته، فخطبناها له، وهى فتاة رائعة الجمال، وتزوجها وسعدنا بها واكتملت سعادتنا حين عرفنا أنها حامل، ثم جاءت اللحظة السعيدة، ووضعت مولودها، فإذا بنا نكتشف لصدمتنا القاسية أنه كفيف لا يبصر، وتحوّلت الفرحة إلى سحابة كثيفة من الحزن القاتم، وبدأنا الرحلة الطويلة مع الأطباء

بلا فائدة، واستسلم ابنى وزوجته للأمر، وانطفأ الأمل فى قلبيهما، وأدخلنا حفيدنا الموعود بالعناء حضانة للمكفوفين، وقررت زوجة ابنى ألا تحمل مرة أخرى خوفًا من تكرار الكارثة، لكن الأطباء طمأنوها إلى أن هذا مستحيل؛ لأنه لا توجد صلة قرابة بينها وبين زوجها تؤكد العوامل الوراثية، وشجعوها على الحمل وإنجاب طفل آخر يعيد البسمة إلى حياتها وزوجها، وشجعناها نحن أيضًا على ذلك على أمل أن يرزق ابننا بطفل طبيعى يخفف من حزنه وصدمته فى طفله الأول.

وحملت زوجة ابنى، وأنجبت طفلة جميلة شقراء أُنزلت إلى الحياة، فتوقفت قلوبنا حتى زفّ الطبيب البشرى بأنها ترى وتبصر، كالأطفال العاديين، وسعدنا بها سعادة مضاعفة، وانهالت عليها وعلى شقيقها اللعب والملابس والهدايا، وبعد سبعة شهور لاحظنا عليها أن نظرها مُركَّز فى اتجاه واحد لا تحيد عنه، فعرضناها على أخصائى عيون للاطمئنان على سلامة عينها، فإذا به يصدمنا بحقيقة أشد هولاً، وهى أنها لا ترى إلا مجرد بصيص من الضوء، وأنها معرضة أيضًا لفقد بصرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ورأى زوجى ذلك، فأصيب بحالة نفسية فسدت معها أيامه، وكره كل شىء، ثم تطورت حالته حتى نصحنا الطبيب بإدخاله مصحة نفسية لعلاجه من الاكتئاب، وانقبض قلبى، وأحسست بهموم الدنيا تطأ صدرى بقسوة، وفى ضيقى وأحزانى تذكرت فجأة الفتاة الكسيرة التى هربت من جحيمنا كفيفة بعد أن أمضت معنا عشر سنوات ذاقت خلالها أهوال الصعق بالكهرباء والضرب والهوان والحرمان، وسألت نفسى فى جزع هل هذا عقاب السماء[1] لنا على ما فعلنا بها؟.

---

(١) كثيراً ما يتكلم النصارى والجهلة بمثل هذه الألفاظ أمر السماء، إرادة السماء، عقاب السماء، فينبغى على المسلم أن ينسب تدابير الكون إلى الله سبحانه فيقول: قدر الله، وأمر الله، وعقاب الله. والله أعلم.

وأصبحت صورة هذه الفتاة اليتيمة التى أهملنا علاجها وتسببنا فى كف بصرها تطاردنى فى وحدتى، وتعلق أملى فى عفو ربى عما جنينا فى أن أجد هذه الفتاة، وأكفر عما فعلنا بها، ورحت أسأل الجميع حتى دلنا أحد الجيران إلى مكانها، وعلمنا أنها تعمل خادمة بأحد المساجد، فذهبت إليها وأحضرتها لتعيش معى ما بقى لى من أيامى، ورغم كل قسوة الذكريات فقد فرحت بسؤالى عنها وسعيى إليها لإعادتها، وحفظت العشرة التى لم نحفظها، وعادت معى تتحسس الطريق وأنا أمسك بيدها، وفرحت بسماع صوت ابنتى الشابة التى طالما أحبتها هذه الفتاة الطيبة فى طفولتها وصباها، وبسماع صوت ابنى الذى عرف الهمَّ طريقه إلى قلبه، واستقرت الفتاة معنا، وأصبحت أرعاها بل وأخدمها هى وحفيديّ الكفيفين... وأملى ودعائى لربى أن يغفر لى ما كان، وأن أقول لمن نضبت الرحمة[١] من قلوبهم: إن الله حيّ لا ينام، فلا تقسوا على أحد فسوف يجىء يوم تطلبون فيه الرحمة من أرحم الراحمين، وتندمون على ما فعلتم فى قوتكم وجبروتكم...

هذه هى قصتى يا سيدى التى دفعنى بيتا الشعر اللذان قرأتهما فى ردك لأن أرويها لك، وأرجو أن يقرأها الجميع ويعتبروا بما فيها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[٢].



(١) قال رسول الله ﷺ: «لا تُنزع الرحمة إلا من شقى»، حديث حسن رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة صحيح الجامع (٧٤٦٧).

(٢) جريدة الأهرام، بريد الجمعة ص ١٦ بتاريخ ١٥/١/١٩٩١ .

فهل من معتبر[1]؟

اقترض السيد «. . .» من الحاج إبراهيم مبلغًا من المال على أن يرده إليه فى نهاية العام المقبل. . .وسجَّل المبلغ فى دفاتر الحسابات، وأبدى السيد «. . .» شكره وامتنانه وأصر على كتابة كمبيالة، ولكن الحاج إبراهيم الرجل الصالح قال له: لا شكر على واجب وبينى وبينك الله فهو نعم الوكيل ونعم الشهيد، وبعد سنة تقريبًا مات الحاج إبراهيم بالسكتة القلبية. . .وترك زوجة وأربعة أطفال أكبرهم فى الثالثة عشرة من عمره، وراجعت الزوجة دفاتر زوجها المتوفى وسجلاته التجارية فعرفت ما لزوجها من ديون على الناس، فبعثت إلى السيد «. . .» تطالبه بما لزوجها عليه من دَين، ولكن السيد «. .» أنكر أنه مدين بشىء لزوجها، وزعم أنه دفع ما كان عليه من دين لزوجها. .وتسامع الناس بما حدث وانقسم الناس إلى قسمين: قسم يؤيد ورثة الحاج إبراهيم ويذكرون أنه كان رجلاً صالحًا يقرض النقود حسبة لله بدون مستند أو كمبيالة وقسم يؤيد السيد «. .» بأنه ليس من المعقول أن يدفع الحاج إبراهيم مبلغًا من النقود للسيد «. .» بدون مستند أو كمبيالة، والتجأت زوج الحاج إبراهيم إلى بعض أهل الخير ليحملوا السيد «. . .» على تبدل موقفه والاعتراف وسداد ما أخذ، ولكنه أعرض وأصر وتمادى واستكبر كأنه صخرة عاتية، فقامت الزوجة بعرض شكوها على المحاكم. . . وجاء يوم المحاكمة، وحضر المتهم إلى ساحة المحكمة . . . يقول الحاكم فى القضية «كنت فى قرارة نفسى مقتنعًا بأن السيد «. . .» مدين للحاج إبراهيم بهذا المبلغ، ولكن لم يكن هناك دليل مادى غير تسجيل هذا المبلغ بخط

(١) «عدالة السماء»، محمود شيت خطاب، بتصرف واختصار.

الحـاج إبراهيم فى سـجل ديوان ديونه عـلى الناس، وهذا الدليل وحـده لا يكفى لإثبات التـهمة، وأفاد السيـد «. . .» بأنه أعاد المبلغ إلى صاحـبه بعد سنة، وشهد أحـد الرجال بأنه سمع السيـد «. . .» يثنى على الحاج إبراهيم ويذكر أنه انتشله من الفقر والحرمان بإقراضه بعض المال حسبة لله.

ويقول الحاكم: كانت القضـية كلها كريشة فى مـهب الريح، فحاولت أن أَجُـرَّ المتهم إلى الاعـتراف بالدين لـكنه كان يفلت من الاسـتجـواب. . .إن المحـاكم فى مثل هذه القـضيـة تطبق المبـدأ القضـائى البـينة على من ادعى، واليمين على من أنكر. . وقلت للمتهم: هل تُقسم بالقرآن الكريم بأنك لست مدينًا للحاج إبراهيم ولا بغيره، وإنك دفعت ما كان له عليك من دين؟.

وقال المتهـم: أُقسم. . . ثم أقسم. . ونطقت بالحكم: البراءة.

وخرج المتهم مرفوع الرأس شامخًـا من المحكمة وكان قوى البنية صحيح البدن سليمًا معافى فى ريعان الشـباب، وما كاد يغادر المحكمة إلا وسمعت ضجة فأسرعت لأتبين الأمر، فإذا الـسيد «. . .» قد سقط على الأرض ميتًا على عتبـة المحكمة وهتف الناس من حوله: لقد مات. . لقـد مات. .يقول راوى القصة كانت زوجة الحـاج إبراهيم تسكن قريبًا من دارى، واشتقت أن أسمع الخبـر منها، فكان مما قالته، «كـان المرحوم الحاج إبراهيم بارًّا بجيرانه خاصة، وبالناس عامة، وكان يقرض المحتـاجين ويكتفى بتسجيل قرضه فى سجل خاص، وكنت ألومه على ذلك فيقـول: المال مال الله وقد كنت فقيراً فأغنانى الله . . .وشهـدُت محاكمة السيـد «. . .» وحكم القاضى بالبراءة، فلما أقسم اليمين اقشعـر بدنى، فقد كنت مؤمنة بأنه كاذب وأنه اجترأ على كتـاب الله تعالى وقلت أخـاطب الله: اللهم إنك تعلم السـر وأخفى وإنك علام الغيوب اللهم إن كان السيد «. . .» كاذبًا فى قسمه ويمينه فاجعله عبرة للناس يا قوى يا جبار.

وخرج المتهم من المحكمة وأنا أنظر إليه ولكنه سقط ميتًا على عتبة المحكمة لقد نجا السيد «. .» من حكم الأرض ولكنه لم ينج من حاكم الأرض والسماوات.

وفى ليلة من ليالى الشتاء حيث كان الناس يأوون إلى مضاجعهم وفى ساعة متأخرة من الليل كان جرس دار الحاج إبراهيم يرن قويًّا، وكان على الباب امرأة متحشمة بالسواد يرافقها طفل فى السادسة من عمره... وفتحت زوجة الحاج إبراهيم الباب لترى من الطارق فوجدت زوجة السيد «. . .» ومعها ولدها الوحيد.

وقالت زوج السيد «. . .» للسيدة زوج الحاج إبراهيم: «لقد أنكر زوجى بأنه مدين للحاج إبراهيم وكنت أعرف بأنه كاذب ورجوته أن يسدد ما عليه من دين وألححت عليه ولكنه مضى فى غيه.. لقد دفع زوجى ثمن كذبه غاليًا، وهذا هو المبلغ الذى كان مدينًا به لزوجك، ... وألقت إليها بالمبلغ وانصرفت».

وكانت القصة عبرة وعظة، فهل من معتبر؟!!.



وهذه عاقبة الظالمين

قال الشيخ أنس بن سعيد بن مسفر - حفظه الله-: (هذه قصة أرويها عمن رأى وسمع ذلك الموقف وهو ثقة يقول: كان هناك رجل من كبار التجار وعنده عامل يشتغل له لكنه لم يعطه راتبه لأكثر من ثمانية أشهر (ما يقارب ستة آلاف ريال) فطلب العامل المسكين أن يعطيه المبلغ، وذكر له حاله وحال أهله وأولاده وأنه تغرَّب لكسب العيش وألح فى ذلك، فغضب التاجر وذهب للجوازات واستخلص له شهادة خروج مغادرة، ثم حجز له بالطائرة وسفَّره لبلاده فى إحدى الليالى ولم يعطه حقه:

جرىءٌ على أكل الحرام وَيدَّعى
بأنَّ له فى حلِّ ذلك محمل
فيا آكل المال الحرام أَبن لنا
بأىِّ كتاب حِلَّ ما أنت تأكل
ألم تدر أنَّ الله يدرى بما جرى
وبين البرايا فى القيامة يفصل

ذهب الرجل لبلاده، وكان التاجر الظالم يسكن فى مكة وبعد سنين عاد العامل المظلوم إلى مكة لأداء العمرة، وبدأ يبحث عن هذا القصر الذى كان يشتغل فيه حتى وجده ووجد صديقه حارس البيت فسلم عليه وجلس معه يتحدث، وفجأة خرج صاحب القصر فلما وقعت عينه على العامل أرغى وأزبد وهدد وتوعد وقال: لأسجننك. فقال العامل: أنا لم آت للمال وإنما أتيت لحرم الله - تعالى- لأدعو عليك.

عندها ضحك التاجر ضحكات مستهتر مستهزئ ولكن الله تعالى

بالمرصاد فبعد أيام شبَّ حريق كبير فى منطقة كانت مهيأة للحريق وفى لحظات جاء الرجل التاجر. وكان لديه مبلغ من المال حول المكان المحترق وعدده (ثلاثون ألف ريال) وحيث إن الحريق لم يصل لذلك المكان أراد أن يدخل ليأخذ ماله فمنعه رجال الدفاع المدنى من الدخول فرفض وتفلت منهم وتحايل عليهم وقال: الحريق بعيد وما إن وصل ليأخذ ماله وهو فى ذلك المكان إذا بشىء لم يتوقعه لقد سقط عليه البناء الذى هو فيه وشب فيه الحريق فاحترق واصبح كالفحم، أما المال فهو بجانبه لم يحترق. فتعجبوا وسألوا الحارس بماذا دعا ذلك العامل المسكين قال: لما ضحك الرجل وقهقه قال العامل وهو ينظر إلى القصر: اللهم إنى أسألك أن لا تُهنِّيه بهذا القصر ولا يدخله. فلم يدخله ولم يتهنَّ به... وهذه عاقبة الظالمين[١].



(١) من شريط له بعنوان (سهام الليل).

ليس من عدل البشر
بل هو من عدل رب البشر

نشأ هذا الشاب فى عائلة فقيرة جدًّا، لا تكاد تحصل على قوتها اليومى إلا بشقِّ الأنفس، فى حى من أحياء (الرصافة) من بغداد.

وفى السادسة عشرة من عمره، عمل فى قارب من قوارب العبور ملاحًا فى نهر (دجلة) بين جانبى بغداد: الرصافة والكرخ.

ومرّت عليه ست سنوات فى عمله الدائب الذى قد يستمر فى بعض الأحيان ليلاً ونهارًا، لا يعرف للراحة طعمًا إلا حين يأوى إلى فراشه لينام قليلاً، وكان ما يجمعه يوميًا لا يكاد يسدّ رمق عائلته الكبيرة المؤلفة من أبوين شيخين وخمسة إخوة وست أخوات، وكان هو بِكر والديه.

وذات صباح من أيام الصيف فى بغداد، كان على ضفة (دجلة) اليمنى حيث جانب (الكرخ) من بغداد، جاءته فتاة مع أمها، يبلغ عمر الفتاة ست عشرة سنة، فى غاية الحسن والجمال.

ونقل الأم وابنتها إلى جانب (الرصافة)، فتحرك قلبه للفتاة من أول نظرة ولأول مرة فى حياته، فلم يُبق له الفقر وإعالة أبويه وأشقائه وشقيقاته قلبًا يخفق، حتى ظن أن قلبه أصيب بالشلل المزمن، فلا تحركه العواطف بقدر ما يحركه الخبز.

والظاهر أن دقات قلبه حركت لا إراديًّا دقات قلب الفتاة، فبادلته النظرات، فلما وصلت ضفة دجلة اليسرى حيَّته بابتسامة مشرقة جعلت قلبه ينهار لوعة وحبًّا، وبمرور الوقت عرف أنها تصاحب أمها من جانب (الكرخ) لزيارة خالتها فى جانب (الرصافة) صباح يوم الخميس من كل

أسبوع، فأخذ ينتظر قدومها وينقلها إلى الجانب الآخر، وينتظر عودتها فيعيدها إلى (الكرخ).

وكان الشاب ذا هامة وقامة، مفتول العضلات، حلو اللفتات، عذب الابتسامات، يقطر نخوة وشهامة، كالأسد فى غابته والنمر فى عرينه.

وفى كل مرة تمتطى الفتاة وأمها قاربه ذهابًا وإيابًا، يرفض تقاضى الأجور الزهيدة، فتأبى والدة الفتاة إلا أن تدفع الأجر كاملاً، فيسَّر هذا التنازل والرفض التعارف بين الطرفين وتبادل الكلمات القصيرة، كالتحية والسؤال عن الصحة والعافية.

وهمس مرة فى أذن الفتاة، منتهزًا فرصة مغادرة الأم القارب أولاً إلى اليابسة قائلاً: «أحب أن أتزوجك»، فقالت: «أطرق باب والدى، فتسمع الجواب»، ومضت الأم والفتاة إلى سبيلهما.

* وبقى الفتى يفكر فى أسلوب عرض زواجه بالفتاة على أبويه، وفى طريقة إقناعهما بهذا العرض.

ومرت أسابيع عدة وهو غارق فى تفكيره، يقدم رِجلاً ويؤخر أخرى، وكان يلاقى فتاته كل خميس رائحة غادية، تلاحقه بنظرات العتاب، وعتاب العينين أبلغ من عتاب الشفتين، فكان يغض الطرف خجلاً تارة، ويقابل نظراتها بالابتسام تارة أخرى.

وهمست فى أذنه ذات صباح: «طرق باب والدى غيرك»، ثم مضت متعثرة الخطوات، خجلة متلعثمة، كأنها اقترفت ذنبًا عظيمًا.

وعاد الفتى إلى أهله مساء، فأخبر أمه بقصته وفتاته، فوعدته أن تحمل له الجواب وشيكًا.

وكلمت أمه أباه بالدموع، فليس فى دارها كساء ولا غذاء، ولولا حب الوطن لهجرته فئرانه، إذ ليس فيه ما تأكله، وليس لديهم درهم ولا دينار، وفى الدار غرفة واحدة يطلق عليها اسم الغرفة مجازًا، لأنها لا تقى من مطر

الشتـاء ولا من شمس الصيف، ويدخلهـا الريح من مواضع وشقـوق شتى بدون استئذان.

كان قلب الأم والأب مع ولدهما، ولكن عقليهما كانا بعيدين عنه، فقد كانت لدى الوالدين أسباب كثيرة تحول بين ولديهما والزواج، لعل من تلك الأسباب الفقر والفاقـة وغياب المال، وضيق المسكن، والعروس لابد لها من غرفة تخلو فيها إلى زوجها ويخلو بها.

واختـلت الأم بولدها، تحدثه بالبكاء لا بـاللسان، فـفهم الفـتى منطلق الدموع والعبرات، ومضى إلى سبيله دون أن يبسط عذره أو يحتج.

وجاء يوم الخميس من جديد، فعاتبته نظراتها عتابًا مرًّا، فلما عادت من زيارة خالتها قـبيل المغرب، عاد بها إلى جانب (الكرخ)، ثم تعقـبها خلسة إلى دار أهلها، وكـانت تلتفت إليه كلمـا استطاعت إلى ذلك سبـيلاً، ومع التفاتتها ابتسامة مشجعة.

ووصلت إلى دار أبيها، فدخلته وأوصدت خلفها الباب، وحيته قبل أن تتوارى، وتوقعت أن يزور أباها بصحبة أهله، وطال انتظارها لزيارته دون أن يفعل ما توقعته.

وأصيبت الفتاة بيأس قاتل، كما أصيب الفتى.

يئست الفتاة من إقدام الفتى على خطبتها، فقد طال انتظارها، فماذا بعد تنتظر؟!

ويئس الفتى من الزواج بالفـتاة التى أحبـها من كل قلبه، فقـد وجد أن أهلها على درجة من الغنى والثراء، وهو المعدم الفقير.

وطرق باب الفتاة طارق، فاستجاب له أهلها وتزوجت.

وسلا قلب الفـتاة بعـد زواجها ونسى، ولكن قلب الفـتى لم يسل ولم ينس، وانزاح قنوط الفـتاة عن نفـسهـا رويدًا رويدًا، وبقى قنوط الفـتى فى

نفسه وأصبح شيئًا بعد شىء حقدًا.

وعلم الفتى بزواج فتاته، فلم تعد ترافق والدتها يوم الخميس من كل أسبوع لزيارة خالتها فى جانب (الرصافة).

ولم يعد الفتى ينتظر الفتاة وأمها يوم الخميس من كل أسبوع، ليحملهما من جانب النهر إلى الجانب الآخر فى غدوّهما ورواحهما.

ومضى عامان، حسبهما الفتى قرنان، فقد ظل حزينًا ساهمًا يفكر فى فتاته... لم يستطع الزواج بها لظروفه الاقتصادية القاسية.

وفى يوم من الأيام، حمل فى قاربه فتاة وطفلاً، وكان الضباب كثيفًا، والجو غائمًا.

وشرع يحرك مجدافيه، وابتعد بقاربه عن جانب الرصافة، حتى أصبح فى وسط النهر.

وفجأة رأى فتاته تحمل طفلها الرضيع من زوجها الذى زُفَّت إليه، قبل سنتين، فأمعن النظر فى وجهها طويلاً، حتى تأكد من أنها فتاته التى هام بها.

وكانت فى شغل شاغل عنه بطفلها، فناداها وذكرها.

ولم تكن ناسية، فقالت له: «لست لك اليوم، فأنا بذمة زوج، وهذا طفلى».

ولكنه تمادى فى غيه، وقد تقمصه الشيطان، فأصبح نسخة طبق الأصل منه، وزاد عليه ما يعتلج فى نفس الإنسان الأمَّارة بالسوء.

وراودها عن نفسها فاستعصمت، وهددها بإغراق طفلها فى النهر فما استكانت، ونفذ وعيده فأغرق طفلها فى النهر حتى ابتلعه اليم فما هانت، وهاجمها بخنجره فاستأسدت، وطعنها بضع طعنات فما ضعفت، وجرجرها ليضمها إلى صدره فقاومت، وغلب عليها النزيف فما استسلمت.

ولفظت أنفاسها الأخيرة، وهى تدافع عن شرفها وعرضها، فحمل

الجانى جثتها وقذفها فى الماء الجارى.

وانحدر إلى ركن قصى من ساحل دجلة، وغسل قاربه من الدماء، وتخلص من آثار الجريمة بهدوء وروية.

وذهبت الجريمة، وسُجِّل بأن المجرم مجهول الهوية.

ولكن المجرم لم يصبر على عمله ملاحًا فى قاربه، فقد كان يُخيل إليه كلما مر فى وسط النهر بالقرب من الموضع الذى ارتكب فيه جريمته، بأن الطفل الذى أغرقه فى اليم يبكى ويستغيث، ويسمع الصوت الذى انطلق منه باكيًا حين جذبه من بين أحضان أمه قبل أن يقذفه فى اليم، يسمع صوت أمه تهدد وتتوعد وتزمجر، وكأنها وهى فى جوار الله تهاجم قاربه، هجومًا لا هوادة فيه، فيعلو الموج لبكاء الطفل، واستغاثته وتهديد أمه وتوعدها.

فإذا أقبل الليل أصبح من المستحيل على الملاح المجرم أن يعبر النهر، فإن شبح الطفل وأمه يطاردانه فى الظلام، ومعهما أشباح لا تُعد ولا تُحصى.

وهجر الملاح قاربه، وأصبح جزارًا.

لقد كان يعمل جزارًا، وكالعادة قصد المجزرة فى الهزيع الأخير من الليل، وذبح فى تلك المجزرة أغنامه قبل الفجر، وأوكل أمر نقلها إلى حانوته التى يبيع فيها الأغنام المذبوحة إلى شريكه.

وعاد مع الفجر إلى داره، التى تقع على جانب طريق ضيقة متعرجة مسدودة من تلك الطرق التى كانت شائعة فى الأحياء القديمة من بغداد قبل أربعين عامًا.

وفى طريق عودته من المجزرة إلى داره، وعلى بعد أمتار معدودات منها، فى تلك الطريق الضيقة المتعرجة المسدودة، سمع صرخة مستغيث، فهرول مسرعًا باتجاه الصوت المستغيث.

وعثر الرجل وهو يهرول بجثة قتيل يلفظ أنفاسه الأخيرة، يَسبح ببركة

من دمه النازف، فتلطخت يداه وثيابه بالدماء وسقطت سكينه من وسطه على صدر القتيل، فتلوثت هى الأخرى بالدماء.

وأصيب بصدمة عنيفة، ولكنه لم يكد يصحو من هول هذه الصدمة، إلا وأصيب بصدمة أخرى أشد هولاً من سابقتها، فقد أحاطت به جماعة من الحرَّاس الليليين المسلحين بالهراوات والبنادق والمسدسات، فأمروه بالنهوض ورفع يديه، فنهض عن جثة القتيل ورفع يديه وهو فى حالة يُرثى لها من الفزع والهلع، فالتقط أحد الحرَّاس الليلى سكين الجزار الملوثة بالدماء والتى سقطت على جثة القتيل.

واجتمع عدد من الناس حول الحرَّاس، وتطلع قسم من الجيران ليعرفوا حقيقة الأمر، واقتيد الجزار إلى مخفر من مخافر الشرطة القريبة.

وبدأ فوراً التحقيق فى قضية مقتل الرجل، وشهد الحرَّاس الليليون بأنهم قبضوا على الجزار وهو على صدر القتيل، وأن سكينه التُقطت من فوق القتيل، ولم يجدوا غيره بالقرب من مصرع القتيل فى ذلك الوقت المبكر من الفجر.

وأيد قسم من الشهود الذين تجمعوا أو تطلعوا، شهادة الحرَّاس الليليين، فاقتنعت المحكمة بأن الجزَّار هو القاتل، فحكمت عليه بالإعدام شنقًا حتى الموت.

ولم يسمع أحد لإنكاره بأنه ليس القاتل، ولم يصدق أحد قصته الحقيقية بأنه عثر بالقتيل وهو فى طريقه إلى داره فجراً، وذهبت أقواله وتشبثاته أدراج الرياح، ولكنه بعد صدور الحكم عليه، قال لقُضاته الذين تولوا محاكمته، على مسمع من الحاضرين: «إن أقوالى صادقة، وأقوال الشهود كاذبة، ولكننى أستحق الحكم علىَّ بالإعدام، لأننى قتلت طفلاً رضيعًا وأمه قبل سنوات، ففتشوا عن القاتل الأصلى الذى ارتكب جريمة القتل وأفلت من العقاب....».

ونُفذ فيه حكم الإعدام شنقًا حتى الموت.

وكان بالإمكان أن يمر إعدام الجزار كما مر إعدام غيره من المجرمين دون أن يترك أثرًا فى المجتمع، أو يترك أثرًا محدودًا فى المجتمع يزول بمرور الأيام، ولكن إعدام هذا الجزار ترك أثره العميق فى المجتمع بحيث لا يزال يتردد حديثه حتى اليوم.

وسرُّ هذا الأثر يكمن فى أنه كان بريئًا من دم القتيل الذى أُعدم بسببه، ولكنه لم يكن مظلومًا فى الحكم عليه بالإعدام، لأنه كان مدينًا بقتل طفل ووالدته، عجز البشر فى حينه عن اكتشاف قاتلهما، ولكن الله كان له بالمرصاد.

* وطالت جلسة الليلة الأخيرة من حياة الملاح القاتل، وهو يحدِّث أباه وأمه وإخوانه وأخواته حديثه الأخير.

واقترب موعد تنفيذ حكم الإعدام بالملاح، فانضم إلى أهله جماعة من الرسميين الذين جاؤوا يشهدون تنفيذ الحكم فيه شنقًا حتى الموت.

وجاء من يُذكر الأهل والموظفين بأن الوقت قد آن للتنفيذ.

وكان الجميع مأخوذين بما سمعوا، يتمنون أن تطول حياة الملاح، ولو دقائق معدودات.

وجاء من يضع فوق رأس ووجه المحكوم عليه كيسًا أسود، ويقوده إلى المشنقة.

وصاح المحرم قبيل أن تُسحب اللوحة من تحت رجليه: «فتشوا عن قاتل صاحبكم، فأنا أُشنق لقتلى الطفل الرضيع وأمه، والحكم الذى صدر بحقى ليس من عدل البشر بل من عدل رب البشر».

وانتهى أمره، ولكن قصته بقيت عبرة لمن يعتبر(١).

(١) تدابير القدر ص: ٤٦، لمحمود شيت خطاب بتصرف والقصة أصلها فى كتاب نشوار المحاضرة للقاضى التنوخى.

الجزاء من جنس العمل[١]

كان يعيش مع زوجته عيشة شجار دائم وكان يعامل زوجته بقسوة، فقد كان قاسى القلب حاد الطبع، وكانت زوجته تعانى من شدته ومعاملته القاسية لها وفى يوم من الأيام وكالعادة نشب شجار بين الزوجين، فعمد الزوج القاسى إلى عصا غليظة فضرب بها زوجته ومن شدة الضرب ماتت الزوجة من دون أن يقصد الزوج قتلها بل كان غرضه تأديبها، فلما رآها ماتت خاف واحتار، ماذا يصنع وأخذ يفكر فى كيفية الخلاص من هذه الورطة، ولم يجد حيلة للخلاص، فخرج من منزله متوجهًا إلى أحد أقاربه وقص عليه القصة عَلَّه يجد عنده حلاً لهذه الورطة.

فقال له قريبه: اسمع يجب أن تبحث عن شاب جميل الصورة وتدعوه إلى منزلك للضيافة، ثم اقتله واقطع رأسه وضع جسده بجانب جثة زوجتك وقل لأهلها إنك وجدت هذا الشاب مع زوجتك فلم تتحمل فعلهما السيئ فقتلتهما معًا وتكون بذلك قد خلصت نفسك من هذه الورطة وظهرت لهم بصورة الرجل الشريف.

وحين سمع الزوج كلام قريبه أحس براحة وأسرع إلى منزله لينفذ الحيلة وجلس على باب منزله علّه يعثر على مبتغاه، وبعد مدة أقبل شاب جميل الصورة وسيم، تبدو عليه النعمة، فقفز الزوج قائمًا مستقبلاً الشاب مُرحبًا به، والشاب مستغرب لما يحدث، ولكن الزوج أصر على الشاب بأن يدخل معه المنزل كى يضيفه وجرَّه إلى داخل المنزل وأغلق الباب والشاب المسكين

(١) قصص واقعية من واقع الحياة، سيد عبد الله الرفاعى جـ ٤.

فى ذهول ودهشة، أسرع الزوج وفعل فعلته الشنعاء وقتل الشاب المذهول ثم قطع رأسه وألصق جسده بجسد زوجته ولما جاء أهل الزوجة وشاهدوا الجثتين وقص عليهم الزوج القصة المختلقة فذهبوا وهم يلعنون ويشتمون ابنتهم على فعلتها القبيحة، وهدأت نفس الزوج وأحس أنه قد أنقذ نفسه من موت محقق وأخذ يدعو لقريبه الذى دله على هذه الحيلة الماكرة.

وبينما الزوج جالس فى منزله فرحان مسروراً إلى ما آلت له الأمور سمع طرقات على الباب، ولما فتح الباب فإذا بقريبه فاحتضنه الزوج وأخذ يُقبله ويشكره وأدخله المنزل كى يقوم بالواجب نحوه، فقال له قريبه: هل نجحت الخطة؟ فقال له الزوج: لقد نجحت نجاحًا باهراً وانطلت الحيلة عليهم، وكل هذا من حسن تفكيرك وسلامة تدبيرك.

فقال له قريبه: وهل وجدت بغيتك؟

قال الزوج: أجل... لقد وجدت الشاب الجميل بهى الصورة.

فقال له قريبه: أرنى ذلك الشاب الجميل الذى قتلته... فلما رآه شهق شهقة وسقط مغمى عليه، لقد كان هذا الشاب الجميل القتيل ولده...

والجزاء من جنس العمل[١].

لقد دبر هذا المحتال حيلة لقريبه كى ينقذه من ورطته بدل أن ينصحه بتسليم نفسه للعدالة أو يبلغ عنه، ولكنه أعانه على جريمته بجريمة أعظم منها وكان الضحية ولده، فلذة كبده فوقع فى شر أعماله... وكما تدين تدان.



(١) جريدة الرأى العام بتصرف.

انظر كيف كان عاقبة الظالمين

وذكر محمد بن عبدوس، فى كتابه الوزراء، عن محمد بن يزيد، قال: أمرنى عمر بن عبد العزيز بإخراج قوم من السجن، فأخرجتهم، وتركت يزيد ابن أبى مسلم كاتب الحجاج، فحقد عليَّ، ونذر دمى - أى نذر قتلى-.

قال محمد بن يزيد: وكنت بإفريقية، إذ قيل: قدم يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج، صارفًا لمحمد بن يزيد مولى الأنصار، من قِبل يزيد بن عبد الملك، وكان ذلك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، فهربت منه، وعلم بمكانى، فطلبنى، فظفر بى.

فلما دخلت إليه، قال: لطالما سألت الله أن يمكننى منك.

فقلت: وأنا - والله - لطالما سألت الله عز وجل، أن يُعيذنى منك.

فقال يزيد: ما أعاذك الله منى، والله لأقتلنك، ولو سابقنى ملك الموت إلى قبض روحك، لسبقته.

ثم دعا بالسيف والنطع، فأتى بهما، وأمر بى، فأقمت فى النطع، وكُتفت، وشُد رأسى، وقام ورائى رجل بسيف منتضى، يريد أن يضرب عنقى، . . . وأُقيمت الصلاة.

فقال: أمهلوه، حتى يصلى، وخرج إلى الصلاة.

فلما سجد، أخذته السيوف، فقُتل، ودخل إلىَّ مَن حَلَّ كتافى، ورأسى، وخلى سبيلى، فانصرفت سالمًا [1].

* * *

(١) مختصر الفرج بعد الشدة / للإمام التنوخى (ص: ٣٢٣ - ٣٢٤).

عبرة لكل ظالم

قال اللواء محمود شيت خطاب:

اضطرتنى ظروفى الصحية إلى دخول أحد المستشفيات فى بيروت لإجراء الفحوص الطبية خلال صيف سنة ١٩٧٢.

وقد حرصت على كتمان أمر استشفائى، ولكن الأخبار السيئة لا تلبث أن تنتشر بسرعة، أما الأخبار الحسنة فلا تنتشر إلا بصعوبة.

وعادنى قسم من أصدقائى معاتبين، وكان معهم هدايا تقدم عادة للمرضى، كالورد والحلوى.

وكان جيرانى من المرضى قسم من الضباط المتقاعدين وغير المتقاعدين، فآثرت أن أتعرف بهم فأعودهم وأواسيهم وكان سبيلى إلى ذلك تقديم ما كان لدىَّ من هدايا إليهم، مع الممرضين والممرضات، ومع كل هدية كلمة لطيفة أتمنى لهم الشفاء العاجل وأعدهم بزيارة قريبة.

وحرصت أن أبعث باقة من باقات الزهور إلى ضابط لا ينام الليل ولا يُنيم أحدًا، وحين سألت الممرضة: ألك معرفة سابقة به؟ قلت: «لا، ولكنه لا ينام الليل ولا يتركنى أنام، فلعله يحن على نفسه ويرفق بى بعد استلام هديتى!».

قالت الممرضة: «هيهات ..!» وعلمت منها أنه فى المستشفى منذ شهور، وهو زبون دائم للمستشفى، لا يخرج منه أيامًا ليمكث بين أهله، إلا ويعود إليه شهورًا ليمكث فيه.

وقالت: «ولكن الظاهر أنه سينتهى قريبًا فيريح ويستريح».

وزرت العقيد المريض، وكان يسمى نفسه: الكولونيل، وكان أهله

يسمونه: الكولونيل، وكان الأطباء والممرضون والممرضات يسمونه: الكولونيل.

كان ضابطًا قديمًا، عمل فى الشرطة الفرنسية، يوم كان الفرنسيون يحتلون لبنان، ولم تكن المصطلحات العسكرية قد عُرِّبت، وكانت المصطلحات الفرنسية هى السائدة، وكانت المصطلحات العربية هى المسودة.

كان عقله حاضرًا، وكان منطقه سليمًا، وكان ذاكرته واعية، وكان قلبه ينبض، وهذا كل ما بقى له فى الحياة.

أمراضه التى ابتلى بها كثيرة: الضغط، والسكر، وتصلب الشرايين، وتسمم الدم، وتلف الكبد، والكلى، وتهرى لحم الرجلين والجسم . . . إلخ.

وكان يصحو نهارًا، حتى ليخيل أنه معافى، ولكنه كان ينهار ليلاً، حتى ليخيل إليك أنه لا يعيش ساعات الليل.

وكان فى الليل يصرخ من الألم تارة، ويصرخ طالبًا أحد الممرضين أو الممرضات تارة أخرى، وكان يستعمل سلاحين فى صراخه: صوته والجرس الكهربائى.

فإذا جاء الممرض أو الممرضة، لم يجدوا عنده مطلبًا، فيعودون من حيث أتوا، ولكن لا يكادون يصلون إلى مكانهم إلا ويستدعيهم العقيد ثانية وثالثة ورابعة . . إلخ.

حتى تشرق الشمس.

وكان إذا خفت صوته، استعمل الجرس الكهربائى، فيضعه فى جيبه ويضغط على زره بإلحاح شديد، وتبقى يده على زر الجرس حتى بعد قدوم الممرضة أو الممرض.

كان يريد أن تبقى الممرضة معه الليل كله، وكان يريد أن يبقى الممرض معه الليل كله، فإذا بقيا تلبية لطلبه نسى بعد لحظات وجودهما فى غرفته،

وانطلق ينادى وانطلق جرسه يرن.

وحين زُرته أجهش بالبكاء، وحدثنى بقصته، فقال: كنت فى شرطة الفرنسيين، وكنت برتبة عقيد، أقود الشرطة المحلية، وكانت بيروت تخافنى، وكان اسمى يخيف أشجع الشجعان.

وكان الفرنسيون يعتمدون علىَّ، وكنت أخلص لهم كل الإخلاص، وكنت أؤدى واجبى على أحسن ما يرام.

فإذا عجز الفرنسيون عن اكتشاف جريمة من الجرائم، أحالوا المجرم إلىَّ، فكنت أستخلص منه الاعترافات بالقوة!

كنت لا أرحم أحدًا، وكنت أمارس أنواع التعذيب، وكان المجرمون ينهارون فيعترفون بما أريد أو يريد الفرنسيون، فيساقون إلى المحاكم لينالوا ما يستحقونه من عقاب.

ومضى يسرد على مسمعى أربعة وثمانين نوعًا من التعذيب كان يمارسه مع المتهمين، فاقشعر بدنى من هول سرده وتعذيبه.

ثم قال: «وما أعانيه اليوم عذاب من الله، فقد سقت إلى المحاكم كثيرًا من الأبرياء، وعذبت كثيرًا من الصالحين إرضاءً لأسيادى الفرنسيين».

مضى الفرنسيون إلى غير رجعة، وبقى العقيد تلاحقه اللعنات.

حتى زوجه وأولاده وذوى قرباه، لا يحبونه ويتمنون على الله أن يموت، لأنه يعذبهم بصراخه وزعيقه.

ولكنه يعذب نفسه أكثر مما يعذب الآخرين.

رحل أسياده وبقى مكروهًا من الناس، مكروهًا من أهله.

كان يعذب ضحاياه فى الليل، ويعذبه الله اليوم فى الليل أيضًا.

وكانت أعضاء المعذبين تتساقط من تعذيبه، واليوم تتساقط أعضاؤه عضوًا عضوًا.

أبقى الله لسانه، ليحدِّث الناس عن أعماله الإجرامية.

وأبقى ذاكرته واعية، ليعدد على الناس ما اقترف من آثام.

وأبقى قلبه ينبض، حتى يتحمل عذاب الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

هل يعتبر الناس؟ [١].

وصدق الله العظيم: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ [٢].

ولعذاب الآخرة أشد وأبقى[٣]

أمضت دارين قرابة خمس سنوات تحلم باليوم الذى ستصبح فيه أمًّا، فكانت تدعو ربها وهى تبكى تسأله أن يرزقها بالولد الصالح، وبعد فترة طويلة من الدعاء والعلاج لاحظت على نفسها تغيراً كبيراً، وشعرت بعوارض غريبة، فأعلمت زوجها بالأمر الذى ذهب بها على الفور إلى الطبيب، وبعد الفحص بشَّره الطبيب بأن زوجته حامل، فلم تسعه الفرحة فذهب وبشر أمه وأمها وأهلها، وتمت الأفراح والتباشير بحمل دارين بعد انتظار دام سنوات طويلة، وبعد الشهر التاسع ولدت دارين بحمد الله ولداً أسمته محمداً، ولكن كانت الولادة قيصرية وتعبت دارين بالولادة، وكانت بعيدة عن أهلها فلم يكن لها من أحد يخدمها، فطلبت من زوجها خادمة، وكان بالحى امرأة كبيرة فقيرة الحال تخدم بالبيوت، فأتى بها لتخدم زوجته،

---

(١) عدالة السماء.

(٢) سورة إبراهيم- الآية (٤٥).

(٣) عقد اللآلئ والعبر، لمريم الفوزان «بتصرف واختصار».

وبعد أسبوع من خدمتها قالت المرأة لدارين: أرجو أن تسمحى أن آتى بابنتى كى تساعدنى لكبر سنى، فلم تعترض دارين، ومضى على وجود البنت والأم عشرون يومًا، ثم صارت تأتى البنت وحدها، وكان عمرها سبعة عشر عامًا، وكانت جميلة، وكانت تأتى وهى فى كامل زينتها، فاستنكرت دارين ذلك وطلبت منها عدم المجىء، فاعترض زوجها وقال: دعيها تخدمك إلى الأربعين وبعد ذلك تنهضى بالسلامة، وطلب زوج دارين من الخادمة أن تنام فى البيت كى تكون قريبة من دارين، فوافقت البنت، وبعد مُضى سبعة وثلاثين يومًا، أصيبت دارين بحمى النفاس، وفى الصباح الباكر ذهب زوجها دون أن يسأل عن زوجته أم محمد ويتفقدها مثل كل يوم، وهى طول الليل ترتعد من الحمى... والصغير يبكى.

وفى الصباح نادت على الخادمة جمالات فلم تسمعها فتحملت على نفسها، وذهبت إلى الغرفة التى تنام بها الخادمة فلم تجدها، فقالت فى نفسها لعلها تنظف فى الدور الثانى، وصعدت الدرج وهى متعبة جداً ونادتها فلم تسمعها، فقالت لعلها تنظف غرفة النوم، فوجدت الباب مغلقًا وعندما فتحته وجدت الخادمة بملابس النوم على سريرها، فصرخت بها ألا تستحى، تنامى هكذا وبغرفة نومى وببيت رجل غريب، فقالت لها: لاحظى على كلامك ولا تخطئى فهذا زوجى تزوجنى منذ أسبوع، فحصل نقاش حاد ومضاربة بينهما، وبعد ساعات حضر الزوج فوجد الخادمة جمالات والتى هى زوجته الثانية حاملة الصغير محمد على كتفها تُهدئه، فسألها عن دارين فقالت له جمالات: إنها بالطابق العلوى، فصعد إليها وهو ينادى أم محمد، وعندما وصل إلى الغرفة وجدها ملقاة على الأرض يتدفق من بطنها دم غزير، ويد باب الغرفة ملطخ بالدم، فصرخ فى ذهول وحملها بين يديه وهو مذهل من المنظر، ورجع وهو يصرخ: جمالات

تعالى، وعندما حضرت وشاهدت دارين بهذه الصورة صارت تصرخ وتولول، وقالت لزوجها: إننى نصحتها بأن لا تصعد للطابق العلوى ولكنها رفضت، وأكيد أنها تعبت ووقعت على الباب وحدث لها ذلك، وهجمت عليها وهى تقول: أم محمد، أم محمد، وبعد ذلك نقلها زوجها للمستشفى وأخبره الطبيب بأنها توفيت وسأله الطبيب كيف توفيت فقال أبو محمد: إنها وقعت على يد الباب ودخلت يد الباب بشق العملية ببطنها، فقال الطبيب: أيوجد عندها أحد، قال زوجها: لا غير صغيرها محمد، فسُجل الحادث قضاء وقدرًا، ودُفنت دارين، ودُفن السر معها.

وبعد دفنها بثلاثة أيام أرسل أبو محمد إلى أخواتها وأعلمهم بوفاتها، وكانت دارين يتيمة الأب، ولما علمت والدتها قالت لولدها: يجب أن نذهب ونأخذ الصغير محمدًا ونربيه، ولنرى كيف توفيت ابنتى، وعندما وصلوا رحب بهم أبو محمد، ووجدوا فى البيت هذه البنت «جمالات».

سألت أم دارين: من هذه البنت؟ فقال لها أبو محمد: إنها زوجتى تزوجتها فى حياة دارين، فشكَّت الأم بموت ابنتها قضاءً وقدرًا، بعد أن سمعت بالحكاية من أبى محمد، وقالت: لا يا أبا محمد وهى تلتفت إلى زوجته جمالات وتقول: اسمع يا أبا محمد إذا كانت الحقيقة اختفت عن المخلوق فلن تختفى على الخالق، فلم يُعرها أبو محمد أى اهتمام، وقال: كل إنسان يأخذ نصيبه.

وأراد أبو محمد أن يقوم بواجب الضيافة، ولكن أم دارين وولدها رفضا ذلك وطلبا منه ولده محمدًا لكى تربيه والدة دارين، فلم يعترض أبوه بل رحب بذلك وقال لهم: سوف يأتيكم مصروفه فى أول كل شهر، فرد خاله وقال: إنه مثل ولدى ولن يضيق به بيتى ورزقه على الله فلا ترسل شيئًا، فشكرهم أبو محمد وسافرت الجدة والخال بالولد، وبقيت جمالات بهذه

الفيلا الواسعة واستمتعت بهذه النعمة بعد الفقر، وأصلحت من حال أهلها.

ومرت السنون وجمالات من حسن إلى أحسن، وكل سنة تنجب ولدًا حتى أصبح عندها ثمانية أولاد وثلاث بنات، وهى تزداد جمالاً، ومرت السنوات وهى تحس كأنها فى حلم جميل، وطلبت من زوجها يومًا أن يذهبوا إلى أحد المصايف، فرحب زوجها، وتجهز الجميع للرحلة والفسحة وذهبوا فرحين، وعند منحدر بالطريق اصطدمت سيارتهم بشاحنة كبيرة، فانقلبت بهم السيارة ولم ينجُ من الحادث إلا جمالات وولدها الكبير، حيث أصيبت بكسور شديدة بالحوض، وأصيب ولدها بكسور طفيفة، وعندما أفاقت جمالات من الحادث وعرفت بوفاة زوجها وأولادها إلا واحدًا سقطت مغشيًا عليها، وأصيبت بالشلل النصفى وبقيت ثلاث سنوات بالمستشفى، وبينما خرج ولدها بعد شهرين، ومرت عليها الأيام وكأنها جبل ثقيل فقد خرجت من المستشفى بعد هذه السنوات وهى على كرسى متحرك، وهى مُقعدة، وجاء ولدها ليأخذها وفى طريق حضوره إليها انقلبت به السيارة فتوفى فى الحال، وعندما عرفت جمالات بالأمر صُرعت من هول الفجيعة، وبقيت وحيدة فى هذه الدنيا، واتصلت إدارة المستشفى بأهلها بالمدينة التى يقطنون بها فجاء أبوها وأخوها واستلموها.

وحضر محمد ابن زوجها وحصل على إرثه من أبيه، وكانت معه جدته أم دارين، ولما رأتها جمالات بكت وقالت: أتذكرين يا خالة قولتك: «إذا الحقيقة اختفت عن المخلوق فلن تختفى عن الخالق».

فقالت: نعم.

فقالت جمالات: سامحينى أنا التى قتلت دارين، فعندما صعدت دارين للدور العلوى كانت ترتعد من السخونة والحمى وفتحت علىّ الباب فتعاركنا وبحكم أنها مريضة لم تقدر أن تقاومنى فانتهزت أن عمليتها لم تلتئم بعد

فضغطتها على يد الباب، فانفجرت العملية وارتمت على الأرض وعندما تأكدت من وفاتها نزلت إلى الصغير محمد واحتضنته وكأن شيئًا لم يكن، ومرت السنون، وها أنا ألقى جزاء فعلتى، ولقد انتقم الله منى أشد الانتقام، فقدت زوجى وفقدت أولادى جميعهم، وفقدت شبابى وصحتى، أما الآن فأرجوك سامحينى يا خالة.

فقالت لها أم دارين: حسبى الله ونعم الوكيل،... هذا جزاء الدنيا وأدعو الله أن يأخذ منك جزاء الآخرة وينتقم منك.

وبقيت جمالات عند أهلها، وتوفى والدها وبقى لها أخوها وطلب وكالة على أموالها بحكم أنه الوصى عليها، فأعطته الوكالة وعندما استلم كل شىء منها بدده على اللهو والملذات والملاهى، ولم يهتم بأخته جمالات، وهاجر خارج المدينة، وبقيت هى رهينة الصدقات والحسنات عند أبناء الحلال حتى توفاها الله فى غرفتها وحيدة، فلم يُكتشف موتها إلا بخروج رائحة النتن من جثتها وتعفنها من غرفتها، وبهذا ينال الظالم جزاءه فى الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

* * *

إن بطش ربك لشديد

قبل ثلاثة أعوام، وُجدت طفلة فى الرابعة من عمرها، غارقة فى مستودع المياه القذرة لدار من دور محلة (الصليخ) فى بغداد.

رُوِّعت بغداد لهذه المأساة، وأصبحت حديث المجالس، ونشرت الصحف والمجالات تفصيلاتها.

كانت الطفلة جميلة جدًّا، بيضاء البشرة، ذات شعر أصفر اللون جعد، كأنها صورة من صور فينوس.

كانت أمها معلمة فى مدرسة ابتدائية، وكان أبوها مديرًا لإحدى الإعداديات، ولم يكن فى الدار غير خادمة عمرها اثنتى عشرة سنة، تلاعبها حين تكون أمها بعيدة عن الدار فى المدرسة، أو فى السوق.

وكانت الطفلة وحيدة أبويها، وكانت سلوتهما فى هذه الدنيا، تملأ الدار بشرًا ومرحًا.

وعادت الأم من مدرستها ظهرًا، فلم تستقبلها طفلتها المدللة بالصخب المعتاد، فدلفت إلى صحن الدار مسرعة، فوجدت الخادمة فى المطبخ تنظف المواعين، فسألتها عن طفلتها، فزعمت أنها كانت معها قبل لحظات . . !

ودخلت الأم غرف الدار، وفتشت مسالكها، فلم تجد أثرًا لطفلتها، فخرجت إلى الشارع فاقدة الوعى، تسأل الجيران والغادين والرائحين من الناس دون جدوى.

وجاء أبوها، فلم يترك محلاً يشتبه بوجودها فيه إلا وطرقه مستغيثًا مستنجدًا دون جدوى أيضًا.

واتصل الوالدان بالشرطة ورجال الأمن، فقلبوا بغداد رأسًا على عقب

دون أن يجدوا للطفلة أثرًا.

ومضت الساعات، وتعاقبت الأيام، والطفلة مجهولة المكان والمصير.

وفي يوم من الأيام هطلت الأمطار غزيرة، وتدفقت المياه من سطوح المنزل وشرفاته، ففاض مستودع المياه القذرة.

وفتح عامل التنظيف غطاء المستودع، فوجد الطفلة البريئة طافية فوق سطح الماء.

وأسرع رجال الأمن إلى المنزل، وبدأوا التحقيق مجددًا.

كان غطاء المستودع ثقيلاً بدرجة لا تقوى الطفلة على رفعه، فأشارت أصابع الاتهام إلى الخادمة.

ولكن لماذا أقدمت الخادمة على فعلتها الشنيعة؟

قال والد الطفلة: إن الخادمة مع ابنته يرعاها كما يرعى الطفلة سواء بسواء.

وقالت أم الطفلة: إن الخادمة أمينة مستقيمة السيرة، ولم تجد عليها ما يمس سيرتها من قريب أو بعيد.

وقال الجيران: إن العائلة كانت ترعى الخادمة رعاية مثالية، تتناول الطعام مع العائلة يدًا بيد، وترتدى الثياب نفسها التى كانت ترتديها الطفلة وتنام فى الغرفة التى تأوى إليها الأم والطفلة.

وكانت الأم تحرص على أن تجلس الخادمة عندما تزور أو تُزار.

وقال الوالدان: إنهما لا يشكان فى الخادمة، ولا يمكن أن تقدم على إغراق الطفلة عمدًا وعن سبق إصرار!!

لم يكتف رجال الأمن بما سمعوا، وأصروا على التعمق فى التحقيق.

وسأل أحدُهم الخادمة: لماذا أغرقت الطفلة؟ فانفجرت الخادمة باكية منتحبة، وأصرت على الإنكار.

وكان الوالدان يحميان الخادمة ويصران على براءتها.

وطالب رجال الأمن أن يستصحبوا الخادمة إلى مقر الشرطة؛ ليدققوا فى التحقيق.

وامتنعت الخادمة ولاذت بأم الطفلة تتمسك بأهداب ثيابها، فرجت الأم أن يتركوا الخادمة وشأنها؛ لأنها لا تشك بنفسها ولا تشك بالخادمة مطلقًا.

وأيد الأب رجاء الأم وقال: إنه يتنازل عن حقه الشخصى.

ولكن رجال الأمن أصروا على استصحاب الخادمة إلى مقرهم وقالوا: إنكم إذا تنازلتم عن حقكم الشخصى، فإن الحق العام لا يمكن التنازل عنه.

وابتدأ الرد والجدل بين رجال الأمن من جهة، وبين الأبوين من جهة أخرى، وأخيرًا اضطر رجال الأمن إلى خطف الخادمة خطفًا وهى تصرخ بأعلى صوتها وتنوح.

وفى مقر رجال الأمن، اعترفت الخادمة بأن أباها قد أمرها بإغراق الطفلة فى مستودع المياه القذرة.

وأنكر أبو الخادمة أقوال ابنته، وزعم أنها اعترفت خوفًا من الضغط والتعذيب، وأنها صغيرة لا تقدر خطورة أقوالها.

وبذل رجال الأمن محاولات كثيرة، واستعملوا كل أساليبهم فى التحقيق دون أن يتزحزح أبو الخادمة عن إنكاره.

وعند عرض القضية على المحاكم، حُكم على الخادمة بالسجن خمس سنوات، تقضيها فى سجن الأطفال غير البالغين، حيث تُقوَّم أخلاقها وتتعلم حرفة من الحرف.

وصدر الحكم ببراءة والدها، فغادر التوقيف بعد قضاء شهرين فيه.

وفى السجن اعترفت الخادمة بكل شىء.

لقد قبض والدها مائة دينار من شابين شقيقين، فُصلا من الإعدادية؛

لأنهما مهملان فى الدروس وغير مستقيمى السيرة.

وكان السبب فى فصلهما من المدرسة والد الطفلة الغريقة، الذى هو مدير تلك المدرسة.

لقد أراد والد الطفلة أن يطبق النظام نصًّا وروحًا، وكان يشعر شعورًا كاملاً بمسؤوليته أمام رجال التربية والتعليم، وأمام أمته ووطنه، وعقيدته، وكان يشعر قبل كل ذلك وفوق كل ذلك بمسؤوليته أمام الله سبحانه وتعالى، لهذا أصر على فصل الشقيقين، غير ملتفت إلى رجاء الراجين والتماس الملتمسين.

وحين يئس الطالبان من عودتهما إلى المدرسة، أغريا والد الخادمة بالمال وأمراه أن يحرق قلب أبى الطفلة كما حرق قلبيهما.

وكان أبو الخادمة فراشًا - آذنًا- فى المدرسة نفسها، وكانا يعرفان أن ابنته تعمل فى دار المدير، وهى قادرة على القضاء على حياة ابنة المدير، وقتلها يحرق قلب المدير أكثر مما يحرقه شىء آخر.

ولكن المحاكم قضت ببراءة الخادمة، والمحاكم تحكم استنادًا إلى أقوال الشهود واعتراف المتهم.

وفى تلك القضية بالذات، لم يكن شهود، والمتهم لا يعترف بجريمته، وكيف يعترف وهو يعرف أن الاعتراف يقوده إلى المشنقة؟

قال القضاء الأرضى كلمته، فلم يبق غير عدل الله - وانتقامه من الظلمة -.

وخرج أبو الخادمة من السجن يستنشق عبير الحرية، وفى أمله أن يتمتع بالمال الحرام..

فماذا الذى حدث؟

أقيم حفل عائلى فرحًا بخروج والد الخادمة من السجن، استمر حتى

الهزيع الأخير من الليل.

وبددت العائلة فى الحفل شطرًا من المال طعامًا وشرابًا.

وفى صباح اليوم التالى، سقط والد الخادمة مريضًا، لا يقوى على الحركة.

ولجأت الأسرة إلى الأطباء، يدفعون أجرة العيادة، ويدفعون ثمن الدواء.

وطالت مدة مرض الرجل، حتى امتدت إلى أربعة أشهر، كانت كافية لتبديد المال الحرام، فاضطرت العائلة إلى الاقتراض، وقصد والد الخادمة المستشفى الحكومى الذى يعالج بالمجان؛ لأنه بدد ماله ولم يعد قادرًا على استدعاء الأطباء.

كان يشكو مرض السكر، والضغط العالى، والتدرن الرئوى، ثم أصيب بالزكام الحاد إضافة إلى كل هذه الأمراض.

وارتفعت حرارته، وانهارت قواه، وكان كما يبدو فى المستشفى شبحًا من الأشباح.

وفى المستشفى انتقل من طبيب إلى طبيب، ومن ممرضة إلى ممرضة، محمولاً على النقالة.

وكان كل مريض يلقى عطفًا خاصًّا من الناس ولكن هذا الرجل يلقى التشفى والاشمئزاز.

كانت الهمسات تصادفه فى كل مكان، وكان كل من يراه يشير إليه بأنه قاتل الطفلة، وأنه لا يستحق العطف والحنان.

وفى المستشفى فحصه الطبيب المختص وأعطاه الدواء اللازم، وكان من ضمن الدواء إبرة بنسلين.

وزرقته الممرضة بالإبرة، فغادر المستشفى مع زوجه إلى الدار.

وفى الطريق شعر بخدر فى جسمه، وبارتباك فى نبضات قلبه، ثم صرخ فجأة: الطفلة . . الطفلة . . .

وسألته زوجه: أية طفلة؟

وقال الرجل: ألا ترينها؟ إنها تشد بكلتا يديها، كلتيهما على عنقى.

ومال رأسه على كتف زوجه رويدًا رويدًا واحتقنت عيناه وخفت صوته الذى كان يردد: الطفلة . . الطفلة . . ثم فارق الحياة.

* الخادمة لا تزال فى السجن الإصلاحى لتقضى فيه عامين آخرين.

ووالدها استقر فى القبر مصحوبًا باللعنات . .

وأمها فى الدار حائرة بإعالة طفل وثلاث بنات . .

وبناتها الثلاث فى سن الزواج، ولا أحد يتقدَّم لخطبتهن.

لقد علل أبو الخادمة نفسه بنعمة المال الحرام، ولكن الله كان له ولأمثاله بالمرصاد.

نسأل الله العافية والسلامة[١].

* * *

(١) عدالة السماء - بتصرف.

٤٠ هندوسيًّا أصيبوا بالعمى بعد هدمهم المسجد البابرى

أُصيب حوالى أربعين هندوسيًّا ممن شاركوا فى الهجمة البربرية لهدم المسجد البابرى فى ٦ ديسمبر ١٩٩٢م بالعمى بعد أن فشلت محاولات العلاج التى قام بها كبار أطباء العيون فى الهند لمعالجتهم.

جاء ذلك فى تقرير نشرته مؤخرًا جريدة أنصارى إكسبريس الهندية الأسبوعية والتى أضافت بأن حملة الهندوس لهدم المسجد ضمَّت أعدادًا كبيرة من المتعصبين الهندوس من جميع أنحاء الهند الذين تلقوا تدريبات طويلة لهذا الغرض.

وذكرت الصحيفة أن ٣١ شخصًا ممن فقدوا أبصارهم يسكنون فى حىٍّ واحد فى مدينة مهارينور وسبق لهم أن حاولوا تدمير المسجد ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك الحين.

وتعيش هذه المجموعة الآن على المعونات التى تقدمها لهم المنظمات الهندوسية.

وإلى جانب هذه المجموعة يوجد تسعة أفراد آخرين من منظمة غازى بور فى أتار براديش ممن فقدوا أبصارهم بعد مشاركتهم فى عملية الهدم.

وذكرت الصحيفة عن هؤلاء أنهم فى ندم وأن إلههم قد غضب عليهم؛ لأنهم دمروا المسجد البابرى وأنهم فقدوا أبصارهم عقابًا لهم.

كما ذكر والد أحد هؤلاء الأشخاص من أن ابنه قد تلقى تدريبًا من أجل المشاركة فى عملية تدمير المسجد، ولكنه لم يكشف عن هوية من قاموا بتدريب ابنه . .

ويعتقـد سكان المنطقة والمناطق المجاورة أن هؤلاء قد ارتكبوا إثمًـا كبيرًا بتدمير المسجد ولذا فقدوا أبصارهم نتيجة لهذا العمل(١).

أردت عمرًا وأراد الله خارجة

كان تاجرًا متوسط الثراء، وكـان يعمل بشراء الأبقار من العراق، أو من إيران، ثم ينتقل بها هو ورجاله مرحلة مرحلة حتى يصل إلى سوريه ولبنان، وقد يصل إلى مـصر؛ ليبيع مـا لديه من الأبقار، ثم يشتـرى بثمنها أقمـشة ومصنوعات أخرى. ويعود بها إلى العراق.

وكان الرجل مـسلمًا حـقًّا، قوامًّا صوّامًا، منـفقًا على الفقـراء، قائمًا بواجباته نحـو ربه ونحو الناس، ورعًا تقيًّا نقيًّا، ماله ليس له وحده، بل للمحتاجين من أقربائه وأهل بلدته ولكل طالب محتاج.

وفى إحـدى سفراته بـتجارته، وكـان ذلك قبل الحـرب العالميـة الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، هطل ثلج كثير، فسد الـطرق، وقتل الأعشاب فماتت أبقاره عدا أربعة منها، فصـرف رجاله، وأخذ يتنقل بها من مكان إلى آخر، وكان فى نيـته أن يصل إلى حلب الشهـباء؛ ليؤدى مـا عليه من ديون هناك حسب طاقته، ويطلب تأجيل ما بقى عليه منها إلى العام القادم؛ لأن تجارته فى هذا العام لم تربح، وإن مع العسر يسرًا.

وفى مساء ذات يوم وصل إلى قرية صغيرة فى طريقه من الموصل الحدباء إلى حلب الشـهباء، فطرق باب أحـد بيوتهـا، فلما خـرج إليه رب الدار، أخبره بأنه ضـيف الله، وأنه يريد أن يبيت ليلته فى داره، فإذا جـاء الصباح سافر إلى قرية أخرى.

(١) جريدة الرياض العدد ٩٠٦٩ عام ١٤١٣ هـ.

ولم تكن حينذاك فنادق يأوى إليـها المسافرون، ولم تكن يومئذٍ مطاعم يتناول الغرباء فيـها طعامهم . . لقد كان الغـريب، أو المسافر يطرق أى دار من دور المكان الذى يصل إليه، ثم يحل ضيفًا بين ظهرانى أهله، ينام كما ينامون، ويتناول من طعامهم دون أجر أو مقابل . .

ورحب صاحب الدار بضيفه، وأدخل أبقاره إلى صحن داره، وقدم الطعام للضيف والعلف للأبقار.

كان صاحب البيت معدمًا، وكان قد أصابه ما أصاب الناس من هطول الثلج بكثرة ولمدة طويلة، فماتت مواشيه وتضرر زرعه.

وكان متزوجًا وله ولد واحد فى العقد الثانى من عمره.

وكان فى داره غرفتان: غرفة يأوى إليها هو وزوجه، وغرفة يأوى إليها ولده.

واجتمعت العائلة حول الضيف الجديد، وابتدأ السمر شهيًّا طليًّا، عرف المضيف من خلاله أن ضيفه يحمل مبلغًا من المال . .

وفى الهزيع الثانى من الليل، آوى المضيف مع زوجه إلى غرفتهما، وأوى الضيف إلى غرفة ولد المضيف، فنام الولد على فراشه فى الزاوية اليمنى من الغرفة، وأوى الضيف إلى فراشه فى الزاوية اليسرى من الغرفة.

وبعد أن سأل المضيف ضيفه عما إذا كان يحتاج إلى شىء ما، واطمأن إلى راحته، وتأكد حتى من وجود الماء لديه، غادر إلى غرفته لينام هو أيضًا.

وفى غرفته همست له زوجته: يا فلان! إلى متى نبقى فى عوز شديد؟ هذا الضيف غنى، ونحن بأشد الحاجة إلى ماله وأبقاره.

إننا مُقبلون على مجاعة، لا يستطيع الأغنياء أن يتغلبوا عليها إلا بمشقة بالغة، وسنموت نحن بدون ريب، إننا الآن نأكل يومًا ونجوع أيامًا،

فكيف بنا إذا حلت بالقرية المجاعة المرتقبة ولا مال عندنا ولا طعام؟

إن الفرصة سانحة اليـوم، ولن تعود مرة أخرى فى يوم من الأيام! هلُمَّ إلى الضيف فاسلبـه ماله، وخذ أبقاره، حتى تُبقى على حيـاتنا وحياة ولدنا الوحيد».

وقال لهـا الرجل: كيف وهو ضـيفنا؟ كيف أسـلبه ماله وأبقـاره؟ كيف يسمح لنا بسلبه؟!

قالت زوجته: اقتله، ثم نرميه فى حـفرة قريبة فى بطن هذا الوادى ومن يعرف بخبره؟ من؟!!

وتردد الرجل، وألحت المرأة، وكان الشيطان ثالثهـما، فزين للرجل قول امرأته، وألحَّ هو أيضـًا فى الإقدام على قتل الضـيف . . ولكى تقطع المرأة على زوجها داء تردده، ولكى يقطع عليه الشـيطان، قالت المرأة لزوجها: إن ما تفعله ضرورة لإنقاذنا من الموت الأكيد، والضرورات تبيح المحرمات!» . .

واقتنع الرجل أخـيرًا، وعزم على قـتل الضيف وسلب مـا لديه من مال ومتاع.

كان الوقت فى الثلث الأخـير من الليل، وكـان كل شىء هادئًا ساكنًا، وكـانت الأنوار مطفأة، ولم تـكن أنوار المنازل فى حينـه غيـر سراج يوقـد بالزيت.

وقصد الرجل خنجره، وشحـذه، ثم يمم شطر غرفة الضيف وابنه ومن ورائه زوجه تشجعه . .

ومـشى رويدًا رويدًا، على رؤوس أصـابع رجليـه، واتجـه شطر الزاوية اليسرى من الغرفة حيث يرقد الضيف، وتحـسس جسمه حتى تلمس رقبته، ثم ذبحه، كما يذبح الشاة.

وجاءت إلى الرجل زوجه، وتعاونا على سحب الجثة الهامدة إلى خارج

الغرفة، حيث اكتشفا هناك أنهما ذبحا ابنهما الوحيد.

وشهق الرجل شهقة عظيمة، وشهقت المرأة، فسقطا مغشيًا عليهما، وعلى صوت الجلبة استيقظ الضيف، واستيقظ الجيران، ليجدا ابن الرجل قتيلاً، وليجدوا أمه وأباه مغشيًا عليهما راقدين إلى جانب الجثة الهامدة على الأرض.

وسارع الضيف وسارع الجيران إلى الرجل وامرأته بالماء البارد يرشونه على وجهيهما، فلما أفاقا أخذا يبكيان بكاءً مرًا، وطلبا إلى الجيران إبلاغ الحادث إلى الشرطة، فجاءت على عجل وألقت القبض على الجانيين.

* ما الذى حدث فى غرفة نوم الضيف وابن المضيف؟

لقد قام الابن إلى فراش الضيف بعد أن غادر أباه الغرفة، وأخذ الرجلان يتجاذبان أطراف الحديث، وكان الحديث ذا شجون، فطال أمده، حتى نام الولد على فراش الضيف بعد أن غلبه النعاس.

ولم يشأ الضيف أن يوقظ ابن مضيفه، فترك فراشه له بعد أن أحكم عليه الغطاء، ثم أوى إلى فراش ابن المضيف.

وحين قدم المضيف إلى غرفة الضيف وابنه، كان متأكدًا من موضع فراش كل واحد منهما، فذبح ابنه وهو يريد الضيف، فكان كالخارجى الذى أراد اغتيال عمرو بن العاص فى عماية الفجر، فاغتال بدله خارجة بن حذافة، فلما علم بالخبر، هتف من صميم قلبه: «أردتُ عَمرًا وأراد الله خارجة».

ودفن الجيران الولد القتيل، واستقر والداه فى السجن.

* * *

الله هو الحكم العدل

كان رجلاً معدمًا ولكنه كان سعيدًا.

وكانت له عائلة من زوجة وخمسة أولاد وأختين ووالدة طاعنة فى السن، له حانوت يبيع فيه الخضروات .. اليقطين، والباذنجان، والسلق، والفجل، والطماطم .. إلخ.

حانوته هذا فى طريق فرعية، يبيع فيه سلعته على جيرانه من الفقراء، فلم يكن له من المال ما يؤجر به حانوتًا فى موقع ممتاز أو يشترى به سلعة ممتازة.

أما داره الخربة فتسمى من باب المجاز دارًا، وهى فى حقيقتها غرفة واحدة حولها ركام من الأنقاض، وفى هذه الغرفة ينام أفراد العائلة يطبخون ويستحمون.

وإذا ما عاد الرجل إلى داره بعد غروب الشمس، ومعه الخضرة، واللحم، والخبز، تستقبله العائلة كلها بالفرح والتصفيق، والأغانى، والأهازيج، ويتناولون منه ما بيديه من طعام، ويهرعون إلى القِدر لإعداد العشاء.

ولم يكن فى كل يوم يحضر اللحم، فإذا كان مبيعه اليومى رابحًا استطاع أن يشترى لحمًا، وإلا فعشاء عائلته من بقايا ما كسد من خضرة حانوته.

وكانت تلك العائلة تسكن إلى جوار حاكم فى المحكمة العليا، وكان ذلك الحاكم يعطف على تلك العائلة ويزورها بين حين وآخر.

وهذا الحاكم كثيرًا ما حدَّثنى عن عائلة جاره، قائلاً: «لم أرَ فى حياتى

عائلة سعيدة مثل هذه العائلة، ولم أرَ فرحًا غامرًا كالفرح الذى يشيع فى العائلة عندما يعود ربُّها من عمله مساء، وكنت كثيرًا ما أحب أن أعيش وقتًا سعيدًا بينها حين يصل جارى إلى داره فتستقبله العائلة كلها بالتهليل والتكبير، ثم يبدأ عملها الدائب فى إعداد العَشاء، فإذا نضج الطعام بدأوا يتناولونه من إناء كبير فإذا انتهوا من عشائهم، حمدوا الله وشكروه، وأكثروا من حمده وشكره، ثم آووا إلى فراشهم الخلق البسيط فرحين قانعين، لا يتمنون على الله غير الستر والعافية وألاَّ يحتاجوا إلى إنسان».

وفى يوم من أيام الخريف، كانت العائلة تنتظر عائلها مساءً على باب الدار، فإذا بهم يرون بعض الشرطة يحملون نعشًا، فلما تبينت العائلة الأمر وجدت معيلها الوحيد هو المحمول فى النعش.

كان قد أغلق حانوته، وقصد القصَّاب - الجزار- المجاور فاشترى لحمًا، وقصد الخباز القريب فاشترى خبزًا، وحمل بقايا خضرته من دكانه، فلما أراد عبور الشارع دهسته سيارة طائشة، فمات الرجل فورًا، وتبعثر ما كان معه من زاد.

وتجمَّع الجيران حول النعش، وجمعوا من سراتهم بعض المال، وأنفقوا على تجهيز الجثة الهامدة ما جمعوه، وقدموا ما تبقى من مال زهيد إلى العائلة، وفى صباح اليوم التالى واروا الفقيد إلى قبره.

وكان أكبر أولاده فى سن الخامسة عشرة، يدرس فى الصف الثانى فى المدرسة المتوسطة الشرقية؛ ليُعد نفسه ليكون موظفًا صغيرًا بعد تخرجه من الإعدادية فيعاون أهله.

وبعد يومين من موت والده، نفد آخر ما جمعه الجيران من مال للعائلة، وفى اليوم الثالث قصد حانوت والده.

وبدأ يعمل فيه كل يوم بعد غروب الشمس كما كان يفعل والده . .

ولكن الابتسامات غاضت إلى غير رجعة . . والفرح مات إلى الأبد . . وكـان الطعام الذى تتناولـه العائلة ممزوجًـا بالدمـوع . . لقد دفنت العـائلة سعادتها مع فقيدها الحبيب . .

ومرت الأيام ثقيلة، بطيئة، ودار الزمن دورته، فانقضت ثلاث سنوات، ودُعى الولد الكبير إلى الخدمة فى الجندية بعـد أن استكمل الثامنة عشرة من عمره.

واجتمعت العائلة تتداول الرأى هل يترك الابن الثانى مدرسته وقد أصبح فى الصف الرابع الإعـدادى ولم تبق له غير سنة؛ ليـتخـرج من الإعدادية؛ ليتولى إدارة حانوت أخيه؟ وإذا لم يفعل فمن يعيل أهله؟

واستقـر رأى العائلة على بيع الدار، ولو أن الخروج منها كـخروج الشاة من جلدها، لا يُسمَّى إلا موتًا أو سلخًا. . !

والتحـق الابن الأكبر بـالجندية فى بلد مجـاور يتدرب على اسـتعـمال السلاح، وكان معلم الـتدريب العسكرى يلاحظه فيجد فـيه ذهولاً وانصرافًا عن التدريب، فكان ينصحه تارة، ويعاقـبه بالتعليم الإضافى تارة أخرى . . دون جدوى.

لقد كـان حاضـرًا كالغائب، وكـان جسـمه فقط مع إخـوانه الجنود فى التدريب، ولكن عقله كان بعيدًا . . بعيدًا . . هناك عند عائلته.

واستدعاه معلمه يومًا، وسأله عن مشكلته، ففتح له قلبه وأخبره بأمره، فبادله المعلم الإنسان حزنًا بحـزن، وأسى بأسى، وكفَّ عن ملاحقته فى أمر إتقان التدريب.

وعرض المعلم مشكلته على آمر الفصـيلة، فأمر بتعيينه فى مطبخ الجنود يغـسل القـدور، ويقطع اللحم، ويوقـد النار ويوزع الطعـام، أما أمـه . . فكانت هى أيضًا حاضرة كالغائبة.

استقـرضت بعض المال من أحد سماسـرة بيع الدور؛ لتطعم العائلة به، ورهنت سند الدار عند السمسار وعرضت الدار للبيع.

واستـمر عرض الدار أيامًـا على الراغبين بشـرائه، وأخيرًا وبعـد مرور عشرين يومًا، باعت الدار بأربعمائة دينار، ثم قضت تسعة أيام فى معاملات حكومية رتيبة لنقل ملكيتها إلى المالك الجديد.

وبقى يوم واحد على موعد إعطاء البدل النقدى عن ولدها، وكان عليها أن تسافر إلى المـدينة التى استقر فيـها ولدها فى الجندية مساء الـيوم التاسع والعشرين؛ لتسلم البدل النقدى صباح اليوم الثلاثين، فإذا تأخرت عن ذلك الموعد ساعة فلن يُقبل من ابنها البدل النقدى.

وقصـدت الأم مأوى السـيارات التـى تنقل الركاب من بلدتهـا إلى بلدة ولدها، فوجدت السيارات ولم تجد الركاب.

كان الوقت قـبيل الغروب من أيام الـصيف، وانتظرت ساعـة فى مأوى السيارات دون أن يحضر مسافر واحد.

وانتظرت على أحـر من الجـمر، وقـد غـابت الشمس، والمـسافـة بين المدينتين حوالى أربعين ومائتى كيلو مترًا تُقطع بالسيارات فى ساعتين ونصف فإذا لم تسافـر ليلاً، ضاع عليهـا الوقت ولن تصل إلى مدينة ولدها إلا فى صباح اليوم التالى.

وعرضت على سـائق إحدى السيارات أن تسـتأجر - وحدها - سـيارته على أن يسافر بها فورًا.

وقبض السـائق أجرة سيـارته كاملة من المرأة وتحركت السـيارة فى طرق جـبلية وفى الطريق تحـدَّث السائق إلـى المرأة، فعلم منهـا قصـة بيع الدار، وقصة دفع البدل النقدى عن ولدها.

وتدخل الشيطان بينهمـا، فلعب دوره فى تخريب ضمير السـائق، فعزم

على تنفيذ خطة لاغتصاب المال من المرأة المسكينة.

وفى إحدى منعطفات الطريق، حيث يستقر إلى جانب الطريق الأيمن وادٍ صخرى سحيق، أوقف السائق سيارته فجأة، وسحب المرأة قسرًا من السيارة إلى خارجها، ونزلا إلى مسافة عشرين مترًا فى الوادى السحيق، وهناك طعن المرأة بخنجره عدة طعنات، فلما تراخت وظن أنها فارقت الحياة، سلبها مالها، وعاد إلى سيارته تاركًا المرأة فى مكانها تنزف الدماء من جروحها.

وقصد المدينة التى كان متجهًا إليها فقد خشى أن يعود إلى المدينة التى خلّفها وراءه؛ لئلا ينكشف أمره، إذ يعود إليها بدون مسافرين، وقبل الوقت المعقول لذهابه وإيابه . . ! وعندما وصل إلى المدينة، آوى إلى مأوى السيارات، فزعم لأصحابه أن المسافرين الذين كانوا معه قد غادروا سيارته بعد عبور الجسر، ووجد ركابًا ينتظرون السفر إلى البلدة التى غادرها مساءً، فسافر بهم عائدًا من نفس الطريق.

وحين وصل إلى المكان الذى ارتكب فيها جريمته الشنعاء، أوقف سيارته، وادّعى لركابها بأنه يريد أن يقضى حاجته ثم يعود إليهم فورًا . . ! وانحدر إلى الوادى، فسمع أنينًا خافتًا، فقصد المرأة السابحة ببركة من الدم، وقال لها: ملعونة ألا تزالين على قيد الحياة حتى الآن!

وجمدت المرأة فى مكانها، وانتظرت مزيدًا من الطعنات . . !

وانحنى السائق إلى صخرة ضخمة ليحطم بها رأس المرأة الجريح، وما كاد يضع يديه تحت الصخرة إلا وصرخ صرخة عظيمة هزت الوادى الصخرى السحيق، ورددتها جنباته الخالية إلا من الوحوش والأفاعى والهوام، وسمعها ركاب السيارة، فهرعوا لنجدته.

كانت تحت تلك الصخرة الضخمة التى أراد السائق المجرم رفعها؛

ليقـذف بها رأس المرأة الجـريح، حيـة سامـة لدغته حـين كان يهم بـحمل الصخرة العاتية، فسقط إلى جانب المرأة يستغيث ويتألم . . !

وحمل المسـافرون السائق، وحـملوا المرأة، وانتظروا حتى قدمت سـيارة أخرى فاستوقفوها وطلبوا من سائقها حمل المرأة والسائق إلى المستشفى التى كانت فى المدينة التى يستقر فيها ولد المرأة الجريحة.

وفى الطريق فارق الحياة ذلك السائق المجرم متأثرًا بالسم الزعاف.

وفى المستشفى، قدم الشرطة والمحققون العدليون، فعرفوا القصة كاملة، وانتزعـوا مال المرأة من طيات جيـوب السائق اللعين، وطلبت المرأة حـضور ولدها، فحـضر فى الهـزيع الأخيـر من الليل . . وراحت المرأة فى غيـبوبة عمـيقـة، فظن الأطباء والممـرضون أنهـا تعانى سكرات المـوت . . وعمل الطبيب على نقل الدم إليها.

وفى ضحى اليوم التـالى فتحت عينيهـا لتقول لولدها: «ادفع البدل النقدى سريعًـا»، ثم أغمضت عينيـها وراحت فى سبات عـميق، ودفع الولد بدله النقدى، وسُـرِّح من الجيش . . وتحـسنت صحة أمـه يومًا بعـد يوم، حتى تماثلت للشفاء حيث غادرت المستشفى إلى أهلها.

وذهبت قصة نجـاتها، وقصة موت السـائق، وقصة الحية المنقـذة، شرقًا وغربًا، وأصـبح حديثهـا حديث الناس جمـيعًا . . ولقـد كان الوادى الذى ارتكب السائق فـيه جريمتـه، والذى قذف بين صخوره المرأة الجـريحة، من الوديان الموحـشة الخـالية من الماء والكلإ، فـلا يسلكه الناس ولا يطرقـونه، حتى الرعـاة لا يجدون فـيه ما يفـيد ماشـيتـهم فأصبح مـوطنًا آمنًا للذئاب والأفاعى.

وما كانت المرأة الجريحة لتسلم من الموت الأكيد، لو لم يعد إليها الجانى مدفوعًا بغريزة حب الاستطلاع.

وما كان المسافرون مع الجانى ليـعرفوا موضع المرأة، لو لم يصرخ الجانى صرخة مدوية بدون شعور ولا تفكير متألـمًا من لدغة الأفعى السامة.

وما كان ولدها ليدفع البدل النقـدى لو قدمت أول سيارة من المدينة التى كان فيها؛ لأنها ستنقل أمه، ولضاع عليه الوقت المحدد لدفع البدل النقدى، لقد كان ذلك كله من تدبير العلى القدير . .

قال الحاكم الذى هو جار لتلك العائلة: سمعت قصة جارتنا كما سمعها الناس، فاشتركت مع الجيران الآخرين لجمع ثمن دارها؛ حتى تستعيدها من صاحبها الجديد.

وسمع صاحب الدار الجـديد هو الآخر بقصتها، فأعـاد إليها سند الدار وملكيتهـا، وبقى المبلغ الذى جمعه لها الجـيران مع ثلاثمائة دينار من أصل ثمن الدار، فـجـددت بذلك المبلغ بـناء الدار، وأقـبل الناس على حـانوت ولدها، يشترون سلعـته ويتسابقون على معاونـته . . وفى خلال سنة واحدة تضخم عمله، وأقبلت عـليه الدنيا، فانتقل إلى حانوت كبـير فى شارع عام فى موقع محترم . .

ومرت السنون، وفى كل عام كان فى الدار بناء جديد . .

وتخـرج الأولاد من مدارسـهم واحـدًا بعد الآخـر، فـأصبح أحـدهم مهندسًا، والآخـر طبيبًا، والثـالث ضابطًا فى الجيش . . ولم يعـد طعامهم اليومى من الشاى والخبز، أو من الخبز والخضرة بل كان لهم لحم فى كل يوم مع ألوان شهـية أخـرى من الطعام وفتـح الله عليهم باب بركـاته، وأغدق عليهم رعايته، وجعلهم مثالاً للخُلق الكريم بين الناس، متعاونين فى السراء والضراء.

وعلى ضفـاف دجلة قرب الجسر الكبـير فى بغداد، دار عامـرة بالخير، والوفاق، والسـعادة، هى الدار الجـديدة التى انتقلت إليـها العائـلة الصابرة

المحتسبة عام (١٣٨٥)، وقد تضاعف عدد العائلة فأصبحت أربع عائلات، فقد تزوج الأولاد الكبار الثلاثة وأخصبوا، ولكن رباط العائلة مازال قويًّا، وأم الأولاد لا تزال سيدة البيت بدون استثارة أو إزعاج.

لقد سمعت قصة هذه العائلة من صديقى الحاكم الكبير، فأردت أن أسمعها من أحد أفرادها.

وسألت الابن الأكبر الذى كان خُضريًّا فقيرًا فأصبح تاجرًا كبيرًا، أن يحدثنى حديث أمه، فقال: ولماذا لا تسمع حديثها منها؟

وكنت ذات مساء فى دارهم العامرة على ضفاف دجلة أسرح النظر فى انعكاس نور القمر على الماء الرائق المتدفق، وأنا أصغى إلى أغانى ملاحى السفن الشراعية والسفن التجارية وترديد ركابها، منتظرًا انقضاء صلاة الوالدة.

وجاءت الأم وقد أحاطت شعرها الأبيض بغلالة بيضاء، وفى وجهها نور، وعلى قسماته ابتسامة، وعلى لسانها ذكر الله .. وروت لى قصتها كاملة، فقلت لها: «وماذا كان شعورك حين تركك الجانى وحيدة تشخب جروحك دمًا فى بطن الوادى السحيق؟».

فقالت - والإيمان الصادق يشع من كلماتها- : «كنت أخاطب الله عز وجل بقولى: يا جبار السماوات والأرض أنت أعلم بحالى ... فهيئ لى بقدرتك القادرة أسباب دفع البدل النقدى عن ولدى؛ ليعود إلى أهله ويعيلهم .. يا رب ..».

واستجاب الله دعاءها وأعاد إليها مالها وولدها، وانتقم لها من خصمها، وبدَّل حال العائلة الفقيرة إلى أحسن حال.

تلك قصة من الواقع .. ولكن حوادثها أغرب من الخيال.

إن الناس يغفلون وينامون، والله وحده لا يغفل ولا ينام.

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1] . . والله لا ينسى رزق النملة فى الصخرة القاسية وسط عباب المحيط، فكيف ينسى أرزاق الأرامل واليتامى؟! والناس يخشون الناس، والله أحق أن يخشوه . . والله يمهل . . . ولكن لا يهمل . .

ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب[2] .

فعليك أيها المسلم أن تبتعد عن الظلم ودوافعه وتذكر قدرة الله عليك.

تذكر من لا تخفى عليه غائبة فى السماء ولا فى الأرض . . تذكر أن الظلم ظلمات فى الدنيا والآخرة . . اللهم جنبنا الظلم وأهله وأكفنا شر الأشرار وعمل الفجار . . اللهم آمين.



(١) سورة هود - الآية (٦).

(٢) عدالة السماء . . للوآء الركن / محمود شيت خطاب، والأولى أن يقول: عدالة الله.

يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله [١]

تقول عن نفسها:

لا أظن أحدًا تشبَّع من دنياه مثلى، أو ضحك كضحكى، أو لهى كلهوى، وبرغم ذلك كانت حياتى جحيمًا لا يُطاق، كان نهارى ضائعًا ما بين غناء فاحش، واستهتار كبير، وتسكع فى الشوارع والأسواق، أما ليلى فينقضى فى سهرات تافهة، ومناظر سافلة أمام القنوات الفضائية ورنين الهاتف، حياة لا معنى لها سوى الضياع والغفلة؟ اهتماماتى كانت دنيئة جدًّا إلى حد الخسة، ومع ذلك كله كنت عنيدة متغطرسة مكابرة لا أقبل نصح الناصحين حين أشفق علىَّ والدىَّ من سوء حالى، وبتُّ معروفة بسوء خُلقى، لا أنسى كلمات أبى - والذى كان مشغولاً بشركاته وعقاراته وأمواله - عندما أخذ يوبخنى ويصفنى بالعقوق وقلة الحياء والأدب، وقال: من سيفكر بالزواج من فتاة سيئة مثلك، لقد جلبت لى العار، لو لم يكن حرام علىَّ لقتلتك، ومع هذا كله كنت لا أبالى.

أما والدتى المسكينة فقد ملَّت وسئمت من كثرة توجيهاتها لى، بل لم تترك سبيلاً فى تقويم اعوجاج نفسى إلا وسلكته حتى دمعات أمى لم تشفع عند نفسى المتجبرة، وزاد الأمر سوءًا بعدما انتهيت من المرحلة الثانوية، وتخرجت بنسبة ضئيلة جدًّا بعد رسوب دام سنوات، فلم تؤهلنى تلك النسبة للالتحاق بأى كلية أو جامعة، فمكثت فى المنزل، وكان خبر مكوثى فى المنزل كالصاعقة لوالدى، فمعنى ذلك أن الفراغ فى حياتى سيزداد

---

[١] لقد ضيعتنى يا أبى. لنوال بنت عبد الله - بتصرف واختصار.

وسأزداد تبعًا لذلك سوءًا، وهذا ما حصل بالفعل، عكفت على الأغانى الماجنة والأفلام المقززة والمجلات الخليعة والروايات الهابطة، حتى تخيلت نفسى راقصة أو مغنية مشهورة، وتناسيت الحكمة التى لأجلها خلقنا الله فى هذه الدنيا.

وذات يوم وبينما أنا كعادتى أستمع لمزامير الشيطان وأترنح طربًا وأنا راقصة، أردد الغناء الفاحش مع المطرب الذى سلبنى عقلى إذ بأختى الصغيرة (مها) ذات الأعوام السبعة تدخل علىَّ غرفتى وتجلس وتنظر لشكلى المضحك ولحركاتى البهلوانية، وقد اعترتها الدهشة بل والضحك، فما كان منى إلا أن أغلقت المسجل وصرخت فى وجهها: ماذا تريدين؟

قالت مها الصغيرة بكل خوف وتلعثم -فهى تعرف مدى قوتى وبطشى-: أريد أن أجلس معك . . إنى خائفة . . حدثينى بقصة فليس فى البيت أحد سوانا والخادمة، هيا معى لنخرج للحديقة فإنى أحس بالحزن والكآبة، ازددت غيظًا وحنقًا وقلت لها بصوت دوى فى الأرجاء بعد أن فتحت باب غرفتى: اغربى عن وجهى . . اذهبى إلى الخادمة والعبى معها، لا أريد أحدًا عندى . . هل تفهمين، استسلمت الصغيرة لأوامرى المتعجرفة وانسحبت باكية . . وما زلت أصرخ كالمجنونة: العبى بعيدًا، ولا تأتى مرة أخرى إلى هنا . . هل تسمعين، وعدت إلى عفنى وأشرطتى واستكملت الغناء والرقص والطرب، ولكن شعور غريب يخالجنى . . فراغ كبير أحس به فى داخل نفسى، نظرت إلى ساعة الغرفة، إنها الخامسة مساء . . الوقت مناسب لسماعتى الحبيبة ومغامراتى الحلوة مع فلان وعلان، إننى أريد التسلية فقط، فالحياة هكذا لا تطاق، فكرت فى تأجيل هذه المغامرات التليفونية إلى منتصف الليل، فهو أنسب الأوقات لى حتى لا يفتضح أمرى، حدثت نفسى: لماذا لا أخرج إلى حديقة المنزل لعل فى ذلك ترويحًا عن

نفسى، وبالفعل توجهت إلى الحديقة، وأحسست بالحزن، والاكتئاب يتسلل إلى قلبى، ولكن لا أدرى لماذا، ومع اقترابى من المسبح - حمام السباحة- بدا المنظر مرعبًا، فما راعنى إلا هول المصيبة وعظيم الفاجعة!!

إنها أختى الصغيرة البريئة مغمورة فى مياه المسبح الضخم، لقد غرقت فيه فهى لا تعرف السباحة مثلنا.. سرت رعشة فى جسدى المتعب وبدأت أصرخ كالمجنونة وأنادى: مها.. مها .. ولكنها لا تجيب.. أتت الخادمة مسرعة مرعوبة من الصراخ والعويل، انتشلناها من المسبح، وبسرعة أخذت أحركها .. أهزها .. لعلها تتحرك .. لعلها تتكلم .. لعلها تتنفس .. أتحسس نبضات قلبها الصغير ولكنه لا ينبض .. ما زالت بعينيك يا مها دمعة من تلك الدموع البريئة التى سالت منذ ساعة إثر صراخى فى وجهك.. وعلى ملامحك الهادئة مسحة من عتاب رقيق لى تعاتبنى، حملتها بين ذراعى إلى داخل المنزل، وفى تلك الأثناء هاتفت الخادمة والدىَّ فأتيا مسرعين، وأخذاها إلى المستشفى، بينما كنت أمشى على غير هدى وأتخبط وأتعثر، أرى فى صورتها وهيئتها صورة لغفلة كانت من حياتى قد تودى بحياة طفلة بريئة .. كنت أبكى وأدعو الله أن تعود أختى للحياة معافاة، ولا أريد من متاع الدنيا شيئًا، فالدنيا أمامى الآن هى أحقر شىء...

تذكرت أيامى السالفة الضائعة ... مر فى مخيلتى شريط حياتى البائس فى ظل الشيطان وحزبه، جلست بجانب سماعة الهاتف .. أنتظر بفارغ الصبر قرار الطبيب فى حالة أختى .. كانت نبضات قلبى تدق وبسرعة، أخذت ألوم نفسى وأوبخها، ليتنى أذنت لها بالبقاء معى فى غرفتى، ليتنى استمعت إلى ما تريده، ليتنى لم أنتهرها .. يا ترى أوَكانت تريد أن تودعنى الوداع الأخير؟..لا .. لا، ستعود مها، نعم ستعود، كم سأطير فرحًا إذا

رأيتهـا . . سأضمـها إلى صدرى . . سأقبلها . . سأشترى لها لعبًا . . حلوى . . كل ما تريد، ولكن عودى إلىّ أيتها الحبيبة مها . .

يقطع حبل أفكارى جرس الهاتف وهو يرن . . رفعته وبسرعة جنونية . . ومن هناك من المستشفى . . عزاؤكم جميعًا فى تلك الطفلة البريئة . . لقد تسرب الماء إلى جوفها بكثرة نتيجة مكوثها أكثر من ساعة تحته . . مع تسلل هذه العبارات إلى أذنى ووصولها مباشـرة إلى قلبى لم أشعر بما حولى، فقد سقطت مغميًا علىَّ . . لقد دوت صرخات قـوية داخل نفسى المشتعلة لا أدرى بعدها ما الذى حصل . . وماذا جرى؟!، شىء واحد أدركته بأن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾(١).

بعدها أفقت من إغماءتى، وقبل ذلك أفقت من غفلتى وسُباتى . .

سمعت أبى يقول: لقد تركناها فى المنزل بصحبة هذه . . فأكملت أنا بدلاً منه: هذه الضائعة التافهة . . عدت إلى غرفتى أبكى أختى . . وأندب تخاذلى . . وأصرخ من ضياعـى . . أنادى بالله عليكم لا تجمعوا علىَّ بين عذاب القـوم ومرارة اللوم . . ارحمونى فإنى ضائعة . . إنى أرى خيالك يداعب جنونى . . أرى صورتك أمامى تصاحبك براءتك ونظراتك الجميلة . . مرحك . . دعابتك . . كم مرة انتهرتك . . كم مرة قسوت عليك بدون سبب . . أوه كم هى رخيصة حياة العبث والمجون والهوى . . رأيت أمى أمامى باكية، فقلت لها: لماذا تبكين أيتها الأم الحزينة؟ أتبكين رحيل ابنتك البريئة الحبيبة؟! أم تبكين وترثين حال ابنتك الضائعة المكلومة - وليس لك من البنات سوانا - كفكفى دموعك يا أمى، ففى جنبى لوعة لو أخرجتها لفجرت ما أمامى.

وأفقت من غفلتى الطويلة بعدما رأيت الموت بعينى، لقد أشرق قلبى

(١) سورة آل عمران - آية (١٨٥).

بنور الإيمان بعد حياة الضياع والضلال . . بعدها تحاملت على نفسى المنهكة وأخذت ما كان عندى من عفن فى غرفتى وعلى مرأى من الجميع قذفت به بعيداً إلى غير رجعة بإذن الله، وتحاملت على نفسى مرة أخرى وذهبت وتوضأت ثم كبرت مصلية لله تعالى، وعندما شرعت فى الصلاة بكيت كثيراً، بكيت لأيام سالفة من حياتى . . وبكيت أكثر عندما تذكرت أختى الحبيبة ودعوت الله أن تكون فرطنا إلى الجنة.

وجدتها يا مولاى جنة

قال مالك: قدم ابن شهاب الزهرى المدينة فبكَّرت إليه، فوجدته فى طريق المسجد ومعه غلامه أنس، وكان قد زوَّجه أَمة له.

فقال له: كيف وجدت أهلك؟

فقال: وجدتها يا مولاى جنة.

فقال ابن شهاب: الحمد لله.

ففطنت وضحكت، فسألنى فقلت: إنه يقول إنها لم توافقه، إن فى الجنة سعة وبرداً.

فقال: كذلك يا أنس؟

قال: إى والله يا مولاى!

فمازال يضحك ويعيدها.

* * *

داووا مرضاكم بالصدقة

على مدى عدة سنوات كان الزوج والزوجة فى خلاف مع بعضهما يتخلل ذلك صفاءٌ لعدة أسابيع ثم تتعكر الأمور.

وقد حملت المرأة وسقط جنينها ثلاث مرات.

وفى يوم كانا فيه متصافيين أخبر الزوج زوجته أنه رأى رجلاً شكا له حاله قائلاً: إنى أعمل طباخًا فى أحد المطاعم فباع الكفيل المطعم لشخص آخر نقلت كفالتى إليه وضايقنى أنه جعل صوت الغناء يرتفع فى أنحاء المطعم، فحاولت جاهدًا الرجوع إلى كفيلى الأول فلم أستطع، عندها سألت كفيلى الجديد نقل كفالتى مقابل خمسة آلاف ريال هى كل ما أملكه فوافق فأعطيته المبلغ الذى كنت جمعته لإحضار زوجتى وأنا الآن فى ضيق شديد وأمر عصيب فزوجتى تتصل دومًا تسأل: متى أحضرها؟ وأهلى يقولون: نحن مُحرجون من أهل زوجتك، فأريد هذا المبلغ على أن أسدده بأقساط شهرية.

فعندما سمعت الزوجة هذه القصة قالت لزوجها: سأعطيه المبلغ ولا أريد منه شيئًا سوى الدعاء فأخذ الزوج المبلغ وأعطاه الطباخ وأخبره بقول الزوجة، فجلس يبكى من الفرح ولم ينم تلك الليلة بل ظل يدعو للمرأة وزوجها وبفضل من الله - تعالى - حملت المرأة منذ ذلك الشهر وثبت حملها وحسنت حالهم وظهرت علامات الانشراح بينهم.

* بل ها هى قصة رجل كان يمتلك ثروة كبيرة وكان له ابن أُصيب بمرض خطير فسافر به إلى أوروبا وأمريكا للعلاج ولم يجد له علاجًا حتى

كان يقول: وددت أن الله يشفى ولدى من مرضه ولو فقدت مالى كله . .

وفى يوم من الأيام كان الرجل يقرأ كتابًا عن الصبر وإذا به يقرأ حديث النبى ﷺ : «**داووا مرضاكم بالصدقة**»، فخرج فى تلك اللحظة وأخذ معه مبلغًا من المال فوجد امرأة عجوزًا فقيرة فأعطاها المال وعاد إلى البيت وإذا به يجد المفاجأة التى تكاد أن تذهب بالعقول . . لقد وجد ابنه تبدو عليه علامات الصحة والعافية فسأله: ما الذى حدث يا بنى؟

فقال له ابنه: والله لا أدرى يا أبى؛ ولكنى فجأة أحسست بالعافية تدب فى جسدى.

أخذ الرجل ابنه وذهبا إلى أوروبا لإعادة الفحص مرة أخرى فكانت المفاجأة الثانية . .

قال له الطبيب: ماذا صنعت لقد ذهب المرض كله من جسد ولدك، فأخبره الرجل أنه سمع حديث النبى ﷺ : «**داووا مرضاكم بالصدقة**» وأنه عمل بهذا الحديث فكان الذى حدث من شفاء هذا الولد. .

وإذا بالمفاجأة الثالثة: فلقد أعلن الطبيب إسلامه أمام هذه الآية التى رآها فى هذا الشاب ومن صدق كلام النبى ﷺ .

* فيا مَن له مريض قد طال مرضه . . اذهب فتصدق عنه ولا تفعل ذلك على سبيل التجربة وإنما افعله على سبيل اليقين.

* * *

الناسُ عيالٌ على هؤلاء الخمسة

قال الشافعي: الناس عيال على هؤلاء الخمسة، من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة ممن وُفِّق له الفقه، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

ورع أبي حنيفة

يُذكر أن يزيد بن هارون رأى أبا حنيفة جالسًا يومًا في الشمس بالقرب من بيت إنسان، فقال له: يا أبا حنيفة لو تحولت إلى الظل؟ وهو يقصد ظل البيت الجالس أمامه.

فقال أبو حنيفة: لي على صاحب هذه الدار دراهم ولا أحب أن أجلس في ظل داره،... وفي رواية أنه قال: لي على صاحب هذه الدار شيء فكرهت أن أستظل بظل حائطه فيكون ذلك جر منفعة، وما أرى ذلك على الناس واجبًا ولكن العالم يحتاج أن يأخذ لنفسه من علمه بأكثر مما يدعو الخلق إليه،... وعلق يزيد على هذه الحادثة بقوله: ما رأيت أورع من أبي حنيفة، فأي ورع أكثر من هذا؟!

* * *

خوف الإمام أبى حنيفة على مشاعر أمه

قال يحيى بن عبد الحميد: كان الإمام يخرج كل يوم من السجن فيُضرب ليدخل القضاء، فيأبى، فلما ضُرب رأسه وأثَّر ذلك فى وجهه بكى.

فقيل له فى ذلك فقال: إذا رأته أمى بكت واغتمت وما علىَّ شىء أشد من غم أمى!

كان الإمام أبو حنيفة بارًّا بوالديه، وكان يدعو لهما ويستغفر لهما مع شيخه حماد، وكان يتصدق كل شهر بعشرين ديناراً عن والديه[1].

القول ما قاله أبو حنيفة

قال أبو حنيفة: استفتت أمى عن شىء فأفتيتها فلم تقبله، وقالت: لا أقبل إلا بقول أبى زُرعة القاص - الواعظ - فجاء بها إليه.

وقال له: إن أمى تستفتيك فى كذا.

فقال: أنت أعلم وأفقه، فأفتها.

قال: أفتيتها بكذا.

فقال أبو زرعة: القول ما قال أبو حنيفة، فرضيت وانصرفت[2].

* * *

(١) وهبى الألبانى «أبو حنيفة النعمان» (ص: ١٠٢).

(٢) محمد سليمان «أخلاق العلماء» (ص: ٧٩).

نصيحة غالية لمن دخل على السلطان

قال أبو حنيفة لتلميذه أبى يوسف: يا يعقوب وقِّر السلطان وعظِّم منزلته وإياك والكذب بين يديه، ولا تدخل عليه فى كل وقت وفى كل حال، ما لم يدعُك لحاجة علمية فإنك إن أكثرت الاختلاف إليه تهاون واستخف بك، وصغرت منزلتك فى عينه، فكن منه كما أنت من النار، تنتفع بها وتتباعد عنها ولا تدن منها، فإنك تحترق وتتأذى منها، فإن السلطان لا يرى لأحد ما يرى لنفسه وإياك وكثرة الكلام بين يديه، فإنه يأخذ عليك ما تفوه به ليرى من نفسه بين يدى حاشيته أنه أعلم منك وأنه يخطئك فتصغر بذلك فى أعين قومه، ولتكن إذا دخلت عليه تعرف قدرك وقدر غيرك.

* * *

هل أضعناك يا فتى؟

قال عبد الله بن رجاء: كان لأبى حنيفة جار بالكوفة إسكاف[1]، يعمل نهاره أجمع حتى إذا جنَّه الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحمًا فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب[2] حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جلَبته كل ليلة، وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه، فقيل: أخذته الشرطة منذ ليال وهو محبوس، فصلى أبوحنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلته، واستأذن على الأمير، فقال الأمير: ائذنوا له وأقبلوا به راكبًا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له فى مجلسه وقال: ما حاجتك؟

فقال: لى جار إسكاف أخذته الشرطة منذ ليالٍ فهل يأمر الأمير بتخليته؟

فقال: نعم، وكل من أُخذ فى تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشى وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال: يا فتى أضعناك؟

فقال: لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرًا عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه.

(١) الإسكاف: الذى يصلح الأحذية.

(٢) أى: يشرب الخمر.

براعة أبى حنيفة فى الجدال والمناظرة

وقد هيأ لأبى حنيفة الذكاءُ أن يكون بارعًا فى الجدال والمناظرة ولذلك نراه يجتمع بطائفة من الخوارج الذين يقولون: أن مرتكب الذنب كافر وتجرى بينهم هذه المحاورة:

قالوا له: هاتان جنازتان على باب المسجد أما إحداهما جنازة رجل شرب الخمر حتى ملأته وحشرج بها فمات والأخرى امرأة زنت حتى إذا أيقنت بالحمل قتلت نفسها! وطلبوا منه رأيه فيهما.

فسألهم أبو حنيفة: من أى الملل كانا؟ من اليهود؟!

قالوا: لا.

قال: أفمن النصارى؟

قالوا: لا.

قال: أفمن المجوس؟

قالوا: لا.

قال: من أى الملل كانا؟

قالوا: من الملة التى تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

قال: فأخبرونى عن الشهادة: أهى من الإيمان ثلث أو ربع أو خمس؟

قالوا: إن الإيمان لا يكون ثلثًا ولا ربعًا ولا خمسًا.

قال: فكم هى من الإيمان؟

قالوا: الإيمان كله!

قال: فما سؤالكم إياى عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين؟

قالوا: دع عنك، أمن أهل الجنة هما أم أهل النار؟

قال: أما إذ أبيتم فإنى أقول فيهما ما قاله نبى الله إبراهيم فى قوم كانوا أعظم جرمًا منهما: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وأقول فيهما ما قاله نبى الله عيسى فى قوم كانوا أعظم جرمًا منهما: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]، وأقول فيهما ما قاله نبى الله نوح إذ قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾[3]، قال: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، وأقول ما قال نوح عليه السلام: ﴿وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾[5]، ولما سمع الخوارج هذا من الإمام خضعوا وألقوا السلاح!.



(١) سورة إبراهيم: الآية: (٣٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: ١١٨).

(٣) سورة الشعراء: الآية: (١١١).

(٤) سورة الشعراء: الآيات: (١١٢ - ١١٤).

(٥) سورة هود: الآية: (٣١).

أبو حنيفة يُلقى الحُجة على جهم بن صفوان

ذهب جهم بن صفوان إلى أبى حنيفة وقال له: يا أبا حنيفة أتيتك لأكلمك فى أشياء هيأتها لك، فأجابه أبو حنيفة: الكلام معك عار والخوض فيما أنت فيه نار تتلظى!

قال جهم: فكيف حكمت علىَّ بما حكمت ولم تسمع كلامى ولم تلقنى؟

أجاب أبو حنيفة: بلغنى عنك أقاويل لا يقولها أهل الصلاة.

قال جهم: أفتحكم علىَّ بالغيب؟

أجاب أبو حنيفة: اشتهر عنك ذلك وظهر عند العامة والخاصة فجاز لى أن أحقق ذلك عليك.

قال جهم: لا أسألك عن شىء إلا عن الإيمان.

قال أبو حنيفة: أو لم تعرف الإيمان إلى الساعة حتى تسألنى عنه؟

قال جهم: بلى، ولكن شككت فى نوع منه.

قال أبو حنيفة: الشك فى الإيمان كفر.

فرد جهم: لا يحل لك إلا أن تبين لى من أى وجه يلحقنى الكفر.

قال أبو حنيفة: سل.

فسأله جهم: أخبرنى عمن عرف الله بقلبه وعرف أنه واحد لا شريك له ولا ند، وعرفه بصفاته، وأنه ليس كمثله شىء ثم مات قبل أن يتكلم بلسانه؛ أمؤمنًا مات أم كافرًا؟

وأجاب أبو حنيفة بقوله: كافر من أهل النار حتى يتكلم بلسانه مع ما عرفه بقلبه.

فسأله جهم: وكيف لا يكون مؤمنًا وقد عرف الله بصفاته؟

ورد أبو حنيفة: إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة كلمتك به .. وإن كنت لا تؤمن به ولا تجعله حجتك كلمتك بما نكلم به من خالف ملة الإسلام.

قال جهم: أؤمن بالقرآن وأجعله حجة.

قال أبو حنيفة: قد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان فى كتابه بجارحتين: بالقلب وباللسان فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[١]، ما وصَّلهم إلى الجنة إلا بالمعرفة والقول وجعلهم مؤمنين بالجارحتين: بالقلب واللسان....

وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[٥].

---

(١) سورة المائدة: الآيات (٨٣ - ٨٥).
(٢) سورة البقرة: الآيات (١٣٦، ١٣٧).
(٣) سورة الفتح: آية (٢٦).
(٤) سورة الحج: آية (٢٤).
(٥) سورة فاطر: آية (١٠).

وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾(١).

وقال النبى ﷺ: «**قولوا لا إله إلا اللـه تفلحوا**»(٢)، فلم يجعل الفلاح بالمعرفة دون القول..

وقال النبى ﷺ: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبه كذا ..**»(٣)، ولم يقل: يخرج من النار من عرف الله وكان فى قلبه كذا، ولو كان القول لا يحتاج إليه ويكتفى بالمعرفة لكان من رد الله بلسانه وأنكره بلسانه إذا عرفه بقلبه مؤمنًا،... لكان إبليس مؤمنًا لأنه عارف بربه، يعرف أنه خالقه ومُميته وباعثه ومغويه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾(٤).

وقال: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(٥).

وقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(٦).

ولكان الكفار مؤمنين بمعرفتهم بربهم إذا أنكروا بلسانهم، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾(٧).

فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله واحد مؤمنين مع جحدهم بلسانهم.

وقال عز وجل: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٨).

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ

---

(١) سورة إبراهيم- آية (٢٧).
(٢) حديث صحيح: راجع «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد».
(٣) متفق عليه: البخارى (٤٢)، ومسلم (٢٧٨).
(٤) سورة الحجر- آية: (٣٩).
(٥) سورة الأعراف - آية: (١٤).
(٦) سورة الأعراف - آية: (١٢).
(٧) سورة النمل - آية: (١٤).
(٨) سورة النحل - آية (٨٣).

فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾[1].

فلم تنفعهم معرفتهم مع إنكارهم.

وقال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾[2]، فلم تنفعهم المعرفة مع كتمانهم أمره وجحودهم به!

وهنا قال جهم لأبى حنيفة: قد أوقعت فى خلدى شيئًا فسأرجع إليك!

أخطأ فى سبعة مواضع

ومن شواهد ذكائه وتوقد ذهنه مع سعة معرفته، أن امرأة معتوهة تعرضت لإيذاء رجل، فقالت له: يا ابن الزانيين.

وذهبوا بها إلى قاضى الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى فاعترفت بالقذف فأقام عليها الحدَّين[3] فى المسجد.

وبلغ ذلك أبا حنيفة، فقال: أخطأ فى سبعة مواضع:

- بنى الحكم على إقرار المعتوهة؛ وإقرارها هدر.
- وألزمها الحد؛ والمعتوهة ليست من أهل العقوبة.
- وأقام عليها حدين؛ ومن قذف جماعة لا يقام عليه إلا حد واحد.
- وأقام حدين معًا؛ ومن اجتمع عليه حدان لا يوالى بينهما ولكن يُضرب أحدهما ثم يُترك حتى يبرأ ثم يُقام الآخر.
- وأقام الحد فى المسجد؛ وليس للإمام أن يقيم الحد فى المسجد.
- وضربها قائمة؛ وإنما تُضرب المرأة قاعدة.
- وضربها بغير حضرة وليها؛ وإنما يقام الحد على المرأة بحضرة وليها، حتى إذا انكشف شىء من بدنها فى اضطرابها ستر الولى ذلك عليها.

---

(١) سورة يونس - آية: (٣١).

(٢) سورة البقرة - آية: (١٤٦).

(٣) فعل ذلك ظنًّا منه أنها تستحق حدين، لأنها قذفت شخصين هما والدا الرجل لا شخصًا واحدًا.

علمت أن الرجل فقيه

قال ابن شبرمة: كنت شديد الإزراء على أبى حنيفة فحضر الموسم وكنت حاجًّا يومئذ، فاجتمع إليه قوم يسألونه، فوقفت من حيث لا يعلم من أنا.

فجاءه رجل فقال: يا أبا حنيفة، قصدتك، أسألك عن أمر أهمنى وأزعجنى.

قال: وما هو؟

قال: لى ولد وليس لى غيره، فإن زوَّجته طلق، وإن سرَّيته أعتق، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة؟

قال له: نعم، اشترِ الجارية التى يرضاها لنفسه ثم زوِّجها منه، فإن طلق رجعت إليك مملوكتك، وإن أعتق أعتق ما لا يملك، وإن ولدت ثبت نسبه لك،... فعلمت أن الرجل فقيه من يومئذ وكففت عن ذكره إلا بخير.

* * *

من صاحب هذه الفتاوى؟

كان الإمام الأوزاعى معاصرًا لأبى حنيفة وبلغه عنه ما يكره فلما التقى فقيه الشام الإمام الأوزاعى بعبد الله بن المبارك قال له: من هذا المبتدع الذى خرج بالكوفة ويكنى أبا حنيفة؟ فلم يجب ابن المبارك على سؤاله مباشرة - وكان يحب أبا حنيفة - بل أخذ يعرض مسائل عويصة فى الفقه، ويعرض فيها فتاوى يعجب بها الأوزاعى حتى يسأل قائلاً: من صاحب هذه الفتاوى؟

فيجيبه ابن المبارك: شيخ لقيته بالعراق.

فيقول الأوزاعى عنه: هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثر منه.

فقال له ابن المبارك: هذا أبو حنيفة!

وشاء الله - عز وجل - بعد ذلك أن يلتقى الأوزاعى بأبى حنيفة، واطلع الأوزاعى على فقه الإمام وعلمه، فقال الأوزاعى لابن المبارك فيما بعد: «غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله تعالى، لقد كنت فى غلط ظاهر، الزم الرجل، فإنه بخلاف ما بلغنى عنه»!!.

* * *

أراد أن يوثقنى فـربطـتـه

وكان أبو العباس الطوسى سيىء الرأى فى أبى حنيـفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسى: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه فـقال: يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمر بضرب عنق الرجل لا يدرى ما هو، أيسعه أن يضرب عنقه؟

فقال: يا أبا العباس، أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل؟

فقال: بالحق.

قال: أنفذ الحق حـيث كان ولا تسـأل عنه، . . . ثم قال أبو حنيـفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقنى فربطته.

يتخلص من هذا الموقف بفرط ذكائه

ومن الأمثلة الدالة على حسن تخلصه بفرط ذكائه ما يروى أنه كان يسير يومًا مع مـحمد بن عـبد الرحـمن بن أبى ليلى قاضى الكوفـة، ولعله كان بينهما تنافس المتعاصرين، ومرا ببستان فيه مغنيات يغنين فلما حاذيا المغنيات سكتن، فقال لهن أبو حنيفة: قد أحسنتن!

وبعد حين شهد أبو حنيفة عند أبى ليلى فى قـضية، فقال لأبى حنيفة: شهادتك ساقطة.

فقال: ولِمَ؟

قال: لقولك للمغنيات: أحسنتن؛ لأن هذا رضى منك بمعاصى الله تعالى.

فسأله أبو حنيفة: متى قلت لهن: أحسنتن حين غنين أم حين سكتن؟!

فقال ابن أبى ليلى: حين سكتن.

فقال أبو حنيفة: الله أكبر، إنما أردت بقولى: أحسنتن فى السكوت لا فى الغناء!

فلم يسع ابن أبى ليلى إلا أن يقبل شهادته، وحينئذ تلا أبو حنيفة قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[1]، وصار ابن أبى ليلى يحذر أبا حنيفة بعد ذلك!

هذا رجل من العلم بمكان

ومما يدل على إجلال السلف لأبى حنيفة أنه لما مات أخو سفيان الثورى جاء الناس يعزونه وجاء أبو حنيفة فيمن جاء فقام إليه سفيان وأكرمه وأقعده مكانه، وقعد بين يديه، فلما تفرق الناس قال أصحاب سفيان له: رأيناك فعلت شيئًا عجيبًا مع هذا الرجل.

فقال: هذا رجل من العلم بمكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسنِّه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه!

* * *

(١) سورة فاطر - آية (٤٣).

أقام الحجة على من ينكرون وجود الخالق

يروى أن بعض الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق جلّ جلاله التقوا بأبى حنيفة فقال لهم: ما تقولون فى رجل يقول لكم: إنى رأيت سفينة مشحونة مملوءة بالأمتعة والأحمال، قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهى من بينها تجرى مستوية ليس فيها ملاح يجريها أو يقودها، ولا متعهد يدفعها أو يسوقها، هل يجوز ذلك فى العقل؟ فقالوا: لا، فهذا شىء لا يقبله العقل ولا يجيزه الوهم.

فقال أبوحنيفة: فيا سبحان الله إذا لم يجز فى العقل وجود سفينة مستوية من غير متعهد ولا مُجرٍ فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أحوالها وأمورها وأعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها؟!

* * *

الرحمن على العرش استوى

قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكًا فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليًّا حتى علاه الرحضاء وما رأينا مالكًا وَجَدَ من شيء وَجْدُهُ من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به، ثم سُرى عنه، فقال: الاستواء معلوم والكَيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإنى لأظنك خبالاً، أَخرجوه عنى، فناداه الرجل: يا أبا عبد الله والله الذى لا إله إلا هو لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحدًا وُفق لما وُفقت له.

الرؤيا تسرُّ ولا تغرُّ

وجاء رجل إلى مجلس مالك فقال: أيكم مالك؟ فقالوا: هذا، فسلم عليه واعتنقه وضمه إلى صدره، وقال: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ البارحة جالسًا هنا، فقال: هاتوا بمالك فجيء بك ترتعد فرائصك فقال: ليس بك بأس يا أبا عبد الله، اجلس، فجلست، فقال: افتح حجرك، ففتحت، فملأه مسكًا منثورًا، وقال: ضمه إليك وبثه فى أمتى، فبكى مالك وقال: الرؤيا تسرّ ولا تغر، إن صدقت رؤياك فهو العلم الذى أودعنى الله.

* * *

(١) سورة طه: آية: (٥).

قم فأنت من أوعية العلم

قال مالك: شهدت العيد فقلت: هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه فسمعته يقول لجاريته: انظرى من على الباب، فنظرت فسمعتها تقول: مولاك الأشقر مالك، قال: أدخليه، فدخلت، فقال: ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئًا؟ قلت: لا، قال: فاطعم، قلت: لا حاجة لى فيه، قال: فما تريد؟ قلت: تحدثنى، . . . فحدثنى سبعة عشر حديثًا ثم قال: وما ينفعك إن حدثتك ولا تحفظها! قلت: إن شئت رددتها عليك.

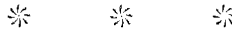
وفى رواية قال لى: هات فأخرجت ألواحى فحدثنى بأربعين حديثًا، فقلت: زدنى، قال: حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ قلت: قد رويتها، فجبذ الألواح من يدى ثم قال: حدِّث، فحدثته بها فردها إلىَّ وقال: قم فأنت من أوعية العلم[1].

* * *

(١) القاضى عياض «ترتيب المدارك» (جـ ١، ص: ١٢١، ١٢٢).

قد علمت أن الله
ما رفعك باطلاً!

حكى الزبير عن عمه مصعب وغير واحد أن هارون الرشيد لما حج أتى مالكًا فاستأذن عليه حاجبه ثم أذن له، وفى رواية بعضهم: ثم خرج إليه، فلما دخل قال: يا أبا عبد الله ما حملك على أن أبطأت وقد علمت مكانى، وفى رواية حبستنا على بابك؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن توضأت وعلمت أنك لا تأتى إلا لحديث رسول الله ﷺ فأحببت أن أتأهب له، فقال: قد علمت أن الله ما رفعك باطلاً!. . . وأخذه بيده فمضى إلى قبر النبى ﷺ فقال: أخبرنى عن مكان أبى بكر وعمر من النبى ﷺ فقال: محلهما منه فى حياته كمحلهما منه بعد وفاته.



قمة فى العفو والتسامح

قال العمرى: لما ضُرب مالك - رحمه الله تعالى- ونيلَ منه حُمل مغشيًّا عليه فدخل الناس عليه فأفاق فقال: أُشهدكم أنى جعلت ضاربى فى حِل، فعدناه فى اليوم الثانى فإذا به قد تماثل، قلنا له ما سمعنا منه، وقلنا له: قد نال منك، فقال: تخوفت أن أموت أمس فألقى النبى ﷺ فأستحى منه أن يدخل بعض آله النار بسببى فما كان إلا مدة حتى غضب المنصور الخليفة على ضاربه وضُرب ونيل منه أمر شديد، فبُشر مالك بذلك فقال: سبحان الله! أترون حظنا مما نزل بنا الشماتة به؟! إنا لنرجو من عقوبة الله أكثر من ذلك، ونرجو من عفو الله أكثر من هذا، وقد ضُربت فيما ضُرب فيه محمد ابن المنكدر وربيعة وابن المسيب ولا خير فيمن لا يؤذَى فى هذا الأمر.

هكذا كان حالهم عند ذكر النبى ﷺ

قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذُكر النبى ﷺ عنده تغير لونه وانحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له فى ذلك يومًا، فقال: لو رأيتم لما أنكرتم علىَّ ما ترون، كنت آتى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا تكاد نسأله عن حديث إلا بكى حتى نرحمه. . . ولقد أتى جعفر بن محمد وكان كثير المزاح والتبسم فإذا ذُكر النبى ﷺ عنده اخضرَّ واصفرَّ، ولقد اختلفت إليه زمانًا فما رأيته إلا على ثلاث خصال: إما مصليًا، وإما صائمًا، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

هكذا يكون الأدب مع النبى ﷺ

قال الشافعى: رأيت بباب مالك كراعًا من أفـراس خراسان وبغال مصر فقلت: ما أحسنها! فقال: هى هبة منى إليك، فقلت: دع منها دابة لنفسك تركبها، قال: أنا أستحى من الله أن أطأ تربة نبى الله بحافر دابة.

هكذا يكون تعظيم أهل العلم لحديث رسول الله ﷺ

قال ابن أويس: كان مالك إذا جلس للحـديث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرَّح لحـيته وتمكن فى جلوسه بوقار وهيبـة، ثم حدَّث فقيل له فى ذلك فـقال: أحب أن أُعظِّم حـديث رسول الله ﷺ ولا أُحـدث به إلا على طهارة متمكنًا، وكان يكره أن يحدث فى طريق قائمًا ومستعجلاً وقال: أحب أن أفهم حديث رسول الله ﷺ .

* * *

لدعته عقرب
ولم يقطع حديث رسول الله ﷺ

قال عبد الله بن المبارك: وكنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبًا، قال: إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ.

ترك ركوب الدابة
إجلالاً لرسول الله ﷺ

ولما دخل المهدى المدينة ونزل وجَّه بغلة إلى مالك ليركبها ويأتيه فردَّ البغلة وقال: إنى لأستحى من الله أن أركب فى مدينة فيها جسد رسول الله ﷺ، وأتاه ماشيًا، وكانت به علة فاتكأ على المغيرة المخزومى وعلى ابن حسن العلوى وعلى ابن على اللهلى، وهؤلاء علماء المدينة وأشرافها، فلما بصر به المهدى قال: يا سبحان الله ترك ركوب البغلة إجلالاً لرسول الله ﷺ فقيض له هؤلاء فاتكأ عليهم، والله لو دعوتهم أنا إلى هذا ما أجابونى! فقال المغيرة: يا أمير المؤمنن نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا.

* * *

هكذا كان حالهم مع القرآن

قال المغيرة: خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعة فمررت بمالك بن أنس فإذا أنا به قائم يصلى فلما فرغ من الحمد لله ابتدأ بـ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، حتى بلغ ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، فبكى بكاءً طويلاً، وجعل يرددها ويبكى وشغلنى ما سمعت ورأيت منه عن حاجتى التى خرجت إليها، فلم أزل قائمًا وهو يرددها ويبكى حتى طلع الفجر، فلما تبين له ركع فصرت إلى منزلى فتوضأت فأتيت المسجد فإذا به فى مجلسه والناس حوله فلما أصبح نظرت فإذا أنا بوجهه قد علاه نور حسن.

عليك صيام ثلاثة أيام أيها الأمير

قال يحيى بن كثير: جئت الرشيد فى يمين فجمع العلماء فأجمعوا أن عليه عتق رقبة، وسأل مالكًا فقال: صيام ثلاثة أيام، فقال الرشيد، لِمَ أأنا مُعدم؟! وقد قال الله: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾[1] فأقمتنى مقام المعدم، قال: نعم يا أمير المؤمنين كل ما فى يديك ليس لك فعليك صيام ثلاثة أيام.

* * *

(١) سورة البقرة: آية: (١٩٦).

تجلد أنت

وسأل رجل مالكًا عمن قال لآخر: يا حمار، قال: يُجلد، قال: فإن قال له: يا فرس، قال: تُجلد أنت! ثم قال: يا ضعيف وهل سمعت أحدًا يقول لآخر: يا فرس؟

إنما يأتى الفرج بالذل والانكسار والخشوع لله - جل وعلا -

قال عتيق بن يعقوب: خرجنا مع مالك إلى المصلى يوم عيد ومالك يمشى، وخرج عبد الملك بن صالح أمير المدينة فى سلاح وتعبية ورايات وأعلام فنظر إليهم مالك فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ما هكذا كان النبى ﷺ والخلفاء الراشدون، فبلغ ذلك عبد الملك فأتاه فى المصلى، فقال: يا أبا عبد الله ما الذى أنكرت؟ قال: ما رأيت معك، إنما أتى الناس الصلاة خاشعين يرجون المغفرة ولقد أخبرنى يحيى بن سعيد أن النبى ﷺ دخل عام الفتح مكة فى عشرة آلاف أو اثنى عشر ألفًا وكان راكبًا وحط راحلته وتحته قطيفة قيمتها أربعة دراهم منكس الرأس وهو يقول: «الملك لله الواحد القهار»، وكان يأتى المصلى للعيدين والاستسقاء متوكئًا على عصا أو قوس منكسًا رأسه خاشعًا.

* * *

لو لم أملك من الدنيا إلا ردائى هذا لواسيتهم به

قال هارون الزهرى: سمعت مالكًا يقول: لما قدم هارون الرشيد كنت ممن لقيته فقلت: يا أمير المؤمنين إن لأهل المدينة حقًّا فاستوص بهم خيرًا، فقال: وما حقهم؟ فقلت: هل تعلم أنه لا يُعرف على وجه الأرض قبر نبى غير نبيك محمد ﷺ؟ قال: لا، قلت: فلو أن أهل المدينة خرجوا عنها وجب عليك أن تجيء بمن يسكنها ويجاور قبره، وتجرى عليه الرزق؟ فقال لى: لو لم أملك من الدنيا إلا ردائى هذا لواسيتهم به.

فراسة الإمام مالك

قال الشافعى: لما سرت إلى المدينة ولقيت مالكًا وسمع كلامى، نظر إلىَّ ساعة وكانت له فراسة ثم قال لى: ما اسمك؟ قلت: محمد، قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصى فإنه سيكون لك شأنٌ من الشأن.



رؤيا عجيبة

قال ابن عـبد الحكم: لما حملت والدة الشـافعى به، رأت كأن المُشـتَرى خرج من فرجها، حتى انقضَّ بمصر، ثم وقع فى كل بلدةٍ منه شظية، فتأوله المعبرون أنها تلد عالمًا، يخص علمه أهل مصر، ثم يتفرق بالبلدان(١).

كان كالشمس للـدنيـا

قال عـبد الله بن أحـمد بن حنبل: قلت لأبى: أى رجل كان الشـافعى، فإنى سـمعـتك تكثر من الدعـاء له؟ قال: يا بنى، كـان كالشمس لـلدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو منهما من عوض(٢).

* * *

(١) السير (جـ١٠، ص: ١٠)، وتاريخ بغداد (جـ٢، ص: ٥٨).
(٢) السير (١٠/ ٤٥).

إن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة

قال محمد بن الفضل البزار: سمعت أبى يقول: حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت معه فى مكان واحد، فلما صليت الصبح دُرت فى مسجد فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة، وكنت أدور مجلسًا مجلسًا طلبًا لأبى عبد الله أحمد بن حنبل حتى وجدته عند شاب أعرابى وعليه ثياب مصبوغة وعلى رأسه جمة مراجمية حتى قعدت عند أحمد بن حنبل فقلت: أبا عبد الله! تركت ابن عيينة وعنده الزهرى وعمرو بن دينار ومن التابعين ما الله به عليم؟ قال: اسكت، فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول ولا يضرك فى دينك ولا فى عقلك ولا فهمك، إن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أفقه فى كتاب الله من هذا الفتى القرشى، قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعى.

* * *

الإخلاص عزيز

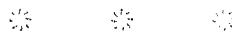
قال الشافعى : ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يُوفَّق ويُسدَّد ويُعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لسانى أو لسانه.

وقال الشافعى للربيع: لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك!

* وقال الربيع بن سليمان: دخلت على الشافعى وهو عليل فسأل عن أصحابنا وقال: يا بنى! لوددت أن الخلق كلهم تعلموا كتبى ولا يُنسب إلىَّ منه شىء؛ وفى رواية: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدونى.

أنت والله فى العلم أكثر منك فى الرمى

قال الشافعى : كانت نهمتى فى شيئين: فى الرمى وفى طلب العلم، فنلت فى الرمى حتى كنت أصيب من العشرة عشرة، . . . وسكتَ عن العلم، فقيل: أنت والله فى العلم أكثر منك فى الرمى[1].



(١) الحلية (٩/ ٧٧) - والسير (١٠/ ١١).

يأكل النصف ويطرح النصف

قال حرملة: سُئل الشافعى عن رجل فى فمه تمرة، فقال: إن أكلتها، فامرأتى طالق، وإن طرحتها فامرأتى طالق، قال: يأكل نصفًا ويطرح النصف(١).

فاستدل بالمخلوق على الخالق

قال المزنى: قلت: إن كان أحد يُخرج ما فى ضميرى وما تعلق به خاطرى من أمر التوحيد فالشافعى، فصرت إليه وهو فى مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه قلت: هجس فى ضميرى مسألة فى التوحيد، فعلمت أن أحدًا لا علم له كعلمك، فما الذى عندك؟ فغضب، ثم قال: أتدرى أين أنت؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذى أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا، قال: تدرى كم نجمًا فى السماء؟ قلت: لا، قال: فكوكب منها: تعرف جنسه، طلوعه، أُفوله، مم خُلق؟ قلت: لا، قال: فشىء تراه بعينك من الخلق لست تعرفه تتكلم فى علم خالقه؟! ثم سألنى عن مسألة فى الوضوء، فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه فلم أصب فى شىء منه، فقال: شىء تحتاج إليه فى اليوم

---

(١) الحلية (٩/ ١٤٣).

خمس مـرات، تدع علمه، وتتكلف علم الخـالق، إذا هجس فى ضمـيرك ذلك، فـارجع إلى الله وإلى قـوله تعـالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[1] فاسـتدل بالمخلوق على الخالق ولا تتـكلف علم ما لم يبلُغْهُ عقلك، قال: فثبتُّ[2].

من أعجب مواقف الإمام الشافعى (رحمه الله)

قال مـحمد بن العـباس: سمـعت إبراهيم بن بريه يقول -وكان جليـسًا للشافـعى-: دخلت مع الشافـعى حمـامًا وخرجت قـبله، وكان الشـافعى طوالاً جسـيمًـا نبيلاً. وكـان إبراهيم جسـيمًا طويلاً. فلبس إبـراهيم ثياب الشـافعى ولبس الشـافـعى ثياب إبراهيم، والشـافـعى لا يعلم أنها ثيـاب إبراهيم، وإبراهيم لا يعلم أنها ثياب الشافعى، فانصرف الشافعى إلى منزله فنظر فـإذا هى لإبراهيم، فأمـر بها فـطُويت وبُخِّرت وجُـعلت فى منديل، ونظر إبراهيم فطواها وجعلها فى منـديل ثم راحا جميعًا، فجـعل الشافعى ينظر إلى إبراهيم ويبـتسم إليـه، قال إبراهيم: أصلحك الله! هذه ثـيابك. فقـال الشافـعى: وهذه ثيابك، والله لا يـعود إلىَّ منهـا شىء ولا يلبسـها غيرك. فأخذهما إبراهيم جميعًا.

* * *

(١) سورة البقرة: آية: (١٦٣).

(٢) السير (١٠/ ٣٢).

الإيمان قولٌ وعملٌ

قال الربيع: سأل رجل من أهل بلخ الشافعى عن الإيمان، فقال للرجل: فما تقول أنت فيه؟ قال: أقول: إن الإيمان قول، قال: ومن أين قلت؟ قال: من قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(١) فصار الواو فصلاً بين الإيمان والعمل فالإيمان قول والأعمال شرائعه، فقال الشافعى: وعندك الواو فصل؟ قال: نعم، قال فإذًا كنت تعبد إلهين إلهًا فى المشرق وإلهًا فى المغرب لأن الله تعالى يقول: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾(٢) غضب الرجل وقال: سبحان الله!! أجعلتنى وثنيًّا؟ فقال الشافعى: بل أنت جعلت نفسك كذلك، قال: كيف؟ قال: بزعمك أن الواو فصل، فقال الرجل: فإنى أستغفر الله مما قلت، بل لا أعبد إلا ربًّا واحدًا، ولا أقول بعد اليوم إن الواو فصل، بل أقول: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

قال الربيع: فأنفق على باب الشافعى مالاً عظيمًا وجمع كتب الشافعى وخرج من مصر سُنِّيًّا.

* * *

(١) سورة مريم: آية: (٩٦).

(٢) سورة الرحمن: آية: (١٧).

نعمة البذل والإيثار

قال المزنى: ما رأيت رجلاً أكرم من الشافعى، خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره فى مسألة حتى أتيت باب داره، فأتاه غلام بكيس فقال: مولاى يُقرئك السلام ويقول لك: خذ هذا الكيس. فأخذه منه وأدخله فى كمه فأتاه رجل من الحلقة، فقال: يا أبا عبد الله! ولدت امرأتى الساعة ولا شىء عندى. فدفع إليه الكيس وصعد وليس معه شىء.

فتركنا بدعتنا واتبعناه

قال أبو ثور: لما ورد الشافعى العراق جاءنى حسين الكرابيسى - وكان يختلف معى إلى أصحاب الرأى- فقال: قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه: فقم بنا نسخر به، فذهبنا حتى دخلنا عليه، فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعى يقول: قال الله وقال الرسول ﷺ حتى أظلم علينا البيت، فتركنا بدعتنا واتبعناه.

* * *

هكذا كان زهدهم في الدنيا

قال عبد الله بن محمد: أمر الرشيد للشافعى بألف دينار فقبلها، فأمر الرشيد خادمه سراج باتباعه، فما زال يفرقها قبضة قبضة حتى انتهى إلى خارج الدار وما معه إلا قبضة واحدة، فدفعها إلى غلامه وقال: انتفع بها. فأخبر سراج بذلك الرشيد فقال: فرغ همه وقوى متنه.

هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة

قال الزعفراني: سمعنا الشافعى يقول: حكمى فى أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد ويُحملوا على الإبل ويُطاف بهم على العشائر يُنادَى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

* * *

عليك بتقوى الله

قال الربيع: قال الشافعى: يا ربيع! رضا الناس غاية لا تُدرَك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أن من تعلم القرآن جلَّ فى عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جلَّ رأيه، من تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يضر نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى.

وصية الإمام الشافعى لمؤدب الأمراء

قال نهشل بن كثير: أُدخل الشافعى يومًا إلى بعض حُجَر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين، ومعه سراج الخادم، فأقعده عند أبى عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، فقال سراج للشافعى: يا أبا عبد الله! هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم، فأقبل الشافعى على أبى عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تركته، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم رَوِّهم من الشعر أَعفَّه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه، فإن ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم.

* * *

هكذا تكون الأخوة الصادقة

قال يونس بن عبد الأعلى: قال لى الشافعى ذات يوم: يا يونس إذا بُلِّغت عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بالشك، ولكن ألقه وقل له: بلغنى عنك كذا وكذا، وأجدر أن تسمى المُبلِّغ، فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر، ولا يزيدن على ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك فرأيت له فى ذلك وجهًا بعذر فاقبل منه، وإن لم يرد ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغنى عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبله، وإن لم يذكر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة أتاها، ثم أنت فى ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أبلغ للتقوى وأبلغ فى الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾(١) فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك ولا تبخس باقى إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه، وقد كان الرجل الصالح يقول: رحم الله من كافأنى على إساءتى من غير أن يزيد ولا يبخس حقًّا لى، يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب، ومفارقته سهل وقد كان الرجل الصالح يُشبِّه سهولة مفارقة الصديق بصبى يطرح فى البئر حجرًا عظيمًا فيسهل طرحه عليه ويصعب إخراجه على الرجال فهذه وصيتى لك.. والسلام.

* * *

(١) سورة الشورى: آية (٤٠).

نصيحة غالية

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط، . . . رضا الناس غاية لا تُدرَك، وليس إلى السلامة منهم سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه(١).

حسن الظن بالناس

قال الربيع: مرض الشافعي فدخلت فقلت: يا أبا عبد الله! قوَّى الله ضعفك، فقال: يا أبا محمد لو قوى الله ضعفي على قوتي أهلكني، قلت: يا أبا عبد الله! ما أردت إلا الخير، فقال: لو دعوت الله عليَّ لعلمت أنك لم تُرد إلا الخير.

* * *

(١) السير (١٠/٨٩).

ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق فى مسألة؟

قال يونس الصدفى: ما رأيت أعقل من الشافعى، ناظرته يومًا فى مسألة ثم افترقنا ولقينى فأخذ بيدى، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق على مسألة(١).

كلمات الشافعى فى مرض الموت

قال المزنى: دخلت على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت: يا أبا عبد الله كيف أصبحت؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخوانى مفارقًا، ولسوء عملى ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدرى روحى تصير إلى جنة فأهنيها أو إلى نار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت رجائى دون عفوك سُلَّما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منةً وتكرما
فإن تنتقم منى فلست بآيس
ولو دخلت نفسى بجرمى جهنما

---

(١) السير (١٠/١٦).

ولولاك لم يُغو بإبليس عابد
فكيف وقد أغوى صفيَّك آدما
وإنى لآتى الذنب أعرف قدره
وأعلم أن الله يعفو ترحما(١)

كأن ليس فى الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما!!!

قال جعفر بن محمد الطيالسى: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة، فقام قاصٌّ فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، خلق الله من كل كلمة طيرًا، منقاره من ذهب وريشه من مرجان» وأخذ فى قصة من نحو عشرين ورقة، وجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد فقال: أنت حدثته بهذا؟ فيقول: والله ما سمعت به إلا الساعة. فسكتا حتى فرغ وأخذ قطاعه، فقال له يحيى بيده، أن تعال. فجاء متوهمًا لنوالٍ، فقال: مَن حدثك بهذا؟ فقال: أحمد وابن معين. فقال: أنا يحيى وهذا أحمد، ما سمعنا بهذا قط، فإن كان ولابد الكذب فعلى غيرنا.

فقال: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم. قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما علمت إلا الساعة. كأن ليس فى الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما. كتبتُ عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن

---

(١) المناقب (٢/ ١١١).

معين غيركما، فوضع أحمد كمه على وجهه وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما(١).

لو قبلت من الناس شيئًا لقبلتُ منك؟!

ذكر عبد الرزاق الصنعانى أحمد بن حنبل فدمعت عيناه ثم قال: قدم علينا فأقام ها هنا سنتين إلا شيئًا، وبلغنى أن نفقته نفدت، فأخذت بيده، فأقمته خلف الباب وما معى ومعه أحد، فقلت إنه لا يجتمع عندنا الدنانير، وإذا بعنا الغلَّة شغلناها فى شىء، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها، فأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ عندنا شىء، قال: قال لى أحمد: يا أبا بكر لو قبلت من الناس قبلت منك!(٢).

قصة سرقة ثياب الإمام أحمد

قال ابن كثير: سُرقت ثياب الإمام أحمد وهو باليمن، فجلس فى بيته وردَّ عليه الباب وفقده أصحابه، فجاءوا إليه فسألوه فأخبرهم، فعرضوا عليه ذهبًا فلم يقبله ولم يأخذ منهم إلا دينارًا واحدًا ليكتب لهم به، فكتب لهم بالأجر رحمه الله(٣)، فنسخ لهم من الكتب أجرة لما أخذ الدينار.

* * *

(١) السير (١١/ ٣٠١).

(٢) ابن أبى يعلى الحنبلى: «طبقات الحنابلة» (جـ١، ص: ٢٠٩).

(٣) ابن كثير: «البداية والنهاية» (جـ ١٠، ص: ٣٢٩).

رحمة الله على هؤلاء الأئمة الأعلام

قال الهلال بن العلاء: خرج الشافعى ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة فلما أن صاروا بمكة، نزلوا فى موضع، فأما الشافعى فإنه استلقى، ويحيى بن معين أيضًا استلقى، وأحمد بن حنبل قائم يصلى، فلما أصبحوا قال الشافعى: لقد عملت للمسلمين مائتى مسألة، وقيل ليحيى بن معين: ماذا فعلت؟ قال: نفيت عن النبى ﷺ مائتى كذاب، وقيل لأحمد بن حنبل: فأنت؟ قال: صليت ركعات ختمت فيها القرآن(١).

لو كان الناس يُحسنون فى السؤال ما حرَمنا أحدًا

قال الشافعى: وقف أعرابى على عبد الملك بن مروان فسلم ثم قال: رحمك الله، مرت بنا سنون ثلاث، أما إحداها فأهلكت المواشى، وأما الثانية فأنضبت اللحم، وأما الثالثة فخلصت إلى العظم، وعندك مال، فإن كان لله فأعط عباد الله، وإن كان لك فتصدق فإن الله يجزى المتصدقين. فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: لو كان الناس يُحسنون يسألون هكذا ما حرَمنا أحدًا.

* * *

(١) ابن الجوزى: «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٥٧، ٣٥٨).

أبى أن يعطيه دينارًا ثم أعطاه ألفى دينار

عن الحسن بن محمد الأنبارى الكاتب، قال: كان لى أيام مقامى بأرجان جار تاجر، يُعرف بجعفر بن محمد، وكنت آنس به، فحدثنى، قال: كنت أحج دائمًا، وأنزل على رجل علوى، حسينى فقير، مستور، فألطفه، وأتفقده.

فتأخرت عن الحج سنة، ثم عاودت، فوجدته مثريًّا، فسُررت، وسألته عن سبب ذلك.

فقال: كان قد اجتمع معى دريهمات على وجه الدهر، ففكرت، عام أول، فى أن أتزوج، فإنى كنت عزبًا، كما قد علمت.

ثم علمت أن فرض الحج قد تعين علىَّ، فرأيت أن أُقدِّم أداء الفرض، وأتوكل على الله عز وجل، فى أن يسهل لى -بعد ذلك- ما أتزوج به.

فلما حججت، طفت طواف الدخول، وأودعت رحلى، وما كان معى، فى بيت من خان، وأقفلت بابه، وخرجت إلى منى.

فلما عدت، وجدت البيت مفتوحًا، فارغًا، فتحيرت، ونزلت بى شدة ما مر بى قط مثلها.

فقلت هذا أعظم للثواب، فما وجه الغم، فاستسلمت لأمر الله عز وجل.

فجلست فى البيت، لا حيلة لى، ولا تسمح نفسى بالمسألة، فاتصل مقامى ثلاثة أيام، ما طعمت فيها شيئًا.

فلما كان فى اليوم الرابع، بدأ فى الضعف سَحَرًا، وخفت على نفسى،

وذكرت قول جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ماء زمزم لما شُرب له**»، فخرجت أريدها حتى شربت منها، ورجعت أريد باب إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لأستريح فيه.

فبينا أنا أسير، إذ عثرت فى الطريق بشىء أوجع إصبعى، فأكببت عليه لأمسكه، فوقعت يدى على هميان أدم أحمر كبير، فأخذته فلما حصل فى يدى، ندمت، وعلمت أن اللَّقطَة -ما لم تُعرَّف- حرام.

وقلت: إن تركته الآن، كنت أنا المضيع له، وقد لزمنى أن أُعرفه، ولعل صاحبه، إذا رجع إليه، أن يهب لى شيئًا أقتاته حلالاً.

فجئت إلى بيتى، وفتحت الهميان، فإذا فيه دنانير صُفر، تزيد على ألفى دينار.

فسددته، ورجعت إلى المسجد، فجلست عند الحجر، وناديت: من ضاع له شىء، فيأتينى بعلامته، ويأخذه.

فانقضى يومى، وأنا أنادى، وما جاءنى أحد، وأنا على حالى من الجوع.

وبتُّ فى بيتى، ليلتى كذلك، وعدت إلى الصفا والمروة، فعرَّفته عندهما يومى، حتى كان ينقضى، فلم يأتنى أحد.

فضعفت ضعفًا شديدًا، وخشيت على نفسى، فرجعت متحاملاً، ثقيلاً، حتى جلست على باب إبراهيم الخليل، على نبينا وعليه السلام، وقلت قبل انصرافى: إنى قد ضعفت عن الصياح وأنا ماض أجلس على باب إبراهيم، فمن رأيتموه يطلب شيئًا ضاع منه، فأرشدوه إلىَّ.

فلما قرب المغرب، وأنا فى الموضع، إذا أنا بخراسانى ينشد ضالة، فصحت به، وقلت له: صِف لى ما ضاع منك، فأعطانى صفة الهميان بعينه، وذكر وزن الدنانير وعددها.

فقلت: إن أرشدتك إلى من يرده عليك، تعطينى منه مائة دينار؟

قال: لا.

قلت: فخمسين ديناراً؟ قال: لا.

قلت: فعشرة دنانير؟ قال: لا.

فلم أزل أنزل معه، حتى بلغت إلى دينار واحد.

فقال: لا، إن رأى من هو عنده، أن يرده إيمانا واحتسابًا، وإلا فهو أبصر، وولى لينصرف.

فورد عليّ أعظم وارد، وهممت بالسكوت، ثم خفت الله سبحانه وتعالى، وأشفقت أن يفوتنى الخراسانى.

فصحت به، ارجع، ارجع، وأخرجت الهميان، فدفعته إليه، فأخذه، ومضى، وجلست، ليس لى قوة على المشى إلى بيتى.

فما غاب عنى إلا قليلاً، حتى عاد، فقال لى: من أى البلاد أنت، ومن أى الناس؟

قال: فاغتظت منه غيظًا شديدًا، وقلت: ما عليك، هل بقى لك عندى شيء؟ قال: لا، ولكنى أسألك بالله العظيم، من أى الناس والبلاد أنت؟ فعرفنى، ولا تضجر.

فقلت: رجل من العرب، من أهل الكوفة.

فقال: من أيهم أنت، واختصر؟ فقلت: رجل من ولد الحسين بن على ابن أبى طالب ﷺ.

فقال: ما حالك ومالك؟ قلت: لا أملك فى هذه الدنيا كلها إلا ما تراه، وقصصت عليه حال محنتى وما كنت طمعت فيه أن يعطينيه من الهميان، وما قد انتهيت إليه من الضعف من الجوع.

فقال: أريد من يعرفنى صحة نسبك وحالك، حتى أقوم بجميع أمرك كله.

فقلت: ما أقدر على المشى للضعف، ولكن ائت الطواف، وصِح بالكوفيين، وقل: رجل من بلدكم، علوى، بباب إبراهيم، يريد أن يجيئه منكم من ينشط لحال هو فيها، فمن جاء معك فهاته.

فغاب غير بعيد، ثم جاء ومعه من الكوفيين جماعة اتفق أنهم كلهم كانوا يعرفون باطن حالى.

فقالوا: ما تريد أيها الشريف؟ فقلت: هذا رجل يريد أن يعرف حالى، ونسبى، لشىء بينى وبينه، فعرِّفوه ما تعرفون من ذلك.

قال: فعرفوه صحة نسبى، ووصفوا له طريقتى، وعدمى.

فمضى، وجاء فأخرج الهميان بعينه، كما سلمته إليه، فقال: خذ هذا بأسره، بارك الله لك فيه.

فقلت: يا هذا، ما كفاك ما عاملتنى به، حتى تهزأ بى، وأنا فى حال الموت.

قال: معاذ الله، هو لك، والله.

فقلت: فلِمَ بخلت علىَّ بدينار منه، ثم وهبت لى الجميع؟ فقال: ليس الهميان لى، وما كان يجوز لى أن أعطيك منه شيئًا، قلَّ أو كثر، وإنما أعطانيه رجل من بلدى، وسألنى أن أطلب فى العراق، أو فى الحجاز، رجلاً علويًّا، حسينيًّا، فقيرًا، مستورًا، فإذا علمت هذا من حاله، أغنيته، بأن أُسلم إليه هذا المال كله، ليصير أصلاً لنعمة تنعقد له، فلم تجتمع لى هذه الصفات قبلك فى أحد، فلما اجتمعت فيك، بما شاهدته من أمانتك، وفقرك، وعفتك، وصبرك، وصح عندى نسبك، أعطيتكه.

فقلت له: يرحمك الله، إن كنت تحب استكمال الأجر، فخذ منه دينارًا، وابتع لى به دراهم، واشترِ بها ما آكله، وصر به إلىَّ الساعة ها هنا.

فقال: لى إليك حاجة.

قلت: قل.

قال: أنا رجل موسر، والذى أعطيتك ليس لى فيه شىء، كما عرفتك، وأنا أسألك أن تقوم معى إلى رحلى، فتكون فى ضيافتى إلى الكوفة، وتتوفر عليك دنانيرك.

فقلت: ما فىَّ حركة، فاحتمل فى حملى، كيف شئت.

فغاب عنى ساعة، وجاء بمركوب، وأركبنيه إلى رحله، وأطعمنى فى الحال ما كان عنده، وقطع لى من الغد ثيابًا وكان يخدمنى بنفسه، وعادلنى فى عماريته إلى الكوفة، فلما بلغتها، أعطانى من عنده دنانير أُخَر، وقال لى: تزود بها بضاعة.... وفارقته، وأنا أدعو له، وأشكره، ولم أمس الهميان.

وأخذت أنفق من الدنانير التى أعطانيها الرجل، باقتصاد، إلى أن اتفقت لى ضيعة رخيصة، فابتعتها بالهميان، فأغلت، وأثمرت، وأنا، من الله عز وجل فى نعمة جزيلة، وخير كثير، والحمد لله على ذلك[1].



(١) مختصر الفرج بعد الشدة / للإمام التنوخى (ص ٣٠٠ - ٣٠٣).

موت على الطريق

من المعلوم أن كل إنسان يرى السعادة فى شىء ما... فمنهم من يرى أن السعادة فى جمع المال.. ومنهم من يراها فى الحصول على أعلى الشهادات وارتقاء أعلى المناصب... ومنهم من يراها فى فعل الفواحش... ومنهم من يراها فى شرب الخمور وإدمان المخدرات.. ومع ذلك لم يجدوا السعادة لأن الله -عز وجل- قال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾(١).

فالسعادة الحقيقية لا تكون إلا فى ظل الإيمان والتوحيد... قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

المهم أن مشكلة البحث عن السعادة هى التى قادت ثلاثة من الشباب إلى أن يذهبوا من جدة إلى المدينة المنورة فى العشر الأواخر من رمضان ولكن يا تُرى هل ذهبوا إلى المدينة ليلتمسوا ليلة القدر فى مسجد الرسول ﷺ وليقرؤوا القرآن ويصلوا قيام الليل... كلا بل ذهبوا لإقامة بعض الحفلات الغنائية فى أحد الفنادق... وبعد أن انتهوا من الحفلة الغنائية قبيل صلاة الفجر وإذا بهم يسمعون صوت المؤذن ليُعلن عن بدء يوم جديد من رمضان فأمسك الناس ولم يُمسك هؤلاء الثلاثة بل أفطروا فى رمضان كعادتهم...

(١) سورة طه: الآيات: (١٢٤-١٢٧).
(٢) سورة النحل: الآية: (٩٧).

ولما أرادوا الرجوع إلى جدة قال أحدهم مازحًا: هل نصلى الفجر قبل أن نغادر المدينة؟ قالوا: لا . . . لن نصلى.

وتسير بهم السيارة ولا يدرى هؤلاء المساكين أن ملك الموت فى انتظارهم. . . وتنقلب بهم السيارة فى حادث مُروِّع ويُسفر الحادث عن موت اثنين بعد أن جاءوا من الحفل الغنائى ولم يُصلوا ولم يصوموا وقالوا بصراحة: لن نصلى. . . ونجا الثالث بفضل الله -جل وعلا- وكان هذا الحادث سبب توبته.

فأسأل الله -جل وعلا- أن يتوب على كل شباب وبنات المسلمين.

يسقط ميتًا وهو يغنى

يقول أحدهم: كنت البارحة فى حفل زواج وإذا بالناس قد اجتمعوا فى صالة مغلقة واختلط فيها النساء بالرجال بملابس شبه عارية وبدأ الحفل وصعد المطرب على خشبة المسرح وأخذ يغنى وبعد أن انتهى من فقرته الغنائية وإذا بأحد الحاضرين- وقد كان مطربًا- يطلب منه الناس أن يقوم ليغنى فقال لهم: لقد اعتزلت الغناء فأقسموا عليه أن يقوم ليغنى فما كان منه إلا أن أخذ العود وصعد على المسرح وبدأ يغنى والناس يصفقون. . . وبعد أن انتهى من الأغنية الأولى طلب منه الناس أن يغنى أغنية ثانية. . وبدأ يغنى . . . وفجأة توقف عن العزف وسقط العود من بين يديه ثم سقط على خشبة المسرح ففزع الناس وصعدوا على خشبة المسرح وأخذوا يحركونه ولكنهم وجدوه ميتًا. . . ومن مات على شيء بُعث عليه.

نسأل الله -جل وعلا- أن يرزقنا حسن الخاتمة.

* * *

يذبح طفله بسبب المخدرات

وها هو رجل شرب المخدرات حتى أدمنها. . . وذلك كله بسبب أصدقاء السوء. . . وكان كل يوم يدخل على زوجته فيسبها ويشتمها ويضربها. . . وفى يوم من الأيام عاد إلى البيت بعد شربه للمخدرات وإذا به يجد زوجته تُرضع طفله الرضيع فلما بكى الطفل قال لها زوجها: أَسكتى الطفل فحاولت الأم إسكات طفلها ولكنه لم يسكت.

فقال لها زوجها المدمن: إن لم تُسكتى الطفل سأقتله. . . فحاولت أكثر من مرة أن تُسكته ولكنه لم يسكت وإذا بالزوج المدمن يقوم وينتزع الطفل من على ثديها وهو يرضع ويذهب به إلى المطبخ ليُحضر سكينًا فصرخت الزوجة ونادت على الجيران: أدركونى. . . سيقتل الطفل. . . أدركونى سيقتل الطفل. . . ويأتى الناس وهم فى غاية الفزع ليشاهدوا أبشع جريمة أمام أعينهم. . . لقد دخلوا بعد أن قطع الزوج المدمن رقبة طفله الرضيع وهو يضحك كالمجنون.

وها هو الآن يقضى بقية حياته بين جدران السجون. . وكل ذلك بسبب المخدرات. . . وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

نعوذ بالله من سوء الخاتمة

في إحدى العمارات كان الناس يخرجون ويرجعون كالعادة إلى مصالحهم وأعمالهم... ولكنهم ذات يوم بدؤوا يشمون في أحد الطوابق رائحة منتنة ولا يعرفون مصدرها... وبدأت الرائحة تزداد يومًا بعد يوم إلى أن قرر سكان العمارة أن يعرفوا مصدر الرائحة وإذا بها تنبعث من إحدى الشقق فطرقوا الباب فلم يرد أحد فاتصلوا بالشرطة فجاءت سيارة الشرطة وصعد الضابط والجنود وطرقوا الباب فلم يرد أحد فكسروا الباب... وإذا بالمفاجأة التي كادت أن تُذهب العقول.

لقد وجدوا رجلاً كبيرًا قد تجاوز الستين من عمره ميتًا وقد انتفخ بطنه وارتفعت قوائمه وهو عريان كما ولدته أمه وليست هذه هي المفاجأة... إنما كانت المفاجأة أن هذا الرجل كان يُمسك بيده ريموت الدش وقد أوقد الدش والتلفاز على قناة جنسية فاضحة ليشاهد المشاهد الخليعة ولم يعلم أن ملك الموت في انتظاره... وبينما هو على تلك الحالة وإذا بملك الموت يقبض روحه ويظل الدش مفتوحًا على نفس القناة إلى تلك اللحظة.

فيا من وقعتم في براثن الأفلام الإباحية ألا تخافون أن يُختم لكم بنفس الخاتمة وأن يقبض ملك الموت أرواحكم وأنتم على ذلك؟!!

ألا فلنتب إلى الله جميعًا ولنحرص كل الحرص على البعد عن معصيته -جل وعلا-.

* * *

قوا أنفسكم وأهليكم نارًا

جلس رجل الأعمال المليونير الكبير فى شرفة فندق الأوراس المطل على البحر المتوسط بالجزائر وظل يتفكر فى حياته، لقد قضى حياته كلها باندفاع بحثًا عن المال والصفقات فى كل أنحاء العالم حتى أصبح مليونيرًا... وهو يذكر جيدًا أن الليالى التى قضاها من عمره فى فنادق العالم أضعاف الليالى التى قضاها فى بيته... وتذكر المليونير أسرته... زوجته الصغيرة الجميلة، وابنه الذى سيأخذ الشعلة منه، ويدير شركاته وأعماله، وأخذ رجل الأعمال يتذكر فى أى سنة دراسية يكون ابنه، فلم يعرف، كل الذى يدريه أن ابنه بكلية الهندسة... وأثناء هذه الأحلام... دق جرس التليفون فى غرفته... وكانت المكالمة من القاهرة... والمتحدث على غير العادة شقيقه:

قال له: احضر فورًا... زوجتك تحتضر...

فقال المليونير: انقلها فورًا بالطائرة إلى أوربا... أريد أن تعيش... وبكى رجل الأعمال لأول مرة فلقد تبخرت آماله فى لحظة... ولكنه سيضع كل ثروته مقابل أن تعيش زوجته...

وفى مطار القاهرة كان شقيقه الأكبر فى انتظاره لم يكن قد رآه منذ سنوات فلقد كان مشغولاً حتى عن زيارته لشقيقه الوحيد... فلما سلم عليه قال له: تماسك لقد ماتت متأثرة بجراحها... وبكى... بكى طويلاً... ووسط دموعه سأل شقيقه: كيف ماتت... وأين هى؟...
قال: فى المشرحة...

قال الزوج: المشرحة؟!! قال: نعم، والجنازة غداً.. أجَّلناها حتى تكون من مودعيها.. قال رجل الأعمال: وأين ابنى؟ قال: لم يتمكن من الحضور -حزين عليها- طبعًا، وساد صمت رهيب، رجل الأعمال شارد فى ماضيه شريط طويل من الذكريات معها، كانت معه كالنسيم واتجه شقيقه بالسيارة فى اتجاه غير اتجاه قصر رجل الأعمال فقال له: إلى أين؟ فقال الأخ إلى بيتى أولاً... قال: لماذا؟ هل تُخفى شيئًا؟ قال شقيقه: لا، ولكن أرجوك لا تعارضنى وبكى شقيقه، ودخل الشقيقان فى غرفة الصالون وأُغلق عليهما الباب.. فقال رجل الأعمال: أشعر أن هناك أمرًا أعظم من الموت فقال شقيقه: المأساة قاسية.. لا تُصدَّق.. لقد اتصل بى ضابط الشرطة وطلب منى الحضور للقسم فورًا.. وذهبت فوجدت ابنك ممزق الثياب وعلى ملابسه بقع من الدماء.. وفى حالة ذهول يجلس على الأرض وكاد قلبى يتوقف وسألت.. ماذا جرى؟.. فنظر إلىّ ابنك وارتمى على صدرى وظل يبكى ويبكى ثم سألت الضابط، فقال لى جملة سقطت بعدها فاقد الوعى. قال: البيه المدمن قتل أمه! وصرخ رجل الأعمال وهو يستمع إلى شقيقه.. وقال بكلمات صادرة من قلب مكسور.. آه.. لقد انتهت حياتى.

وبدأ الأب فى متابعة سماع المأساة.. إن ابنه الوحيد طعن أمه بسكين المطبخ حتى ماتت ثم ذهب إلى قسم الشرطة وقال جملتين فقط: أنا فلان ابن فلان.. قتلت أمى بهذا السكين.. ورفض أن يتكلم بعدها.. كما رفض الإجابة على أى سؤال.. وفتشوه فوجدوا تذكرة هيروين وأمرت النيابة بتشريح الجثة ثم صرحت بدفنها.. هذه هى المأساة.

قال رجل الأعمال: لماذا قتلها؟ قال شقيقه: لا أحد يعرف حتى الآن، وانتهت مراسم الجنازة وودع الرجل زوجه حتى القبر، وخلال ذلك فشلت الصحافة والشرطة والنيابة فى معرفة الدافع لهذه الجريمة التى فاقت كل حد.

وحللت إحدى الصحف الجريمة فقالت: «هذا الشاب يرفض الحديث، هو لا شك مدمن هيروين حيث عُثر معه على كمية ضئيلة منه وكان فى حاجة إلى مال، فطلبه من والدته الثرية زوجة المليونير فرفضت فهددها بالسكين فلم تتصور - وهى الأم- أن يرفع ابنها السكين عليها، فأصرت على الرفض فنفذ تهديده وقتل أمه.. وعندما سلم نفسه إلى الشرطة كان فى حالة وعى من هول المأساة فشعر بالندم فسكت انتظارًا لحبل المشنقة.. هذا تصورنا للحادث الذى هز المجتمع وكثرت تفسيراته أمام صمت الشاب القاتل الذى فُصل من كلية الهندسة حيث عاش أسير الهيروين.... قرأ المليونير هذه المقالة فى الصباح قبل أن يذهب إلى ابنه وسأل نفسه: أين كنت يا رجل الأعمال؟ ابنك كان مفصولاً من الكلية وأنت لا تدرى؟.. ابنك أدمن الهيروين وأنت لا تدرى؟.. ليت هذه الأموال التى جمعتها تضيع كلها وتعود لى أسرتى.. وذهب الرجل إلى ولده... وكان لقاءً مؤثرًا بين الوالد وابنه.. بعد أن أغلق الحارس الباب عليهما وساد صمت قطعه الابن حين ارتمى فى أحضان أبيه قائلاً: أرجوك ضمنى إلى صدرك بشدة أكثر.. أحتاج إلى هذا.. محروم منه.. ما أقسى الحياة.. آسف لم أكن فى وعيى، عاد لى الوعى عندما خرجت نافورة الدم الأولى من جسد أمى.. أبدًا لم تكن تستحق هذا.. دعنى لأبكى على صدرك، فلم أكن أعرف الدموع.. ورجل الأعمال لا يدرى ماذا يقول: هل يتعاطف مع ابنه الذى قتل شريكة حياته؟ لقد أحدث هذا الموقف خللاً فى مشاعره... بل زلزالاً فى هذه المشاعر.

وبدأ الشاب يروى لوالده: لقد عرفت الهيروين للتسلية والجنس ولكنه قتل فىَّ كل شىء.. الطموح والخُلق، ودفعنى وأصحابى من المدمنين إلى الجريمة.. سرقنا... كم سرقت من أمى؟ وكم هى اتهمت الشغالة؟.. حتى عرفت أننى أتعاطى الهيروين وهددتنى بأنها سوف تبلغك إن لم

أتوقف، فادعيت لها أننى توقفت... ولكن كل تصرفاتى تفضحنى وزادت حاجتى للمال لشراء الهيروين وطلبت منى أمى أن أدخل إحدى المصحات للعلاج فرفضت، وبندم شديد قال: حتى كان يوم الجريمة، كنت فى حاجة ماسة إلى مال لأشترى هيروين، وطلبت منها ألف جنيه وأخبرتها أننى صدمت سيارة بسيارتى ولكنها رفضت وإذا بالحاجة إلى الهيروين تدفع إلى رأسى بفكرة جنونية، هددتها بأنها إذا لم تدفع لى الألف جنيه فسأخبرك بأنها على علاقة برجل... فصفعتنى وبصقت فى وجهى... وإذا بهذه الفكرة الجنونية الكاذبة تتحول إلى شبه واقع أمامى وأن أمى حقًّا على علاقة برجل آخر، هكذا صور لى الهيروين الوهم حقيقة وتضخمت الأمور أمامى.. وتصورت ما يحدث بين العشيق وعشيقته، والعشيقة هنا أمى.

إذًا هذه المرة يجب أن تموت.. وأسرعت إلى المطبخ.. وجئت بالسكين وطلبت الألف جنيه من هذه الخائنة فرفضت فكانت الجريمة البشعة.. وماتت أشرف امرأة فى الوجود.. وما أن انتهى الشاب من سرد روايته إلى والده إذ بأبيه يخرج من الغرفة دون كلام أو وداع ونادى الولد على والده، فلم يرد الوالد، ثم نادى مرة.. ومرة.. ومرة.. قائلاً: أنت السبب. أنت السبب وظل الشاب المدمن يقول: إن والده هو السبب وهو الذى دفعه لكل هذا لعدم رعايته له... الشاب لم يُقدَّم للمحاكمة لقد فقد البقية الباقية من عقله.. تم إيداعه مستشفى الأمراض العقلية.. وهو يقول لكل من يقابله: أنت السبب وأمى أشرف امرأة فى الدنيا.. أمى أشرف امرأة فى الدنيا...

فى حى الدقى يوجد مسجد فى ميدانه عندما تدخله لتأدية الصلاة ستجد بداخله رجلاً يرتدى جلبابًا أبيض ويضع أمامه كتاب الله يقرأ فيه وعندما ينتهى من التلاوة يرفع كفيه إلى السماء: اللهم اغفر لى وسامحنى يا رب العالمين، هذا الرجل هو نفسه رجل الأعمال.. الذى تبرع بكل ما يملك

لإدارة مكافحة المخدرات. . . وأخذ من بيت الله مكانًا كى يرحمه. . . وعندما تؤدى الصلاة بجواره سيصافحك بحرارة ويطلب منك بلطف وأدب أن تعطيه من وقتك القليل وسوف يروى لك هذه القصة بكل تفاصيلها وسيبكى كثيرًا وهو يسرد القصة ثم سيطرح عليك سؤالاً محيرًا؟ من المسئول عن كل هذا؟ من؟ من؟ (١)

نهاية مأساوية للعشق المحرم(٢)

كان عادل يتربع على قمة الميوعة والتخنث والتهتك، فما عاد يفكر بعقله بل جُلّ تفكيره منحصر فى ملذاته وشهواته، وعن طريق الهاتف وجد صيدًا ثمينًا، إنها رباب الطالبة الجامعية التى استسلمت لكلماته الرقيقة وعباراته المعسولة فآمنت رباب بحبه، ولم تقف على خفايا قلبه الذى يُكن الرذيلة، وانقادت لكلامه الجميل الذى يمنيها فيه بعش الزوجية، وتقابلا أكثر من مرة، وكان عادل بدهائه وخبثه يُركبها معه فى سيارته بين الفينة والفينة حتى اطمأنت إليه، وبعد فترة دعاها لمشاهدة عش الزوجية الذى يجهزه لها بعد الزواج، وأخذها فى الصباح من أيام كليتها على أن يعيدها للكلية وقت الظهيرة، ووصل العشيقان إلى مقر الشقة، وصعدت رباب إليها بخطى متقاربة وكأنها نعجة يسوقها الجزار إلى حتفها المحتوم، وجلسا يتبادلان كلمات الحب، فلم تكن رباب ترتوى من معين الإيمان بل كانت خلواء من

(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٥]، وكما قال ﷺ: «احفظ الله يحفظك».

(٢) بتصرف واختصار من «مأساة جمانة» ليوسف العجيلى.

الإيمان، وكان جمالها شؤمًا عليها بعد أن مزقت من وجهها الحياء براثن الإثم ووقعا فى فاحشة الزنا، ومضت دقائق بعد أن حصد عادل زرع الحب الآثم، ثم قال لخليلته: سأخرج لغرض هام وسأعود إليك سريعًا فلا تقلقى، فأمسكت رباب بيده وقالت: لا تتأخر عنى فإنى أريد الرجوع إلى الكلية قبل موعد مجىء والدى فى الظهيرة. . .

وهنا حدث ما لم يتوقعه عادل، حيث ركب سيارته الفخمة وانطلق مسرعًا فاصطدم بسيارة أحد السائقين فى طريقه، وحضر رجال المرور وصرخ أحدهم مخاطبًا عادل، ما هذه السرعة الجنونية، ثم أمر بحجزه فى السجن حتى ينظر فى أمره، وانتظرت رباب حضور عادل كثيرًا، واحتارت فى أمرها وخاصة أن والدها سيأخذها من أمام الكلية ليعيدها معه، فما الحل؟ وهى لا تملك مفتاحًا للشقة المغلقة عليها، وماذا تفعل لو عرف والدها، فلا شك أنه سيمزقها إربًا. . .

وظلت تدور فى أرجاء الشقة تريد مخرجًا، ولم تجد سوى أن تدفن وجهها فى كفيها وتبكى بكاءً مُرًّا، أما عادل فقد استأذن من رجال المرور فى الاتصال ولو لبرهة قصيرة حيث اتصل بصديقه الحميم حامد حيث حكى له ما حصل مع عشيقته وأوصاه بالذهاب سريعًا لإنقاذها، وتوصيلها للكلية قبل أن يعرف والدها ما حدث وتكون مصيبة وفضيحة. . . . وهو لا يعرف أن هذه الفتاة هى أخت حامد!!!.

وكان مع حامد مفتاح لهذه الشقة، حيث كان يشارك عادل فيها لهوه وفجوره، وقرع حامد الباب قرعات خفيفة ثم فتح الباب ودفعه، فرأت رباب من خلف دموعها شقيقها الأكبر حامدًا ماثلاً أمامها فزاغ بصرها وارتعدت من الخوف أمام جحوظ عين شقيقها وذهوله وصراخه: ماذا فعلت يا أيتها البغى الفاجرة بشرفنا وكرامتنا؟، ثم جذبها من شعرها ودفعها بقوة

حتى سقطت على عظام رأسها، فقامت وجثت بين يديه ضارعة متوسلة، والدموع تبلل وجهها وتقول: الرحمة، المغفرة يا حامد، أعاهدك بأنى لن أعود لمثل هذا ما حييت، فرد عليها والدماء محقنة فى وجهه، إن موتك خير لنا من بقائك تذلين جباهنا بعارك يا فاجرة، ورفع السكين وظل يغرسها فى صدرها طعنات متتالية ليقتلها ويقتل حبًّا دنسًا، وهى تصرخ صرخات تفتت الأكباد حتى سقطت جثة هامدة مخضبة بالدماء، وكانت نهاية سيئة للعشق الحرام!!

حقًّا إنها مأساة

هذه قصة مأساة نوردها لكم لعل الغافل ينتبه والعاصى يتعظ، إليكم القصة: شاب ميسور الحال من أسرة كتب الله لها الستر والرزق الطيب والمبارك، يقول: منذ أن نشأنا ونحن نعيش سويًّا يجمعنا بيت كله سعادة وأنس ومحبة، فى البيت أمى وأبى وأم أبى «جدتى» وإخوانى وهم ستة وأنا السابع وأنا الأكبر من الأولاد والثانى فى ترتيب الأبناء فلى أخت اسمها سارة تكبرنى بسنة واحدة فأنا رب البيت الثانى بعد أبى، والكل يعول علىّ كثيرًا، استمريت فى دراستى حتى وصلت للصف الثانى الثانوى وأختى سارة فى الثالث الثانوى، وبقية إخوتى فى طريقنا وعلى دربنا يسيرون، أنا كنت أتمنى أن أكون مهندسًا، وأمى كانت تعارض وتقول بل طيارًا، وأبى فى صفى يريد أن أكون جامعيًّا فى أى تخصص، وأختى سارة تريد أن تكون مدرسة لتعلم الأجيال الدين والأدب... ولكن ويا للأحلام ويا للأمنيات، كم من شخص انقطعت حياته قبل إتمام حلمه، وكم من شخص عجز عن تحقيق حلمه لظروفه، وكم من شخص حقق أحلامه ولكن أن يكون كما كنا

لا أحد مثلنا، انقطعت أحلامنا بما لا يصـدق ولا يتخيله عاقل ولا مجنون، ولا يخطر على بال بشر.

تعـرفت فى مدرسـتى على أصحـاب كالعـسل، وكلامـهم كالعـسل، ومعاملتهم كالعسل، بل وأحلى... صاحبتـهم عدة مرات ورافقتهم بالخفية عن أهلى عدة مـرات، ودراستى مستـمرة، وأحوالى مطمـئنة وعلى أحسن حال وكنت أبذل الجـهد لأربط بين أصحابى وبين دراسـتى واستطعت ذلك فى النصف الأول، وبدأت الأجـازة ويا لهـا من أجازة ولا أعـادها الله من أجازة، وأيام لاحظ أبى أن خروجى من البيت قد كثر وعدم اهتمامى بالبيت قد زاد فلامنى ولامتنى أمى وأختى سارة كانت تدافع عنى لأنها كانت تحبنى كـثيرًا وتخـاف علىَّ من ضـرب أبى القـاسى، إذا ضـرب وإذا غـضب، واستمرت أيام العطلة ولياليها التى لو كنت أعلم ما ستنتهى به لقتلت نفسى بل قطعت جسدى قطعة قطعة ولا استـمريت فيها، ولكن إرادة الله، كنا أنا وأصحابى فى ملحق لمنزل أحد الشلة وقد دعانا لمشاهدة الفيديو وللعب سويًّا فجلسنا من المغرب حتـى الساعة الحادية عشر ليلاً وهو مـوعد عودتى للبيت فى تلك الأيام، ولكن طالبنى صاحب البـيت بالجلوس لنصف ساعة، ومن ثَمَّ نذهب كلنا إلى بيوتنا... أتدرون ما هو ثمن تلك النصف ساعة إنه كان عـمرى وعـمر أبى وعـمر أمـى وعائلتى كلهـا... نعم كلهم كـانت تلك النصف ساعة ثمنًا لحياتنا وثمنًا لنقلنا من السعادة إلى الشقاء الأبدى بل تلك النصف ساعة مهدت لنقلى إلى نار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى أتأسف لكم لأننى خرجت من القصة.

تبرع أحد الأصحاب بإعـداد إبريق من الشاى لنا حتى نقطع به الوقت، فأتى بالشـاى وشربنا منه، ونحن نتـحادث ونتسلى ونتـمازح بكل مـا تعنيه البراءة والطهـر وصفاء النوايـا من كلمة ولكن بعدمـا شربنا بقليل أصـبحنا

نتمايل ونتضاحك ونتقيئ بكل شكل ولون، كلنا نعم كلنا. . . ولا أدرى بما حدث حتى أيقظنا أول من تيقظ منا، فقام صاحب المنزل ولامنا وعاتبنا على ما فعلنا فقمنا ونحن لا ندرى ما حدث ولماذا حدث وكيف حدث، فعاتبنا من أعد لنا الشاى فقال: إنها مزحة مازحنا بها فنظفنا أجسامنا ونظفنا المكان، وخرجنا إلى منازلنا فدخلت بيتنا مع زقزقة العصافير، والناس نيام إلا أختى سارة التى أخذتنى لغرفتها ونصحتنى وهددتنى بأنها ستكون آخر مرة أتأخر فيها عن المنزل، فوعدتها بذلك ولم تعلم المسكينة أن المهددة هى حياتها قبل حياتى، ليتها ما سامحتنى ليتها ضربتنى بل وقتلتنى وما سامحتنى. . .

فاجتمعنا بعد أيام عند أحد الأصحاب وبدأنا نطلب إعادة تلك المزحة لأننا أحببناها وعشقناها، فقال لنا صاحبنا: إنها تباع بسعر لا يقدر عليه الرجل وحده فعملنا شراكة فاشترينا بعددها كبسولات صاحبنا، أظنكم عرفتم ما هى إنها المخدرات، إنها مزحة بحبة مخدرات ونحن لا ندرى، دفعنا بعضنا إلى التهلكة بمزحة وضحكة وحبة من المخدرات فاتفقنا على عمل دورية كل أسبوعين على واحد منا والحبوب نشتريها بالشراكة، فمرت الأيام وتدهورت فى المدرسة وأصبحت لا أطيق البعد عنها ولا عن أصحابى، فجاءت نتائج نهاية العام مخيبة لكل أهلى، ولكن خفف علينا أن سارة نجحت وتخرجت بتقدير عالٍ، مبروك يا سارة قلتها بكل إخلاص، على الرغم مما قد كان أصابنى قلتها وأنا لأول مرة وكانت لآخر مرة أحس فيها بفرح من أعماقى ماذا تريدين أن أشترى لك يا سارة بمناسبة نجاحك أتدرون ما قالت؟، كأنها حضرتنا أنا وأصحابى كأنها عرفت حالنا قالت: أريدك أن تنتبه لنفسك يا أخى أنت عزى بعد الله. . .

لقد قالتـها فى ذلك اليوم مجرد كلمـات لا تعلم هى أنها ستكون فى بقية حـياتى أشد من الطعنات، ليتها مـا قالتها وليتنى ما سـألتها أى سند وعزة يـا سارة ترتجـين، أى سند وأى عزة يا سـارة تريدين، حسـبى الله ونعم الوكيل. . .

دخلت سارة معهدًا للمعلمـات وجدَّت واجتهدت، وأنا من رسوب إلى رسوب، ومـن ظلال وظلام إلى ظلال وظلام، ومن سيئ إلى أسـوإ ولكن أهلى لا يعلمـون ونحن فى زيادة فى الغى حتى أننا لا نسـتطيع أن نستـغنى عن الحبـة فوق يومين، فـقال لنا الصـديق، بل العدو الرجيـم بل الشيطان الرجيم: هناك ما هو أغلى وأحلى وأطول مدة وسعادة، فبحثنا عنه ووجدناه فدفـعنا فيه المال الكثـير، وكل ذلك من جيـوب آبائنا الذين لا نعلم هل هم مشاركون فى ضياعنا؟ أم لا، وهل عليهم وزر وذنب؟ أم لا؟!

وذات مرة وأنـا عائد للبـيت أحست سـارة بوضعى وشكَّت فـى أمرى وتركتنى أنام وجاء الصباح فجـاءتنى فى غرفتى ونصحتنى وهددتنى بكشف أمرى إن لم أخبرها بالحقيقة، فدخلت أمى علينا وقطعت النقاش بيننا وليتها ما دخلت لأعترف لأختى لعلها أن تسـاعدنى فأرسلتنى أمى فى أغراض لها فذهبت وأصبحت أتهرب عن أختى خوفًا منهـا على ما كتمته لأكثر من سنة أن ينكشف، وقابلـت أحد أصدقـائى فذهبنا سويًّا إلى بيت صـديق آخر، فأخذنا نصيبنا من الإثم فأخبرتهم بما حدث فخفنا من الفضيحة وكلام الناس فـفكرنا بل فكر شيـاطيننا، وقـال أحدهم لى: لدى الحل، . . أتدرون مـاذا قال؟ لقد قال المنكر والظلم والبغى والعدوان، لقـد قال أفضل طريقة نجعلها فى صفنا «جعله الله فى صف فـرعون وهامان يوم القيامة»، نجـعل لها حبة وتكون تحت أيدينا ولا تسـتطيع أن تفضحنا أبـدًا، . . . فرفضتُ إنهـا سارة العفيفة الشريفة الحبيبة، الحنونة إنها سارة أختى، ولكن وسوسوا لى وقالوا:

هى لن تخسر شيئًا أنت فقط تحضر لها فى بيتكم وهى معززة مكرمة حبوبًا وأنت تعرف ما أثر ذاك التأثير، وتحت تأثير المخدر وتحت ضغوط شياطينهم وشيطانى وافقت ورتبت معهم كل شىء، وذهبت للبيت وقابلتنى وطالبتنى وقلت لها: اصنعى لى شايًا، وأنا أعترف لك بكل شىء، فذهبت المسكينة من عندى وكلها أمل فى أن تحل مشكلتى وأنا فى رأسى ألف شيطان، وهمى هدم حياتها كلها، أتت بالشاى وقلت لها: صُبِّى لى ولك فصبَّت، ثم قلت لها: أحضرى لى كأس ماء، فذهبت ومن ثَمَّ أن خرجت من الغرفة أقسم بالله من غير شعور نزلت منى دمعة ما أدرى دمعة ألم على مستقبلها، ما أدرى روحى التى طلعت من عينى، ما أدرى ضميرى، ما أدرى دمعة فرح بأنى أوفيت لأصحابى الوعد وإنى حفظت السر للأبد، وضعت فى كوبها حبة كاملة، جاءت وهى تبتسم وأنا أراها أمامى كالحمل الصغير الذى دخل غابة الذئاب بكل نية صافية.... رأت دموعى، فصارت تمسحها وتقول: الرجال ما تبكى وتحاول تواسينى تحسبنى نادمًا.... ما علمت أنى أبكى عليها ليس على نفسى أبكى على مستقبلها، على ضحكتها، على عيونها، على قلبها الأبيض الطاهر، فقلت: اجعلينا نشرب الشاى حتى أرتاح ثم نتكلم، فشربت ويا ليتها ما شربت، يا ليتها ما صنعت الشاى ولكن... فجلست أجرها فى الكلام حتى بدت تغيب عن الوعى صرت أضحك مرة وأبكى مرة، ما أدرى ماذا أصابنى أضحك وأبكى ودموعى على خدى، وبدأ إبليس يوسوس لى أنى خلاص سأنكشف وأبى وأمى سيعلمون إذا رأوا أختى بهذه الحالة ففكرت فى الهروب، المهم هربت لأصحابى وبشرتهم بالمصيبة التى فعلتها، فبارك لى جميع الأصحاب أقصد الأعداء، وقالوا: ما يفعلها إلا الرجل أنت الأمير، وأنت الزعيم، صاحب الشلة والآمر والناهى ونحن على قولك، فنمنا تلك الليلة، وعند الظهر بدأت

أرتجف أسأل نفسى ماذا فعلت؟ وماذا اقترفت يداى؟!!

فصاروا أصحابى يسألوننى ويقولون: نحن أول الناس معك فى علاجها وبسيطة مادامت حبوبًا فقط، وبعد يومين بدأ أبى يسأل عنى بعدما انقطعت عنهم، فأرسلت أصحابى ينظرون الوضع فى البيت كيف هو؛ لأنى خائفًا من والدى وعلى أختى فطمئنونى أن كل شىء تمام ولا حصل شىء، فذهبت للبيت وأنا مستعد للضرب والشتم والسب والملام الذى ما عاد يفيد، فضربنى أبى وأمى تلومنى، وإخوتى يلوموننى ويهددوننى، وبعد أيام أتت إلىّ أختى وسألتنى عن شىء وضعته لها فى الشاى أعجبها وتريد منه ورفضت فصارت تتوسل لى وتقبِّل رجلاى، مثل ما أنا أفعل مع أصحابى عندما أطلب منهم الحبوب، فرحمتها وأعطيتها، وتكرر هذا مرات كثيرة وبدأت أحوالها الدراسية تتدهور حتى تركت الدراسة بلا سبب واضح لأهلى فصبَّروا أنفسهم أن البنت ما لها إلا بيتها فى النهاية، فتحولت الآمال إلى أخى الأصغر منى ومرة ويا أبغضها من مرة انتهت البضاعة من عندى، فطلبتها من أحد أصحابى فرفض إلا إذا. . . تدرون ماذا كان شرطه؟ حسبى الله ونعم الوكيل، . . . شرطه أختى سارة يريد أن يزنى بها، فرفضت وتشاجرت معه، وأصحابنا الحاضرون يحاولون الإصلاح ويقولون لى: ما فيه شىء ومرة واحدة ما تضر واسألها إذا هى موافقة ماذا يضرك وما أنت خسران شىء!! صاروا معه ضدى كلهم معه، وقلت له: أنت أول واحد كان يقول لى: أنا معك فى طلب دوائها وعلاجها واليوم تطلب كذا حسافة بالصداقة، فقال بالفم المليان: أى صداقة وأى علاج يا رجل، انس كل شىء. . . فتخاصمنا وقاطعت الشلة وطالت الأيام، وصبرت أنا، وأختى بدأت تطلب وأنا ما عندى وما لى طريق إلا هم، وأختى حالتها تسوء وكل ما لها ضاع وتطالبنى لو بكسرة حبة فوسوس لى الشيطان بأن أسألها إذا

وافقت لا أحد يخسر شيئًا، ولا أحد يعلم، أنت وهى وصاحبك فقط، واطلب منه أن يواعدك ما يقول لشخص ثانٍ واجعله سرًا، فصارحتها وقلت لها: الذى عنده يريدك أول شىء ويريد أن يقابلك ويفعل فيك، ثم يعطينا كل الذى نريد بدون مال ونرجع ولا عاد نحتاج لأحد مرة، فقالت مباشرة بدون تردد: موافقة هيا بنا نذهب!!

فخططنا أنا وأختى أن نخرج، فخرجنا وذهبت بأختى إلى صاحبى، وجلسنا فى شقته، وطلب منى أن أقضى مشوارًا حتى ينتهى فذهبت وأتيت إليهم بعد ساعة وإذا بأختى شبه عارية فى شقة صاحبى وأنا مغلوب على أمرى ورايح فيها أريد لو رائحة هروين فجلسنا سويًّا أنا وصاحبى وأختى من الظهر إلى بعد العشاء فى جلسة سمر وشرب وعهر... يا ويلى من ربى، فرجعنا أنا وأختى للبيت ولا كأن شيئًا صار، فصرت أقول لأختى: هذه أول وآخر مرة وأنا لم أكن أعلم أن صاحبى النجس أعطى أختى مواعيد وأرقامه الخاصة إذا أرادت ما تحتاج إليه، وأنا ما علمت، ومرت الأيام وأنا أرى أختى تخرج على غير عاداتها سابقًا، هى وأختى الصغيرة مرة بأى عذر للسوق وللمستشفى حتى أنها طلبت تسجل مرة ثانية بالمعهد حاول المسكين أبى بكل ما يملك وبكل من يعرف لكى يرجعها من جديد وفرحت العائلة من جديد بعودتها للدراسة، واهتمامها بها ومرة وأنا عند أحد أصحابى قال: سوف نذهب لنزور أحد أصحابنا، وذهبنا إليه ويا للمصيبة وجدت أختى عنده وبين أحضانه وانفجرت من الغضب فقامت أختى وقالت: ما لك شغل حياتى وأنا حرة!! فأخذنى صاحبى معه، وأعطانى السم القاتل الذى يُنسى الإنسان أعز وكل ما يملك ويجعله فى نظره أبخس الأشياء وأرذلها، فرجعنا لصاحبنا وأنا ذاهب فيها، ولعبوا مع أختى وأنا بينهم كالبهيمة، بل وأسوأ، ومع العصر رجعنا للبيت وأنا لا أدرى ما أفعل، فالعِرض قد ذهب، والمال قد ذهب، والشرف قد ذهب،

والمستقبل قد ذهب، والعقل قد ذهب، كل شيء بالتأكيد قد ذهب ومرت الأيام وأنا أبكى إذا صحوت من السكر وأضحك إذا سكرت حياة بهيمية بل أردى، حياة رخيصة سافلة بخسة، ومرة من المرات المشؤومة وكل حياتى مشؤومة، وفى أحد الأيام وفى الصباح عند التاسعة إذا بالشرطة تتصل على أبى فى العمل ويقولون: احضر فوراً، فحضر فكانت الطامة التى لم يتحملها أبى ومات بعدها بأيام وأمى فقدت نطقها منها، أتدرون ما هى؟ أتدرون؟ لقد كانت أختى برفقة شاب فى منطقة استراحات خارج المدينة وهم فى حالة سُكْر وحصل لهم حادث وتوفى الاثنان فوراً. . .

يا لها من مصيبة تُنطق الحجر، وتُبكى الصخر، يا لها من نهاية يا سارة لم تكتبيها، ولم تختاريها ولم تتمنيها أبدًا، سارة الطاهرة أصبحت عاهرة، سارة الشريفة أصبحت زانية، سارة الطيبة المؤمنة أصبحت داعرة!! يا الله ماذا فعلت أنا بأختى إلى هذا الدرب أوصلتها إلى نار جهنم، دفعتها بيدى إلى اللعنة، أوصلتها أنا إلى السمعة السيئة، يا ربِّ ماذا أفعل، اللهم إنى أدعوك أن تأخذنى وتعاقبنى بدلاً عنها، يا رب إنك تعلم إنها مظلومة وأنا الذى ظلمتها، وأنا الذى أبعدتها عن الطريق المستقيم وهى لم تكن تعلم، كانت تريد صلاحى فأفسدتها، لعن الله المخدرات وطريقها وأهلها، أبى مات بعد أيام، وأمى لم تنطق بعد ذلك اليوم، وأنا لا زلت فى الطريق الأسود، وإخوانى على شفا حفرة من الضياع والهلاك، وبعدها بفترة فكرت أن أتوب ولم أستطع الصبر، فاستأذنت من أمى أن أسافر إلى الخارج بحجة النزهة لمدة قد تطول إلى أشهر بحجة أنى أريد النسيان، فذهبت إلى مستشفى الأمل بعد أن هدمت حياتى وحياة أسرتى وحياة أختى سارة، رحمك الله يا سارة، اللهم اغفر لها فإنها لا تعلم، اللهم ارحمها فإنها مسكينة وخذنى بدلاً عنها يا رب.

فعزمت على العلاج ولما سألونى عن التعاطى زعمت أنه من الخارج وأن تعاطى المخدرات كان فى أسفارى، وبعد عـدة أشهر عالجت نفسى، مما كان أصابنى من المخـدرات ولكن بعد ماذا، بعـد ما قطعت كل حـبل يضمن لنا حياة هانئة سعيدة، عدت وإذا بأهلى يعيشون على ما يقدمه الناس لهم، لقد باعت أمى منزلنا واستأجرت آخر، من بعد الڤيلا إلى شقة فيها ثلاث غرف ونحن ثمانية أفراد، ومن بعد العز والنعيم ورغـد العيش إلى الحصير ومسألة الناس، لا علم لدى ولا عمل، وإخوانى أصغـر منى ونصفهم ترك الدراسة لعدم كفاية المصـاريف، فأهلى متى ما ذُكر اسم أختى سـارة لعنوها وسبُّوها وجرَّحـوها لأنها السـبب فى كل ما حـصل، ودعوا عليـها؛ بالنار والثـبور وقلبى يتـقطع عليهـا لأنها مظلـومة وعلى أهلى؛ لأنهم لا يعلمـون وأنا لا أستطيع أن أبلغ عن أصحاب الشر والسوء الذين هدموا حياتى وحياة أختى؛ لأنى إذا بلغت سأزيد جروح أهلى التى لم تندمل بعد على أختى وأبى وأمى وسمعتنا وعزنا وشرفنا؛ لأنهم سيـعلمون أنى أنا السبب وستزيد جراحهم، وسيورطنى أصحاب السوء إن بلَّغت عنهم مـعهم، فأنا فى حيرة من أمرى، إنى أبكى فى كل وقـت ولا أحد يـحس بى، وأنا أرى أن من المفـروض أن أُرجم بالحجارة ولا يكـفى ذلك، ولا يكفر ما فعلت وما سـببت، انظروا يا إخوانى مـاذا فعلت أنا، إنها المخـدرات ونزوات الشيطان، إنهـا المخدرات، إنها أم الخبائث، إنها الشر المستطير، كم أفسدت من بيوت، وكم شردت من بشـر، وكم فرقـت من أُسَر، . . . . لا تضـحكوا يا إخـوانى ولا تعـجبـوا وقولوا: اللهم لا شماتة، يا إخوانى اعتبروا وانشروا قصتى على من تعرفون لعل الله أن يهدى بقصـتى ولو شخصًا واحدًا أكـفر به عن خطئى العظيم، الذى أعـتقد أنـه لن يُغفـر، أرجو منكم أن تدعـوا لأختى سـارة فى ليلكم ونهاركم، لعل الله أن يرحمها بدعواتكم.

شريط الفيديو الذى دمر حياتى[1]

فتاة فى المرحلة الجامعية -كلية الآداب- قسم علم نفس ولها أخوات ثلاث، منهن من تدرس فى المرحلة الثانوية والأخريان فى المرحلة المتوسطة، وكان الأب يعمل فى محل بقالة ويجتهد لكى يوفر لهن لقمة العيش وكانت هذه الفتاة مجتهدة فى دراستها الجامعية، معروفة بحسن الخلق والأدب الجم كل زميلاتها يحببنها ويرغبن فى التقرب منها لتفوقها المميز.

قالت: فى يوم من الأيام خرجت من بوابة الجامعة، وإذا أنا بشاب أمامى فى هيئة مهندمة، وكان ينظر إلىّ وكأنه يعرفنى، فلم أعطه أى اهتمام، سار خلفى وهو يحدثنى بصوت خفيض وكلمات صبيانية مثل: يا جميلة... أنا أرغب فى الزواج منك... فأنا أراقبك منذ مدة وعرفت أخلاقك وأدبك، سرت مسرعة تتعثر قدماى... ويتصبب جبينى عرقًا، فأنا لم أتعرض لهذا الموقف أبدًا من قبل، ووصلت إلى منزلى منهكةً مرتبكة أفكر فى هذا الموضوع ولم أنم هذه الليلة من الخوف والفزع والقلق.

وفى اليوم التالى وعند خروجى من الجامعة وجدته منتظرًا أمام الباب وهو يبتسم، وتكررت معاكساته لى والسير خلفى كل يوم، وانتهى هذا الأمر برسالة صغيرة ألقاها لى عند باب البيت وترددت فى التقاطها ولكن أخذتها ويداى ترتعشان وفتحتها وقرأتها وإذا بها كلمات مملوءة بالحب والهيام والاعتذار عما بدر منه من مضايقات لى.

---

(١) شريط الفيديو الذى دمر حياتى، لأحمد الحصين.

مزقت الورقة ورميتها، وبعد سويعات دق جرس التليفون فرفعته وإذا بالشاب نفسه يطاردنى بكلام جميل ويقول لى: قرأت الرسالة أم لا؟.

قلت له: إن لم تتأدب أخبرت عائلتى والويل لك، وبعد ساعة اتصل مرة أخرى وأخذ يتودد إلىّ بأن غايته شريفة وأنه يريد أن يستقر ويتزوج وأنه ثرى وسيبنى لى قصراً ويحقق لى كل آمالى وأنه وحيد لم يبق من عائلته أحد على قيد الحياة... و... و....

فرقَّ قلبى له وبدأت أكلمه وأسترسل معه فى الكلام، وبدأت أنتظر التليفون فى كل وقت، وأبحث عنه بعد خروجى من الكلية لعلى أراه ولكن دون جدوى، وخرجت ذات يوم من كليتى وإذا به أمامى، فطرت فرحًا، وبدأت أخرج معه فى سيارته نتجول... وجلست أنظر إليه وينظر إلىّ ثم غشتنا غاشية من عذاب جهنّم... ولم أدر إلا وأنا فريسة لهذا الشاب، وفقدت أعز ما أملك... قمت كالمجنونة، ماذا فعلت بى؟.

- لا تخافى أنت زوجتى...
- كيف أكون زوجتك وأنت لم تعقد علىّ.
- سوف أعقد عليك قريبًا.

وذهبت إلى بيتى مترنحة، لا تقوى ساقاى على حملى واشتعلت النيران فى جسدى... يا إلهى ماذا فعلت أجُننت أنا... ماذا دهانى، وأظلمت الدنيا فى عينى وأخذت أبكى بكاءً شديدًا مُرًّا وتركت الدراسة وساء حالى إلى أقصى درجة، ولم يفلح أحد من أهلى أن يعرف كُنه ما فىّ، ولكن تعلقت بأمل راودنى وهو وعده لى بالزواج، ومرت الأيام تجر بعضها البعض وكانت علىّ أثقل من الجبال، ماذا حدث بعد ذلك؟، كانت المفاجأة التى دمرت حياتى ... دق جرس الهاتف وإذا بصوته يأتى من بعيد ويقول لى: أريد أن أقابلك لشىء مهم.. فرحت وهللت وظننت أن الشىء المهم هو

ترتيب أمر الزواج . . . قابلته وكان متجهمًا تبدو على وجهه علامات القسوة وإذا به يبادرنى قائلاً قبل كل شىء لا تفكرى فى أمر الزواج أبدًا . . . نريد أن نعيش سويًا بلا قيد . . . ارتفعت يدى دون أن أشعر وصفعته على وجهه حتى كاد الشر يطير من عينيه وقلت له كنت أظن أنك ستصلح غلطتك، ولكن وجدت رجلاً بلا قيم ولا أخلاق ونزلت من السيارة مسرعة وأنا أبكى، فقال لى هنيهة من فضلك ووجدت فى يده شريط فيديو . . . يرفعه بأطراف أصابعه مستهترًا وقال بنبرة حادة: سأحطمك بهذا الشريط قلت له: وما بداخل الشريط؟ .

قال: هلم معى لترى ما بداخله ستكون مفاجأة لك، وذهبت معه لأرى ما بداخل الشريط ورأيت تصويرًا كاملاً لما تم بيننا فى الحرام .

قلت: ماذا فعلت يا جبان . . . يا خسيس . . . ، قال: كاميرات «خفية» كانت مسلطة علينا تسجل كل حركة وهمسة، وهذا الشريط سيكون سلاحًا فى يدى لتدميرك إلا إذا كنت تحت أوامرى ورهن إشاراتى وأخذت أصيح وأبكى لأن القضية ليست قضيتى بل قضية عائلة بأكملها؛ ولكن قال أبدًا . . . والنتيجة أنى أصبحت أسيرة بيده ينقلنى من رجل إلى رجل ويقبض الثمن . . . وسقطت فى الوحل- وانتقلت حياتى إلى الدعارة- وأسرتى لا تعلم شيئًا عن فعلتى فهى تثق بى تمامًا .

وانتشر الشريط . . . ووقع بيد ابن عمى فانفجرت القضية وعلم والدى وجميع أسرتى وانتشرت الفضيحة فى أنحاء بلدتنا، ولُطخ بيتنا بالعار، فهربت لأحمى نفسى واختفيت عن الأنظار وعلمت أن والدى وشقيقتى هاجروا إلى بلاد أخرى وهاجرت معهم الفضيحة تتعقبهم وأصبحت المجالس يُتحدث فيها عن هذا الموضوع، وانتقل الشريط من شاب لآخر .

وعشت بين المومسات منغمسة فى الرذيلة وكان هذا النذل هو الموُجِّه الأول لى يحركنى كالدمية فى يده ولا أستطيع حراكًا؛ وكان هذا الشاب السبب فى تدمير العديد من البيوت وضياع مستقبل فتيات فى عمر الزهور.

وعزمت على الانتقام... وفى يوم من الأيام دخل علىّ وهو فى حالة سُكْرٍ شديد فاغتنمت الفرصة وطعنته بمُدية، - أى بسكين - فقتلت إبليس المتمثل فى صورة آدمية خلصت الناس من شروره، وكان مصيرى أن أصبحت وراء القضبان أتجرع مرارة الذل والحرمان وأندم على فعلتى الشنيعة وعلى حياتى التى فرطت فيها.

وكلما تذكرت شريط الفيديو خُيل إلىّ أن الكاميرات تطاردنى فى كل مكان، فكتبت قصتى هذه لتكون عبرة وعظة لكل فتاة تنساق خلف كلمات براقة.

* * *

شؤم المعصية[١]

كنا معًا فى أطيب حال، وأهنأ بال، زوجين سعيدين، متعاونين على طاعة الله، وعندنا القناعة والرضا، طفلتنا مصباح الدار، كركراتها تفتق الزهور، إنها ريحانة تهتز.

فإذا جنَّ علينا الليل ونامت الصغيرة قمت معه نسبح الله، يؤمنى ويرتل القرآن ترتيلاً، وتصلى معنا الدموع فى سكينة وخشوع، وكأنى أسمعها وهى تفيض قائلة: أنا إيمان فلان وفلانة.

وذات يوم، أردنا أن تكثر فيه الفلوس، اقترحت على زوجى أن نشترى أسهمًا ربوية، لتكثر منها الأموال، فندخرها للعيال، فوضعنا فيها كل ما نملك حتى حُلىّ «الشبكة».

ثم انخفضت أسهم السوق، وأحسسنا بالهلكة فأصبح الدينار فلسًا وشربنا من الهموم كأسًا، وكثرت علينا الديون والتبعات، علمنا أنه ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ**﴾[٢].

وفى ليلة حزينة خوت فيها الخزينة تشاجرت مع زوجى، فطلبت منه الطلاق، فصاح: أنت طالق - أنت طالق-، فبكيت وبكت الصغيرة، وعبر الدموع الجارية تذكرت جيداً: يوم أن جمعتنا الطاعة وفرقتنا المعصية.



---

(١) سرى للنساء / الشيخ أحمد القطان - حفظه الله -.

(٢) سورة البقرة : الآية: (٢٧٦).

وهذه قصة أخرى

تقول صاحبة القصة: كنت مولعة بحفلات الأعراس، وأنا امرأة متحجبة، زوجى متدين، وكثيراً ما كان يُحذرنى من الاختلاط فى حفلات العرس.

فإذا كان الجميع نساء نزعت حجابى، وشاركت فى الرقص والغناء، إنى جميلة وأحب أن أسمع النساء فى تلك الليلة يقلن: إنها أجمل من العروس، فأُشبع غرورى.

وكان زوجى يوصينى كل مرة بعدم نزع حجابى خارج بيتى، ويذكرنى بحديث الرسول ﷺ : **«أيما امرأة نزعت ثيابها فى غير بيت زوجها فقد هتكت ما بينها وبين ربها من ستر»**[١].

وذات يوم سافر زوجى إلى إحدى دول الخليج، وهناك فى إحدى الديوانيات تجادل شابان حول بنات دول الخليج أيهن أجمل؟، فقام أحدهم وأحضر شريط فيديو خاص ببلدى، اشتراه سراً بثمن باهظ، فيه إحدى حفلات العرس، وفوجئ زوجى إذ رآنى أُغنى وأرقص وألفح بشعرى، ونصف صدرى عارى.

فأخذ الرِّجال فى الديوانية يتشهون على مفاتنى، فلم يتمالك إلا أن خرج مغاضبًا، وعاد من سفره ونشبت بينى وبينه معركة انتهت بالطلاق، وأنا الآن معذبة وتعيسة تطاردنى الخطيئة فى كل مكان[٢].



(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم «صحيح» صحيح الجامع (٢٧١٠).
(٢) سرى للنساء / الشيخ أحمد القطان.

فاتقوا الدنيا واتقوا النساء(١)

قال الراوى: صحبنا على ظهر سفينة نجول بها حول البلدان طلبًا لرزق الله فى أرضه شاب صالح، نقىُ السريرة، طيب الخلق، كنا نرى التُّقى يلوح فى قسمات وجهه، والنور والبِشر يرتسمان على مُحياه، لا تراه إلا متوضئًا مصليًا، أو ناصحًا مرشدًا، إن حانت الصلاة أذَّن لنا وصلى بنا، فإن تخلف أحد عنها أو تأخر عاتبه وأرشده، وكان معنا على هذه السجية طيلة أسفارنا.

وألقى بنا البحر إلى جزيرة من جزر الهند فنزلنا إليها، وكان ما تعود عليه البحارة أن يستقروا أيامًا يرتاحون فيها ويستجمون بعد عناء السفر الطويل، يتجولون فى أسواق المدينة ليشتروا أغرب ما يجدون فيها لأهلهم وأبنائهم ثم يرجعون إلى السفينة فى الليل، وكان منهم نفر ممن أضل اللهُ يتيمم أماكن اللهو والهوى ومحال الفجور والبغاء، وكان ذلك الشاب الصالح لا ينزل من السفينة أبدًا، بل يقضى هذه الأيام يُصلح فى السفينة ما احتاج منها إلى إصلاح، فيفتل الحبال ويلفها، ويُقوِّم الأخشاب ويشدها، ويشتغل بالذكر والقراءة والصلاة وقته ذاك.

قال الراوى- وعينه ترقرق بالدموع وتنحدر على لحيته-: وفى إحدى السفرات وبينما كان الشاب منشغلاً بأعماله تلك إذا بصاحب له فى السفينة ممن أتبع نفسه هواه وانشغل بطالح الأمور عن صالحها، وبسافل الأخلاق عن عاليها يهامسه ويقول:

صاحبى، لِمَ أنت جالس فى السفينة لا تفارقها؟!! لِمَ لا تنزل حتى

(١) من شريط للشيخ أحمد القطان -حفظه الله-.

ترى دنيا غير دنياك؟ ترى ما يشرح الخاطر ويؤنس النفس! أنا لم أقل لك تعال إلى أماكن البغاء وسخط الله، ولا إلى البارات وغضب الله، هيهات يا صاحبى، لكن تعال فانظر إلى مُلاعب الثعابين كيف يتلاعب بها ولا يخافها، وإلى راكب الفيل كيف يجعل من خرطومه له سلمًا، ثم يصعد برجليه ويديه حتى يقيمه على رجل واحدة، وآه لو رأيت من يمشى على المسامير أنّى له الصبر، ومن يَلقم الجمر كأنما هو تمر، ومن يشرب ماء البحر فيسيغه كما يسيغ الماء الفرات، يا أخى انزل وانظر الناس!، فتحركت نفس الشاب شوقًا لما سمع، فقال:

وهل فى هذه الدنيا ما تقول؟

قال صاحب السوء: نعم، وفى هذه الجزيرة، فانزل ترى ما يسرك، ونزل الشاب الصالح مع صاحبه، وتجولا فى أسواق المدينة وشوارعها حتى دخل به إلى طرق صغيرة ضيقة، فانتهى بهما الطريق إلى بيت صغير فدخل الرجل البيت وطلب من الشاب أن ينتظره وقال: سآتيك بعد قليل ولكن! إياك إياك أن تقترب من الدار، جلس الشاب بعيدًا عن الباب يقطِّع الوقت قراءة وذكرًا وفجأة إذا به يسمع قهقهة عالية، لُيفتح الباب وتخرج منه امرأة قد خلعت جلباب الحياء والمروءة.

أواه!! إنه الباب نفسه الذى دخل فيه الرجل، وتحركت نفس الشاب فدنا من الباب ويصيخ سمعه لما يدور فى البيت وإذا به يسمع صيحة أخرى، فنظر من شق الباب ويتبع النظرة أختها لتتواصل النظرات منه وتتوالى وهو يرى شيئًا لم يألفه ولم يره من قبل، ثم رجع إلى مكانه ولما خرج صاحبه بادره الشاب مستنكرًا: ما هذا؟!! ويحك!! هذا أمر يغضب الله ولا يرضيه، فقال الرجل: اسكت يا أعمى يا مغفل، هذا أمر لا يعنيك.

قال الراوى: ورجعنا إلى السفينة فى ساعة متأخرة من الليل، وبقى

الشاب ساهرًا ليلته تلك، مشتغل الفكر فيما رآه، قد استحكم سهم الشيطان من قلبه، وامتلكت النظرة زمام فؤاده، فما أن بزغ الفجر وأصبح الصباح حتى كان أول نازل من السفينة وما فى باله إلا أن ينظر فقط، ولا شىء غير أن ينظر، وذهب إلى ذلك المكان، فما أن نظر نظرته الأولى وأتبعها الثانية، حتى فتح الباب وقضى اليوم كله هناك واليوم الذى بعده كذلك فافتقده رُبان السفينة وسأل عنه: أين المؤذن؟ أين إمامنا فى الصلاة؟ أين ذلك الشاب الصالح، فلم يجبه من البحارة أحد، فأمرهم أن يتفرقوا للبحث عنه فوصل إلى علم الربان من ذهب به إلى ذلك المكان فأحضره وزجره وقال له: ألا تتقى الله ألا تخشى عقابه؟؟، اذهب فأحضره، فذهب إليه مرة بعد مرة لكن دون جدوى فلم يستطع إحضاره؛ لأنه كان يرفض ويأبى الرجوع معهم، فلم يكن من قائد السفينة إلا أن أمر عدة من الرجال يحضرونه قسرًا فسحبوه بالقوة وحملوه إلى السفينة.

قال الراوى: وأبحرت السفينة راجعة إلى البلاد ومضى البحارة إلى أعمالهم، وأخذ ذلك الشاب فى زاوية من السفينة يبكى ويئن حتى لتكاد نياط قلبه أن تتقطع من شدة البكاء، ويقدمون له الطعام ولا يأكل، وبقى على حاله البائسة هذه بضعة أيام، وفى ليلة من الليالى ازداد بكاؤه ونحيبه ولم يستطع أحد من أهل السفينة أن ينام فجاءه ربان السفينة وقال له: يا هذا اتق الله، ماذا أصابك لقد أقلقنا أنينك فما نستطيع أن ننام، ويحك ما الذى بدل حالك، ويلك ما الذى دهاك، فرد عليه الشاب وهو يتحسر: دعنى فإنك لا تدرى ما الذى أصابنى؟ فقال الربان: وما الذى أصابك؟ عند ذلك كشف الشاب عن عورته وإذا الدود يتساقط من سوأته، فانزعج ربان السفينة وارتعش لما رأى وقال: أعوذ بالله ما هذا؟ وقام عنه الربان وقبيل الفجر قام أهل السفينة على صيحة مدوية أيقظتهم وذهبوا إلى مصدرها فوجدوا ذلك

الشاب قد مات وهو ممسك خشبة السفينة بأسنانه، استرجع القوم وسألوا الله حُسن الختام، وبقيت قصة هذا الشاب عبرة لمن يعتبر. اهـ.

مرحبًا بك في نادى الإيدز

وها هى قصة شاب كانت هوايته النزول إلى الأسواق ومشاهدة النساء للحصول على الفريسة التى تعجبه.

وفى يوم من الأيام نزل هذا الشاب إلى السوق فرأى فتاة فى غاية الحسن والجمال فأعجبته وظل يفكر كيف يكلمها، ولكن كانت المفاجأة أنها هى التى اقتربت منه وطلبت منه رقم الهاتف وهى تنظر إليه نظرة ساحرة شيطانية... فتبادلا رقم الهاتف.

يقول: وإذا بها تتصل بى فى نفس الليلة وتقول: أريد أن أراك فتواعدا على موعد ومكان يلتقيان فيه... فلما قابلها حاول أن يلمسها أو يُقبلها فأبت عليه فازداد شوقه إليها.

ومرت الأيام وهما يلتقيان دائمًا... وفى يوم من الأيام أخبرته بأنها سيدة أعمال وأنها مطلقة، وأنها تريد منه أن يذهب إلى مصر ليعقد صفقة تجارية بدلاً منها، وأعطته تذكرة السفر ورقم الحجز فى الفندق وعشرة آلاف جنيه للمصاريف فوافق على ذلك وحصل على إجازة من عمله ليسافر.

يقول الشاب: وقبل أن أسافر اتصلت بى وأعطتنى رقم تليفون فى مصر وقالت: إذا وصلت مصر فاتصل على هذا الرقم ليأتى إليك الرجل الذى سيعقد معك هذه الصفقة التجارية.

قال: وسافرت... وما إن وصلت إلى الفندق وتناولت الطعام اتصلت على هذا الرقم الذى أخذته منها وإذا بالمفاجأة الكبرى لقد وجدتها هى التى ترد على الهاتف وتقول: إيه رأيك مفاجأة حلوة. أريدك أن تأتى الآن إلىَّ فى جناح رقم كذا فى نفس الفندق.

قال: فذهبت إليها فوجدتها تلبس ملابس عارية جدًّا وكان الشيطان ثالثنا فوقعت عليها وظللت لمدة عشرة أيام أمارس معها الفاحشة ثم رجعت إلى بلدى وما إن وصلت إلى البيت وإذا بأخى الوحيد كان يريد منى أن أصحبه فى اليوم التالى فى سفر داخل المملكة فوافقت وركبت معه السيارة... وجاءت اللحظة الحاسمة، فلقد انقلبت بنا السيارة فخرجت منها سالمًا ولكن أخى أُصيب إصابات خطيرة فأخذته إلى المستشفى وهناك كانت المفاجأة فلقد احتاج أخى إلى نقل دم فسألنى الطبيب: ما هى فصيلة دمك؟. فأخبرته فقال إنها نفس فصيلة أخيك.

قال: فأخذنى وأخذ منى عينة من الدم للاختبار أولاً حتى لا يكون فيه أى مرض... وغاب ساعة ثم عاد إلىَّ وقال الدكتور: أنا أعلم أنك رجل مؤمن بقضاء الله.

قال: ففزعت وقلت: ما الذى حدث؟ هل مات أخى.

فقال الطبيب: كلا لم يمت... ولكنك مصاب بمرض الإيدز.

قال: ففزعت وأحسست بأن الدنيا قد اسودَّت فى عينى وخرجت وأنا أكلم نفسى كالمجنون... وبعد أيام مات أخى على أثر هذا الحادث وكنت لا أدرى أأحزن على موت أخى أم على إصابتى بمرض الإيدز؟.. وفجأة سمعت صوت الهاتف وإذا بتلك الفتاة تقول: أين أنت لقد اشتقت إليك. فقلت لها: لا أستطيع أن آتى إليك فلقد مات أخى فى حادث.

فقالت: الأحياء أولى من الأموات هيا لنستمتع سويًّا.

فقلت لها: أنا مصاب الآن بمرض الإيدز... وإذا بها تقول: مصاب بمرض الإيدز... هل أنت متزوج؟ قلت: لا.

قالت: هل أنت تفعل الفاحشة مع امرأة غيرى؟ قلت: لا.

فضحكت وقالت: إذن فأنا السبب الوحيد فى وصول المرض إليك فمرحبًا بك فى نادى الإيدز.

فزع الشاب فزعًا لا يخطر على قلب بشر... وعاش حياة قاسية وهو ينتظر الموت ولا يستطيع أن يُخبر أحدًا بمرضه.

أسرته تُلح عليه فى الزواج وهو الذى تجاوز الثلاثين من عمره وهو يأبى وهم لا يعرفون شيئًا عن سبب رفضه... حياته أصبحت فى غاية الشقاء.

فهذا درس أسوقه لكل من يبحث عن المتعة المحرمة... هذه هى النتيجة... وتلك نهاية هذا الطريق المظلم.

ألا.. فما أجمل الحلال الطيب الذى أحله الله - جل وعلا-.

* * *

الحمو الموت[1]

كان يكد ويشقى الليل مع النهار لتلك المرأة التى اقترن بها، وزيادة على ذلك التعب الصباحى وبعد أن كثر أولاده، اضطر للعمل على سيارة أجرة يزيد بها من دخله، وفى أحد الأيام وهو فى كَدِّه وتعبه فى سيارة الأجرة وقريبًا من المغرب، وإذا بامرأة من الجنسية الأسيوية تستوقفه لإيصالها إلى المستشفى فلما علم موظفو المستشفى أن حالتها صعبة جدًا أخذوا منه رقم هاتفه، وبعد ساعات اتصلوا به يطلبون حضوره حالاً، فلما سألهم عن السبب، قالوا: إن زوجتك قد ولدت طفلاً، فرد عليهم بغضب، زوجتى معى الآن فى البيت وليس عندى غيرها، قالوا: المهم حضورك فورًا، فلما وصل إلى إدارة المستشفى قال: ما هذه النكتة البايخة، التى أطلقتموها علىّ؟ الحمد لله أن زوجتى لم تسمعكم ولو سمعتكم لقامت قيامتى فى البيت، فقالوا: لم نطلق نكتة حتى تصبح بايخة، فالمرأة التى أوصلتها لما سألناها مَن زوجك أبو هذا الطفل؟ قالت: صاحب السيارة الأجرة الذى أوصلنى، فقال: أعوذ بالله من غضب الله، ما هذا الافتراء؟ صحيح أن «المصائب تأتيك وأنت نائم» فأراد أن يصحح هذا الاتهام ويخرج منه فطلب منهم أخذ عينه من دمه ودم الطفل، فلما قاموا بذلك وأثناء انتظاره للنتيجة ويده على قلبه يدعو ربه أن يُخرجه من هذه الورطة، وإذا بالطبيب يقول له: نأسف على أذيتك وانشغالك معنا، فلا دمك يوافق دم الطفل ولا أنت تستطيع الإنجاب لأنك عقيم!!.

---

(١) قال ﷺ: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل يا رسول الله: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت». الحمو: أخو الزوج أو أقاربه. رواه البخارى ومسلم عن عقبة بن عامر.

فقال الرجل: وهذه نكتة أبوخ من سابقتها، فأنا متزوج من سنين وعندى من الأولاد ستة وتقولــون: إنى عقيم!!، افحصوا مرة أخــرى وشدد عليهم فى ذلك، فأعادوا التحــاليل وجاء الطبيب مؤكدًا على نتــيجة الفحص الأول قائلاً: يا أخى أما قلت لك إنك عقيم لا تنجب؟؟!!.

فخرج الرجل من مصيبة ودخل فى أخــرى.. ولما قام بالتحقيق والمتابعة إذا بأخيه يعاشر زوجتــه طيلة تلك السنين، وهو مؤتمن عليه فى ماله وأهله، فاعترف الاثنان بجريــمتهما البشعة المأساوية الشنيــعة، فكانت المرأة الأسيوية سببًا فى ذلك، فلم يستطع الثلاثة الزوج والزوجة والأخ أن يــفلتوا مما قدره الله وكتــبه عليهم، وصــدق الله القائل: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ** الظَّالِمُونَ﴾[1][2].



(١) سورة إبراهيم: الآية: (٤٢).

(٢) بتصرف من مجلة النور الكويتية «عدد ١٥٩».

تلقى أولادها من الطابق العاشر[1]!!!

تخرَّج أنور من الجامعة مهندسًا، وافتتح له أبوه مكتبًا فخمًا وأهداه سيارة ووعده بأن يهديه «فيلا» فخمة عند زواجه، وكان والد أنور يعمل مقاولاً، وقد رست مناقصة بناء عمارة حكومية عليه وكانت المهندسة «س-و» وهى المشرفة الهندسية على مشروع بناء العمارة الحكومية وكانت جميلة حسناء، فأُعجب بها المقاول والد أنور، ومع مرور الأيام نشأت بينه وبينها علاقة غرامية اختلطت فيه المصالح الشخصية مع العواطف والشهوات الحيوانية، ورغم فارق السن بينهما تطورت العلاقات بين المقاول والمهندسة، وكان والد أنور يغدق على المهندسة بالهدايا، وبارك الشيطان هذه العلاقة فسقطا بالفاحشة، وهتكا المحرمات وانغمسا فى الحرام دون خوف أو حياء وكان الشيطان يرعى هذه العلاقة وينميها ويطورها، وتعددت اللقاءات بين المهندسة « س-و » والمقاول والد أنور فحملت منه سفاحًا، فأخبرت المهندسة عشيقها المقاول أنها حامل فى شهرها الثانى وأنها لا تمانع فى الزواج منه، لكن المقاول مع كبر سنه إلا أنه سقط فى الوحل واستلذ الحرام، فاقترح عليها اقتراحًا شيطانيًا خبيثًا، وذلك أن يجهض عشيقته المهندسة ويزوجها لابنه المهندس «أنور»، والمهندسة « س-و » هى من نفس حزب المقاول حزب الشيطان الذين لا يتوانون عن فعل أى شىء فى سبيل شهواتهم ومتطلباتهم فوافقت المهندسة على الاقتراح الشيطانى وأجهضت الجنين، وأخذ المقاول يحاول بكل وسيلة إقناع ابنه بالزواج من المهندسة، ولكن الابن

(١) كما تدين تُدان، سيد الرفاعى.

رفض الزواج منها؛ لأنه كان يعرف سلوكها عندما كانوا زملاء فى الجامعة وعلاقتها المشبوهة مع زملائه أثناء الدراسة، لكن والده المقاول غضب وهدده أن يحرمه من كل الامتيازات التى وفرها له «الفيلا والسيارة والمكتب» ويحرمه من أى مشروع وذلك من خلال علاقاته بالمسؤولين.

ورضخ «أنور» لرغبة والده وعقد النكاح بين المهندسة « س-و » وأنور بمباركة من الوالد العاشق، ومرت الأيام وعادت العلاقة بين المهندسة ووالد زوجها، وحملت « س-و » وهى غير متأكدة هل حملها من زوجها المهندس أنور أم والده!!! وولدت طفلين توأمين.

وحتى يخلو الجو للوالد الماجن كان يرسل ابنه المهندس فى مهمات عملية للإشراف على تعهدات ومقاولات تابعة له فى مناطق نائية بعيدة حتى يغرق الوالد فى بؤرة الفساد مع زوجة ابنه.

وحملت المهندسة « س-و» مرة ثانية ولكنها هذه المرة كانت متأكدة أن حملها كان أثناء غياب زوجها فهى حامل من والده المقاول.

ولدت المهندسة أيضًا توأمين طفلاً وطفلة!!.

استمرت « س-و » مع المقاول والد زوجها بعلاقتها الحرام وكان المقاول الأب يغرقها هى وأولادها بالأموال ويرعاهم.

وذات يوم كان الابن المخدوع فى مهمة عمل إلا أنه عـ' قبل موعده ورأى سيارة والده فى الكراج فصعد الدرج إلى الطابق العلوى حيث غرف النوم فرأى والده مع زوجته وهما يتنادمان فى جلسة لا توحى إلا بعلاقة حرام بينهما ولما أحسا به تصرفا بشكل طبيعى وكأن لم يكن بينهما شىء، وجم المهندس أنور وأدرك أن علاقة حرام تجمع بين والده وزوجته ولكنه انتظر حتى يستفسر من زوجته عندما غادر والده البيت عائدًا لبيته وكتم أنور غضبه، وفى الصباح أخذ فى مساءلة زوجته عما رآه البارحة وتطور النقاش

بينهما فاتهمها أن الأولاد ليسوا أولاده وأنهم أولاد حرام، فبصقت الزوجة في وجه زوجها واتهمته بعدم الرجولة وخرج أنور والشر يتطاير من عينيه متوجهًا إلى بيت والده وصارحه بالأمر وانهارت بينهما القيم وتقطعت الأواصر.

أما الزوجة التعيسة فجُن جنونها وسيطرت عليها حالة من الهيستيريا أفقدتها أعصابها فأخذت ترمى بأولادها من الطابق العاشر واحدًا تلو الآخر وسط ذهول الناس ورغم توسلاتهم ألا تلقى بهم، ولكنها أعماها الغضب والجنون وألقت بهم جميعًا دون رحمة أو شفقة من الطابق العاشر![1].

الزواج العرفى... ومصيبة لا تخطر على البال!!!

رجل تزوج ورزقه الله بالأولاد... وأراد أن يتزوج مرة أخرى لكنه خاف أن تعلم زوجته الأولى فتطلب الطلاق وتحرمه من أولاده فتزوج فى السر ولم يُخبر أحدًا بذلك.

وتمضى الأيام والسنوات ويُقدر الله أن يدخل ولده من زوجته الأولى الجامعة وتدخل ابنته من زوجته الثانية إلى الجامعة... ويُقدر الله أن يحب كل واحدٍ منهما الآخر ويُقررا الزواج العرفى لعلمهما بأن الأسرة لن توافق على الزواج فى فترة الدراسة.

والعجيب أنهما وهما يوقعان على العقد وجدا تطابقًا كاملاً فى الاسمين فقال الشاب للفتاة: انظرى إلى هذا الحب والذوبان والتوافق حتى وصل التطابق فى الاسمين إلى حد التكامل.

(١) جريدة الأنباء.

ولما أحست البنت بالحمل فى أحشائها طلبت من الشاب أن يأتى إلى البيت ليطلبها رسميًا وليتزوجها زواجًا شرعيًا صحيحًا . . . وحددت له موعدًا ليكون والدها فى البيت.

وذهب الشاب إلى بيتها . . . وكانت المفاجأة . . . فما إن فُتح الباب حتى وجد الشاب والده هو الذى يفتح الباب فسأل نفسه: ما الذى جاء به إلى هنا . . . هل أرادت الفتاة أن تعمل له مفاجأة فطلبت من والده أن يحضر؟ . . . كلا . . . إذًا فما الذى حدث . . .

سأل الشاب الفتاة فأخبرته أنه والدها . . . فلما عرف الشاب الحقيقة ألقى بنفسه من الطابق العلوى منتحرًا ليموت وسقط الوالد على الأرض وقد أُصيب بأزمة قلبية . . . ولما علمت الفتاة بتلك الحقيقة أُصيبت بحالة نفسية فقدت فيها الوعى والنطق.

إنها ثمرة مريرة لكل من أعرض عن شرع الله (جل وعلا).

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾[1].



(١) سورة طه: الآيات: (١٢٣ - ١٢٧).

الوالد يصاب بجلطة فى المخ لأن ابنته تزوجت عُرفيًا

تقول الفتاة: عملت أنا وزميلى فى الجامعة ثنائيًا عاطفيًا كان محل أنظار الجميع... وكأن الجامعة قد تحولت إلى واحة فيحاء للحب والعشق والغرام.

تقول: ولما تقدم الشاب لوالدى لخطبتى رفض الوالد لأن ظروف الشاب المادية لا تسمح بالزواج... فقررنا أن نتزوج عُرفيًا لنضع الأسرتين أمام الأمر الواقع... فلما انتهت الامتحانات وعلمنا بخبر نجاحنا اتصلت أنا وهو على الأسرتين لنبلغ الأسرتين معًا بخبر النجاح ثم بخبر الزواج.

تقول: وأعطيت سماعة الهاتف لهذا الشاب الذى تزوجنى عُرفيًا ليخبر أمى بخبر زواجنا... فلما أخبرها الخبر صرخت الأم صرخة سمعتها وأنا أقف بجواره ووقعت الأم المسكينة على الأرض ثم أسرع الوالد إلى امرأته التى سقطت على الأرض وسألها: ما الخبر هل ماتت ابنتنا قالت: ليتها ماتت... لقد تزوجت ابنتك.

فلما علم الوالد المسكين بذلك سقط هو الآخر على الأرض ونُقل إلى المستشفى وفى غرفة العناية المركزة خرج الطبيب ليخبرهم بأن الوالد قد أُصيب بجلطة فى المخ قد تسببت فى شللٍ نصفى - ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

* * *

بعد رحلة الإدمان.. مات ساجداً للرحمن

شاب كان مسرفًا على نفسه بالمعاصى والآثام... ومن كثرة معاصيه أنه كان لا يتوانى عن فعل أى معصية... يتعاطى المخدرات ويفعل الفواحش.. بل وصل الأمر إلى أنه كان يضرب أمه وأبيه..

فلما استحالت العشرة بينه وبين أسرته جعلوا له غرفة فى السطح يعيش فيها وحده بعيدًا عنهم.

وفى يوم من الأيام يتعاهد أربعة من الإخوة الصالحين أن يأتوا إلى هذا الشاب العاصى لينصحوه... فصعدوا إلى غرفته فوجدوه سكرانًا فاقد العقل فجلسوا معه وحاولوا أن يكلموه لكنه لا يشعر بهم... جلسوا معه حتى أفاق قليلاً ثم بدأوا يُذكروه برحمة الله وبالجنة والنار فإذا به يبكى ويقول: والله ما سمعت من قبل هذا الكلام فأريد أن آتى معكم.

فذهبوا به معهم وكانوا مسافرين فسافروا خارج المدينة التى هو فيها ونزلوا فى أحد المساجد وكان هذا الشاب معهم مُعلنًا توبته إلى الله لكنه كان ما يزال يعانى من أثر المخدرات حتى أنه صاح بهم فى الليل: قوموا فاربطونى بالحبل فإنى أخشى أن أخرج لأبحث عن المخدرات.

قالوا له: هيا نذهب بك إلى المستشفى. قال لا: بل اربطونى.

فربطوه ربطًا شديدًا ومع ذلك استطاع أن يتخلص من ذلك القيد وجلس يبكى بجوارهم من شدة الألم.

واستمر على تلك الحالة خمسة عشر يومًا وهو يعانى من ألم التخلص من المخدرات.. لكنه صادق فى توبته... نحسبه كذلك ولا نزكى على الله

أحدًا- وبعد خمسة عشر يومًا أراحه الله من آثارها.

وذهبوا به إلى المستشفى فلما أجرى الطبيب بعض التحاليل وإذا به يقول: لا يمكن أن يكون هذا الرجل قد تعاطى المخدرات من قبل.

ومكث هذا الشاب ثلاثة أشهر غائبًا عن أهله... أما أهله فلم يسألوا عنه لأنهم يئسوا منه فظنوا أنه قُبض عليه أو أنه مات فى حادث ليستريحوا من أذاه.

وبعد ثلاثة أشهر يذهب إلى منزل أسرته ويقرع الباب فتفتح أمه لترى ابنها الذى اختفى منذ ثلاثة أشهر... تراه وقد تغير وجهه وزادت هيئته بهاءً وجمالاً ووقاراً فأقبل على أمه ليعانقها ويُقَبِّل رأسها ويبكى ويطلب منها أن تسامحه فقالت أمه: سامحتك يا بنى.

فقال لها: يا أماه أشتهى أن آكل طعامًا من صنع يديك... فقامت الأم تصنع له طعامًا... فقام وكبَّر للصلاة وقرأ وركع ورفع وسجد وأطال السجود... وجاءت أمه بالطعام لترى ولدها ساجدًا فأخذت تبكى بكاءً شديدًا فرحًا بهداية ولدها لكن ابنها أطال السجود ثم أطال السجود... فنادت عليه أمه فلم يُجبها.. حرَّكته فإذا به قد مات ساجدًا...

دخل جيرانه ودخل أهله ليروا هذا الشاب الذى كان فى غاية الإجرام والفساد... وإذا به يموت ساجدًا...

فتشوا جيبه وأخرجوا أوراقه وإذا فيها وصيته مكتوبة.

أتدرون ما هى وصيته؟... كانت وصيته أنه إذا مات فعلى أمه أن تخيط له الأكفان وأن يحمل جنازته شباب الحى الذين كان يعرفهم قبل الالتزام حتى يتوبوا إلى الله وأن يكون الذى يدفنه أبوه.

* * *

ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور

وفى المقابل:

ها هو رجل مؤذن فى أحد المساجد - وفى دولة من دول الخليج- كان معروفًا بحرصه على تغسيل الموتى لينال الأجر والثواب على ذلك.

يقول: وفى ليلة من الليالى فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل وإذا بباب منزلى يُطرق طرقًا شديدًا فقمت وفتحت الباب وإذا ببعض الجيران يخبرونى بوقوع حادث مُروِّع لثلاثة من الشباب الملتزم فقد انقلبت بهم السيارة وماتوا جميعًا وهم يريدون أن يُغسلوهم ليصلوا عليهم صلاة الجنازة بعد صلاة الفجر مباشرة.

يقول المؤذن: فذهبت معهم وتم الاتفاق على تغسيلهم فى مغسلة قريبة من المقابر.

يقول: فلما أردنا أن نبدأ الغُسل وجدنا أن المغسلة ليس فيها إضاءة فاقترح أحدهم أن نقترب بإحدى السيارات ونغسل على ضوء السيارة وهذا الذى حدث.

يقول المؤذن: وما إن بدأت فى غسل الشاب الأول وإذا به يرفع أصبع السبابة بإشارة التوحيد فحاولت أن أُعيد أصبعه فلم أستطع فنظرت فى وجهه فوجدته كأنه فلقة قمر... ونفس الشيء حدث مع الشاب الثانى... وما إن شرعت فى غسل الثالث وإذا بالمفاجأة التى لا تخطر على قلب بشر... فلقد خرج من وجهه نور عجيب حتى أشار علىَّ أحد الحاضرين بأن نُطفئ نور السيارة وأن نغسله على هذا النور الذى يصدر من وجهه ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ**

اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[١] فعلمنا أن هؤلاء الشباب قد ماتوا على حسن الخاتمة ولكن أفضلهم كان هذا الشاب الصالح الذى كان النور يشع من وجهه.

فلنحرص على طاعة الله - جل وعلا- ولنغتنم كل لحظة فى طاعته ليختم لنا بخاتمة أهل السعادة ولنكون من أهل الأنوار الذين قال الله عنهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣].



(١) سورة النور: الآية: (٤٠).
(٢) سورة التحريم: الآية: (٨).
(٣) سورة الحديد: الآية: (١٢)

أليس الله بكافٍ عبده؟

وذكر بزرجمهر حكيم فارس: أن عجوزًا فارسية كان عندها دجاج فى كوخ مجاور لقصر كسرى الحاكم، فسافرت إلى قرية أخرى، فقالت: يا ربِّ أستودعك الدجاج، فلما غابت، عدا كسرى على كوخها؛ ليوسع قصره وبستانه، فذبح جنوده الدجاج، وهدموا الكوخ، فعادت العجوز؛ فالتفتت إلى السماء وقالت: يا ربِّ، غبت أنا فأين أنت! فأنصفها الله وانتقم لها، فعدا ابن كسرى على أبيه بالسكين فقتله على فراشه.

نعوذ بالله من سوء الخاتمة

كان بمصر مؤذن عليه علامات الصلاح، وذات يوم صعد المنارة ليؤذن فرأى نصرانية جميلة من المنارة، فافتتن بها، فذهب إليها فامتنعت أن تجيبه إلى ريبة وشبهة، فقال لها: أتزوجك، فقالت: أنت مسلم، وأنا نصرانية، فلا يرضى أبى. قال: أتنصر، فقالت: الآن يجيبك ويرضى. فتنصَّر الرجل - والعياذ بالله-، ووعدوه أن يُدخلوه عليها. وفى أثناء ذلك اليوم رقى سطحًا لحاجة فزلّت قدمه، فوقع ميتًا فلا هو ظفر بها ولا هو ظفر بدينه، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة.

* * *

المقبرة تشتعل نارًا!

بينما كان الحارس الليلى لمقبرة القاهرة القديمة يقف على باب المقبرة فى منتصف الليل، رأى النيران فجأة تنبعث من القبور، ويخرج دخان كثيف ملأ سماء المقبرة.

ارتعد الحارس عبد الغفار زينو من الخوف، ولم يصدِّق ما رآه بأمِّ عينه! وذهب مهرولاً إلى مخفر الشرطة القريب يخبرهم بالحادث، ويقول: إن اللصوص أحرقوا المقبرة!

وبعد حوالى عشر دقائق كان رجال الشرطة والمطافئ قد وصلوا إلى المقبرة، وأخذ رجال الإطفاء يصارعون النار، حتى أخمدوا النيران وانجلى الدخان الكثيف. ولكنهم دُهشوا حينما عادت النيران بعد قليل، وأقوى من السابق، ثم توقفت فجأة دون أن يخمدها أحد.

وأخذ رجال الشرطة يحفرون القبور، لعلهم يعثرون على أثر، لكنهم لم يجدوا سوى جماجم قديمة، ولم يجدوا أثرًا للنيران داخل القبور...، ثم لم يجدوا تفسيرًا لتلك الحادثة الغريبة[١] !

وفى الكون أسرار وظواهر، لا يعلمها إلا الله.

* * *

(١) صور غريبة من العالم (ص ٤٩، ٥٠).

المشتاقون إلى الجنة

قال رجاء بن حيوة - الوزير المخلص لعمر بن عبد العزيز -: كنت مع عمر ابن عبد العزيز لما كان واليًا على المدينة، فأرسلنى لأشترى له ثوبًا، فاشتريته له بخمسمائة درهم، فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه رخيص الثمن.

فلما صار خليفة للمسلمين، بعثنى لأشترى له ثوبًا، فاشتريته له بخمسة دراهم، فلما نظر فيه قال: هو جيد لولا أنه غالى الثمن.

قال رجاء: فلما سمعت كلامه، بكيت.

فقال لى عمر: ما يُبكيك يا رجاء؟ قلت: تذكرت ثوبك قبل سنوات وما قلت عنه، فكشف عمر لرجاء بن حيوة سر هذا الموقف، وقال: يا رجاء، إن لى نفسًا تواقة، وما حققت شيئًا إلا تاقت لما هو أعلى منه. تاقت نفسى إلى الزواج من ابنة عمى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، ثم تاقت نفسى إلى الإمارة فوليتها، وتاقت نفسى إلى الخلافة فنلتها. والآن يا رجاء تاقت نفسى إلى الجنة. فأرجو أن أكون من أهلها.

* * *

أدخلنى الجنة برحمتك

عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال: «خرج من عندى خليلى جبريل آنفًا، فقال: يا محمد! والذى بعثك بالحق إن لله عبدًا من عباده عَبَد الله خمسمائة سنة على رأس جبل فى البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعًا فى ثلاثين ذراعًا، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج له عينًا عذبة بعرض الإصبع تفيض بماء عذب فيستقر فى أسفل الجبل، وشجرة رُمان تخرج له فى كل ليلة رمانة. يتعبد يومه فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها، ثم قام لصلاته، فسأل ربه عند موته أن يقبضه ساجدًا وأن لا يجعل للأرض ولا لشىء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه الله وهو ساجد، قال: ففعل فنحن نمر عليه إذا هبطنا، وإذا صعدنا فنجد له فى العلم إنه يبُعث يوم القيامة فيوقف بين يدى الله، فيقول له الرب: أدخلوا عبدى الجنة برحمتى، فيقول: ربِّ بل بعملى، فيقول: أدخلوا عبدى الجنة برحمتى، فيقول: ربِّ بل بعملى، فيقول الله: قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعمة الجسد فضلاً عليه. فيقول: ردوه، فيوقف بين يديه، فيقول: يا عبدى! من خلقك ولم تكن شيئًا؟ فيقول: أنت يا ربِّ، فيقول: من قواك لعبادة خمسمائة سنة؟ فيقول: أنت يا ربِّ، فيقول: من أنزلك فى جبل وسط اللُّجة وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة وإنما تخرج مرة فى السنة، وسألته أن يقبضك ساجدًا ففعل؟، فيقول: أنت يا ربِّ. قال: فذلك برحمتى، وبرحمتى أدخلك الجنة، أدخلوا عبدى الجنة، فنعم العبد كنت يا عبدى فأدخَله الجنة»(١).

---

(١) رواه الحاكم، وهو ضعيف الإسناد. ولكن معناه صحيح.

الباب الثالث

قبس من المعجزات والكرامات

انشقاق القمر

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ **بمنًى** إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله ﷺ : **«اشهدوا»**(١).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين(٢).

قال القاضى: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ، وقد رواها عدة من الصحابة ﷺ مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها.

حنين الجذع

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار، فقال: **«مُرى غلامك النجار أن يعمل لى أعوادًا أجلس عليهن إذا كلمت الناس»**، فأمرته فعملها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها فأمر بها فوضعت.

قال جابر: فلما وُضع له المنبر، سمعنا للجذع مثل أصوات العشار حتى نزل النبى فوضع يده عليه (٣).

قال جابر: كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها.

وفى رواية للبخارى من حديث جابر بن عبد الله ﷺ أن النبى ﷺ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٦٤) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٨٠٠) كتاب صفات المنافقين.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٨٦٧) كتاب التفسير، ومسلم (٢٨٠٢) كتاب صفات المنافقين.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٩١٨) الجمعة.

كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة، أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل -: يا رسول الله! ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «إن شئتم» فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل النبى ﷺ، فضمه إليه يئن أنين الصبى الذى يُسكَّن، قال [(١)]: «**كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها**».

وفى سنن الدارمى بإسناد صحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب فى المسجد فيخطب الناس فجاءه رومى فقال: ألا أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكأنك قائم فصنع له منبرًا له درجتان ويقعد على الثالثة فلما قعد نبى الله ﷺ على ذلك المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد حزنًا على رسول الله ﷺ فنزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتَزمه وهو يخور فلما التزمه رسول الله ﷺ سكن ثم قال: «**أما والذى نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة حزنًا على رسول الله ﷺ**» فأمر به رسول الله ﷺ فدُفن[(٢)].

وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: ووقع فى حديث الحسن عن أنس: كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث يقول: يا معشر المسلمين! الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إلى لقائه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.



(١) أشار الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إلى أن القائل كانت تبكى.. هو: رسول الله ﷺ.
(٢) صحيح: صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢١٧٤).

نبع الماء
من بين أصابعه ﷺ

* عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «عطش الناس يوم الحديبية، والنبى ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ فجهش الناس نحوه، فقال: «**ما لكم؟**» قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ، ولا نشرب إلا ما بين يديك فوضع يده فى الرِّكوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟

قال: لو كنا مائة ألف لكفانا. كنا خمس عشرة مائة»(١).

*وعن أنس بن مالك، أنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأُتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع رسول الله ﷺ فى ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه. قال: فرأيت الماء ينبعُ من تحتِ أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم.

قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة (٢)- أى: ما يقارب ثلاثمائة -.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٧٦) كتاب الأنبياء، ومسلم (١٨٥٦) كتاب الإمارة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٦٩) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٢٧٩) كتاب الفضائل.

كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه ﷺ

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر، فقلَّ الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء، ثم قال: «**حيَّ على الطهور المبارك، والبركة من الله**»، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل(١).

الجمل يسجد للحبيب ﷺ

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وأنه استصعب عليهم، فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه كان لنا جمل نسنى عليه، وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا**» فقاموا، فدخل الحائط والجمل فى ناحيته، فمشى النبى ﷺ نحوه، فقالت الأنصار: يا رسول الله إنه قد صار مثل الكَلْب الكَلِب(٢) وإنا نخاف عليك صولته، فقال: «**ليس علىَّ منه بأس**»، فلمَّا نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذلَّ ما كانت قط، حتى أدخله فى العمل، فقال له أصحابه: يا رسول الله! هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٦٩) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٢٧٩) كتاب الفضائل.

(٢) الكَلْب الكَلِب: أى الكلب: المفترس.

نسجد لك، فقال: «**لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظم حقه عليها، والذى نفسى بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تتفجر بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدَّت حقه**»(١).

جمل يبكى ويشكو للنبى ﷺ

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال:

أردفنى رسولُ الله ﷺ ذات يوم خلفه، فأسرَّ إلىَّ حديثًا، لا أُخبر به أحدًا أبدًا، وكان رسول الله ﷺ أحب ما استتر به فى حاجته هدف أو حائش نخل، فدخل يومًا حائطًا من حيطان الأنصار، فإذا جملٌ قد أتاه، فجرجر وذرفت عيناه. . فلما رأى رسول الله ﷺ، حنَّ وذرفت عيناه.

فمسح رسول الله ﷺ سراته وذفراه، فسكن، فقال: «**من صاحب الجمل؟**»، فجاء فتى من الأنصار قال: هو لى يا رسول الله، فقال: «**أما تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملَّكها الله لك، إنه شكا إلىَّ أنك تُجيعه وتُدئبه**»(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد (١٢٢٠٣)، والضياء (١٨٩٥)، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٤): رواه أحمد، والبزار ورجاله رجال الصحيح غير حفص ابن أخى أنس وهو ثقة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٩٣٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٤٢)، وأبو داود (٢٥٤٩) كتاب الجهاد، واللفظ له.

نزول اللبن
من ضرع شاة لا يُنزل لبنًا

عن ابن مسعود قال: كنت أرعى غنمًا لعقبة بن أبى مُعيط، فمرَّ بى رسول الله ﷺ وأبو بكر، فقال: **«يا غلام! هل من لبن؟»** قلت: نعم، ولكنى مؤتَمن، قال: **«فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل؟»** - أى: لا تُدر لبنًا - فأتيته بشاة، فمسح ضرعَها، فنزل لبنٌ، فحلب فى إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: **«اقلُص»** - أى: انضم وأمسك عن إنزال اللبن - فقلص، قال: ثم أتيته بعد هذا، فقلت: يا رسول الله ! عَلِّمنى من هذا القول، فمسح رأسى، وقال: **«يرحمك الله! إنك غُلَيِّمٌ معلَّم»**(١).

وفى رواية قال ابن مسعود: فأتيته بعد ذلك، فقلت علمنى من هذا القول: قال: **«إنك غلام معلَّم»** فأخذت من فيه - فمه - سبعين سورة لا ينازعنى فيها أحد (٢).

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد (٣٥٨٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح السيرة النبوية (ص ١٢٤).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٤٣٨٩)، وانظر السابق.

شجرة تخبر رسول الله ﷺ باستماع الجن إليه

ففى الحديث الذى رواه البخارى، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن الذى أخبر رسول الله ﷺ باستماع الجن إليه هى شجرة، فقد ساق البخارى بإسناده إلى معن بن عبد الرحمن قال: سمعت أبى قال: سألت مسروقًا: من آذن النبى ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثنى أبوك - يعنى: عبد الله بن مسعود - أنه آذنت بهم شجرة [1].

الوحش يوقر النبى ﷺ ويحترمه

ففى الحديث الذى رواه أحمد بإسنادٍ حسن من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان لآل رسول الله ﷺ وحش[2]، فكان إذا خرج رسول الله ﷺ، اشتد ولعب فى البيت، فإذا دخل رسول الله ﷺ سكن فلم يتحرك كراهية أن يؤذيه[3].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٨٥٩) كتاب المناقب، ومسلم (٤٥٠) كتاب الصلاة.

(٢) قال الشيخ مصطفى العدوى: أصل الوحش: كل ما لا يستأنس من دواب البر، ولكن الذى يتبادر إلى الذهن هنا أنه القط. - والله أعلم.

(٣) رواه أحمد (٢٤٦٤٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

ذئب يتكلم ويشهد بالرسالة

عن أبى سعيد الخدرىّ رضي الله عنه قال: عدا الذئب على شاة، فأخذها، فطلبه الراعى، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذَنَبه، فقال: ألا تتقى الله ؟! تنتزع منى رزقًا ساقه الله إلىَّ، فقال: يا عجبى ذئب يكلمنى كلام الإنس!.

فقال الذئب: ألا أُخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يُخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها أى: زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنودى الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعى: **«أخبرهم»**، فأخبرهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«صدق والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يُكلِّم السباع الإنسَ، ويُكلِّم الرجل عَذَبةُ سوطِهِ، وشراكُ نعلِهِ، ويخبره فخذُه بما أحدثه أهله بعده»**[1].

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد (١١٣٨٣)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح السلسلة الصحيحة (١٢٢).

النبى ﷺ له قوة أربعين رجلاً من أهل الجنة

ففى صحيح البخارى من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ يطوف[١] على نسائه فى ليلة واحدةٍ وله تسع نسوة[٢].

وفى رواية للبخارى عن قتادة أنه قال: حدثنا أنس بن مالك قال: كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهُن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أوَ كان يُطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أُعطى قوة ثلاثين[٣].

وفى رواية: «قوة أربعين».

قال الحافظ فى الفتح: وفى صفة الجنة لأبى نعيم من طريق مجاهد مثله وزاد «**من رجال أهل الجنة**» وعند أحمد والنسائى وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه «**إن الرجل من أهل الجنة ليُعطَى قوة مائةٍ فى الأكل والشُّرب والجماع والشهوة**» فعلى هذا يكون حساب قوة نبينا أربعة آلاف[٤].

* * *

(١) يطوف على نسائه: أى: يجامعهن.
(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٠٦٨) كتاب النكاح.
(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٦٨) كتاب الغسل.
(٤) فتح البارى (١/ ٤٥٠) ط. دار الريان.

لو دنا من النبى ﷺ لاختطفته الملائكة

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١).

ففى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟ (أى يسجد) قال: فقيل: نعم.

فقال: واللات والعُزَّى! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه فى التراب.

قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زعم ليطأ على رقبته قال: فما فجَئهم منه إلا وهو ينكُصُ على عقبيه ويتقى بيديه. قال: فقيل له ما لك؟

فقال: إن بينى وبينه خندقًا من نارٍ وهولاً وأجنحة.

فقال رسول الله ﷺ: «**لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»(٢).

* * *

(١) سورة المائدة - الآية: (٦٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٩٧) كتاب صفات المنافقين.

حُب الصبيان للنبى ﷺ

حُكى أن غلمانًا من أهل البحرين خرجوا يلعبون الكرة، وأُسْقُف البحرين قاعد فوقعت الكرة على صدره، فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فرفض، فقال غلام منهم: سألتك بحرمة محمد ﷺ إلا رددتها علينا فأبى وأخذ يسب رسول الله ﷺ، فأقبلوا عليه بعصيهم يضربونه حتى مات، فَرُفع ذلك إلى عمر رضي الله عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحه بقتل الغلمان لذلك الأسقف، وقال: الآن عَزَّ الإسلام إن أطفالاً صغارًا شُتم نبيهم فغضبوا وانتصروا. . . . وأهدر دم الأسقف.

*   *   *

الأرض تلفظ من أراد أن يخدع رسول الله ﷺ

ففى الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: كان رجلٌ نصرانيًّا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران، فكان يكتب للنبى ﷺ فعاد نصرانيًّا فكان يقول: ما يدرى محمد إلا ما كتبت له، . . . . فأماته الله فدفنوه، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه، فحفروا له فأعمقوا، فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا له فى الأرض ما استطاعوا، فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه[1].

وهكذا ينتقم الله - عز وجل- لحبيبه ﷺ فهو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[2].

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦١٧) كتاب المناقب، ومسلم (٢٧٨١) كتاب صفات المنافقين وأحكامهم.
(٢) سورة الحج: الآية: (٣٨).

الله يرسل صاعقة على رجل رفض الاستجابة لرسول الله ﷺ

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى؛ فقال: إيش ربك الذى تدعونى إليه؟! من حديد هو ؟! من نحاس هو؟! من فضة هو؟! من ذهب هو؟! فأتى النبى ﷺ فأخبره فأعاد النبى ﷺ الثانية فقال مثل ذلك فأتى النبى ﷺ فأخبره فأرسله الثالثة فقال مثل ذلك فأتى النبى ﷺ فأخبره فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله ﷺ : «**إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته**» فنزلت هذه الآية: ﴿ **وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ** ﴾[١][٢].

* * *

(١) سورة الرعد: الآية: (١٣).

(٢) رواه البزار فى [كشف الأستار (٣/ ٥٤)] بإسناد صحيح.

الدعاء المستجاب.. والمطر المبارك

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ أنه ذكر أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا فقال: يا رسول الله! هلكت المواشى وانقطعت السُّبل فادع الله يغيثنا قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا**» قال أنس: ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئًا وما بيننا وبين سلع - جبل - من بيت ولا دار قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء، انتشرت، ثم أمطرت قال: والله ما رأينا الشمس ستًّا - ستة أيام - ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبله قائمًا فقال: يا رسول الله! هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والجبال والآجام والظِّراب والأودية ومنابت الشجر**» قال: فانقطعت وخرجنا نمشى فى الشمس[1].



(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٠١٣) كتاب الجمعة، ومسلم (٨٩٥) كتاب صلاة الاستسقاء.

أبو هريرة رضي الله عنه لا ينسى الحديث أبدًا ببركة دعاء النبى ﷺ له

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ والله المَوْعِدُ[١]... كنت رجلاً مسكينًا أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطنى وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم فقال رسول الله ﷺ: «**من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئًا سمعه منى**» فبسطت ثوبى حتى قضى حديثه، ثم ضممته إلىَّ فما نسيت شيئًا سمعته منه[٢].

شياطين الجن والإنس تفر من عمر رضي الله عنه

إن الإنسان كلما ازداد خوفه من ربه - عز وجل - فإن الله يُلقى هَيبته فى قلوب مَن حوله.. وها هو فاروق الأمة رضي الله عنه يُلقى الله هيبته فى قلوب الشياطين.. فما إن تراه حتى تهرب خوفًا منه !!!

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمرُ على النبى ﷺ وعنده نسوة من قريش يُكلِّمنه- وفى رواية: يسألنه، ويستكثرنه - عالية أصواتُهنَّ على صوته، فلما استأذن عمر، قمن يبتدرن الحجاب، فأذن له النبى ﷺ، فدخل عمر، والنبى ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله

(١) والله الموعد: أى: أن المرجع إلى الله تعالى فيحاسبنى إن تعمدت كذبًا ويحاسب من ظن بى السوء.
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٩٢) كتاب فضائل الصحابة.

سِنَّك(١)، بأبى وأمى ما أضحكك؟

قال: **«عجبت من هؤلاء اللاتى كُنَّ عندى، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»**.

قال عمر: فأنت يا رسول الله لأحق أن يهبن، ثم قال: أى عدوات أنفسهنَّ، أتهببننى، ولا تهبن النبى ﷺ؟

قلن: نعم، أنت أفظ، وأغلظ (٢) من النبى ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: **«إيه (٣) يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجك»**(٤).

وفى رواية: قال ﷺ: **«إنى لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فرُّوا من عمر»** (٥).



(١) قال الحافظ فى الفتح: لم يرد به الدعاء بكثرة الضحك، بل لازِمه، وهو السرور، أو نفى ضد لازمه، وهو الحزن (الفتح ٧/٥٨).

(٢) قال الحافظ فى الفتح: أفعل تفضيل من الفظاظة، والغلظة، وهو يقتضى الشركة فى أصل الفعل، ويعارض قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ فإنه يقتضى إنه لم يكن فظًّا، ولا غليظًا (انظر الفتح ٧/٥٨).

(٣) بالكسر، والتنوين معناها: حدثنا ما شئت، وبغير تنوين زدنا مما حدثتنا.

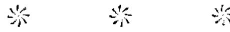
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٩١) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢٦١).

يا سارية الجبل

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر وجَّه جيشًا، ورأَسَ عليه رجلاً يقال له: سارية. قال: فبينما عمر يخطب فجعل ينادى: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، ثلاثًا، ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين! هُزمنا، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا مناديًا: يا سارية الجبل ثلاثًا، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله، قال: فقيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك [١].

قال الشيخ الألبانى رحمة الله عليه: فالقصة صحيحة ثابتة، وهى كرامة أكرم الله بها عمر، حيث أنقذ به جيش المسلمين من الأسر أو الفتك به، ولكن ليس فيها ما زعمه المتصوفة من الاطلاع على الغيب، وإنما هو من باب الإلهام -فى عُرف الشرع- أو التخاطر - فى عرف العصر- الحاضر الذى ليس معصومًا، فقد يصيب كما فى هذه الحادثة، وقد يخطئ كما هو الغالب على البشر [٢].

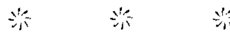


(١) رواه البيهقى فى الدلائل، وابن عساكر، وذكره ابن كثير فى البداية (٧/ ١٣٥)، وقال: وهذا إسناد جيد حسن، ووافقه الألبانى، وقال: وهو كما قال: انظر الصحيحة رقم (١١١٠).
(٢) السلسلة الصحيحة للألبانى (١١١٠).

من عمر بن الخطاب إلى نيل مصر

عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال: لما افتُتحت مصر، أتى أهلها عمرو ابن العاص - حين دخل بؤنة من أشهُر العجم - فقالوا: أيها الأمير! لنيلنا هذا سُنة لا يجرى إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بِكرٍ من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحُلى والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى هذا النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون فى الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله. قال: فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى (والنيل) لا يجرى قليلاً ولا كثيرًا، حتى همّوا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذى فعلت، وإنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابى، فألقِها فى النيل. فلما قدم كتابه أخذ عمر البطاقة فإذا فيها:

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر. أما بعد، فإن كنت إنما تجرى من قِبَلك ومن أمرك فلا تجرِ فلا حاجة لنا فيك، وإن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار، وهو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك» قال: فألقى البطاقة فى النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا فى ليلة واحدة وقطع الله السُّنة السيئة عن أهل مصر إلى اليوم»[(١)].



(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/ ١٠٢، ١٠٣).

عبور لا مثيل له في التاريخ

كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى سعد بن أبى وقاص ﷺ بالمسير إلى «المدائن» عاصمة كسرى. وتحرك الجيش المنتصر باتجاه المدائن، وسار المسلمون من نصر إلى نصر فى «برس» وفى بابل، وفى «بهرسير». وبذلك أصبح جيش المسلمين فى الضفة المقابلة للمدائن، وحاول سعد أن يُؤمِّن عبور جيشه فى السفن، فلم يقدر على شيء منها؛ لأنّ الفُرس ضمُّوا السفن ليحرموا المسلمين من الإفادة منها. وكان النهر عريضًا طافحًا بالماء، يقذف بالزَّبد لشدة جريانه، وموجُه متلاطم، وزاد المدُّ فيه، وارتفعت مياهه ارتفاعًا كبيرًا، وفى ليلةٍ من ليالى رأى سعد رؤيا خلاصتها أن خيول المسلمين اقتحمت مياه دجلة الهادرة وعبرت، وقد أقبلت من المد بأمرٍ عظيم.

فصدّق الرؤيا، وعزم على عبور النهر، فجمع الجيش وقام فيهم خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلُصُون إليه معه، وهم يخلُصون إليكم إذا شاؤوا فيناوشُونكم فى سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تُؤتوا منه، فقد كفاكموه أهل الأيام، وعطلوا ثغورهم، وأفنوا ذادتهم، وقد رأيت من الأوفق أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إنى قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم، فقالوا جميعًا: عزمَ الله لنا ولك على الرُّشد، فافعل»[١].

وندب سعد الناس للعبور، ثم قال: «من يبدأ ويحمى لنا الفراض[٢]

---

(١) الطبرى (٣/ ١١٩)، وابن الأثير (٢/ ١٩٨)، وفتوح الشام للواقدى (٢/ ١٢٧).

(٢) الفراض: جمع فرضة، وهى ثغور المخاضة من الناحية الأخرى ويُسمى فى المصطلح العسكرى رأس جسر.

لكيلا يمنعونا من العبور». فانتدب عاصم بن عمرو التميمى، وانتدب معه ستمائة من أهل النجدات، فعبر هؤلاء المغاوير، وعبر سعد مع جيشه بعدهم، ففاجؤوا أهل فارس بأمر لم يكن فى حسابهم.

سبحان الله !! نهر هادر لا يقلّ عُمق مياهه عن ستة أمتار تخوضه الخيول سباحةً وعلى رأسها الفرسان يقاتلون.

قال لهم سعد وهم يخوضون ليصلوا إلى شاطئ أسبانير: «قولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»[١].

لقد اقتحموا دجلة ما يكترثون، وإنهم ليتحدثون أثناء عبورهم النهر الهادر، كما يتحدثون فى مسيرتهم على الأرض.

نظر جنود «يزدجرد» إلى هذه الخيل التى ملأت دجلة، وجعلوا يرددون بالفارسية (ديوان آمد) ويقول بعضهم لبعض: «والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن».

قال أبو عثمان النهدى: «طُبقت دجلة خيلاً ودواب حتى ما يرى الماء من الشاطئ أحد، فخرجت بنا خيلنا إليهم تنفض أعرافها، لها صهيل، فلما رأى القوم ذلك انطلقوا لا يلوون على شىء».



(١) الطبرى (٤/٤٨).

ثقتها بالله ردت إليها بصرها

كان المشركون يعذبون المسلمين عذابًا شديدًا وكان من جملة هذا العذاب أنهم كانوا يلقون المرأة المسلمة ويحملون لها مكاوى الحديد، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال، يعبثون بعينها حتى يذهب بصرها، وممن عُذِّب بهذا العذاب (زنيرة جارية عمر بن الخطاب ﷺ)، وكان هو وجماعة من قريش يتولون تعذيبها، ولما ذهب بصرها قال المشركون: «ما أصاب بصرها إلا اللات والعُزَّى، فقالت لهم: «والله ما هو كذلك، وما تدرى اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء، والله قادر على أن يرد عليّ بصرى»، قيل: «فرد عليها بصرها»، فقالت قريش: «هذا من سحر محمد ﷺ»... وقد اشتراها أبو بكر وأعتقها ﷺ[1].

* * *

(١) السيرة لابن هشام (١/١٢٦).

سقاية من السماء وإسلام بالجملة

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وقع فى قلب أم شريك الإسلام وهى بمكة، فأسلمت، ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرًّا، فتدعوهن، وترغبهن فى الإسلام، حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها، وقالوا لها: «لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا، ولكنا سنردك إليهم»، قالت: فحملونى على بعير ليس تحتى شيء موطأ ولا غيره، ثم تركونى ثلاثًا؛ لا يطعمونى، ولا يسقونى، فنزلوا منزلاً، وكانوا إذا نزلوا وقفونى فى الشمس واستظلوا، وحبسوا عنى الطعام والشراب حتى يرتحلوا، فبينما أنا كذلك إذا بأثر شيء بارد وقع علىَّ منه، ثم عاد فتناولته، فإذا هو دلو ماء، فشربت منه قليلاً، ثم رُفع منى، ثم عاد فتناولته، فشربت منه قليلاً، ثم رُفع، ثم عاد أيضًا، فصنع ذلك مراراً حتى رويت، ثم أفضت سائره على جسدى وثيابى، فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء، ورأونى حسنة الهيئة، فقالوا لى: «انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه؟» فقلت: «لا والله ما فعلت ذلك، كان من الأمر كذا وكذا»، فقالوا: «لئن كنت صادقة، فدينك خير من ديننا» فنظروا إلى الأسقية فوجدوها كما تركوها، فأسلموا لساعتهم[1].

---

(١) الإصابة (٨/ ٣٤٨) - حلية الأولياء (٢/ ٦٦).

قصة الأسد مع (سفينة) مولى رسول الله ﷺ

إن الكون كله يشعر بطاعتك لله وهو كذلك يشعر بمعصيتك لله، ولذلك لما أطاع أصحاب الرسول ﷺ ربهم - جل وعلا -، سخَّر الله لهم كل شيء حتى الوحوش. وها نحن نعيش مع قصة مولى رسول الله ﷺ (سفينة) مع الأسد؛ لنعلم كيف يسخِّر الله الكون كله للمؤمن.

وخلاصة القصة: أن سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال: ركبت البحر فانكسرت بى سفينتى التى كنتُ فيها فركبت لوحًا من ألواحها، فطرحنى اللوح إلى أجمة فيها الأسدُ، فدخلتُ فخرج إلىَّ الأسدُ، فأقبل إلىَّ فقلت: يا أبا الحارث! أنا مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسهُ وأقبلَ إلىَّ يدفعنى بمنكبيه، فأخرجنى من الأجمة، ووقفنى على الطريق ثم همهم، فظننتُ أنه يودعُنى فكان هذا آخر عهدى به[1].

* * *

(١) قصة الأسد نقلها الحافظ ابن كثير فى «التاريخ» (٦ : ١٤٧) عن المصنف، وذكرها السيوطى فى «الخصائص الكبرى» (٢ : ٦٥) عن ابن سعد، وأبى يعلى، والبزار، وابن منده، والحاكم وصححه، والبيهقى، وأبى نعيم كلهم عن سفينة مولى رسول الله ﷺ.

الحسن والحسين رضى الله عنهما يمشيان فى ضوء برقة برقت لهما

عن أبى هريرة ﷺ قال: كنا نصلى مع رسول الله ﷺ العشاء، فكان يصلى، فإذا سجد وثب الحسن والحسين ﷺ على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما فوضعهما وضعًا رفيقًا، فإذا عادا عاد، فلما صلى جعل واحدًا ها هنا وواحدًا ها هنا، فجئته فقلتُ: يا رسول الله ! ألا أذهب بهما إلى أمهما قال: «لا» فبرقت برقةٌ، فقال: إلحقا بأمكما، فمازالا يمشيان فى ضوئها حتى دخلا[1].

(جعفر بن أبى طالب) يطير بجناحيه فى الجنة مع الملائكة

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره»**[2].

«وكان ابن عمر إذا حيًّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»[3].

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة»[4].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٠٢٨١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٣٢٥).

(٢) أخرجه ابن عدى (٣/ ٢٣٠ ، ترجمة ٧٢٤ زمعة بن صالح) ، والطبرانى (٢/ ١٠٧)، والحاكم (٣/ ٢١٧) وقال: صحيح الإسناد، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٧٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٧٠٩) كتاب المغازى.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٥٦).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**رأيت جعفر بن أبى طالب ملَكًا يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين**»(١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «**رأيت جعفر بن أبى طالب ملكًا فى الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء، يطير فى الجنة**»(٢).

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «**مرَّ بى جعفر الليلة فى ملأ من الملائكة، وهو مخضّب الجناحين بالدم، أبيض الفؤاد**»(٣).

وقال عبد الله بن جعفر: قال لى رسول الله ﷺ : «**هنيئًا لك!! أبوك يطير مع الملائكة فى السماء**»(٤).

وعن ابن عباس مرفوعًا: «إن جعفرًا يطير مع جبريل وميكائيل، له جناحان عوَّضه الله من يديه»(٥).



(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٦٣)، وأبو يعلى (٦٤٦٤)، والحاكم (٣/ ٢٣١)، وابن حبان (٧٠٤٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٢٦).

(٢) أخرجه ابن عدى (٥/ ٣٧١ ، ترجمة ١٥٣٥ عصمة بن محمد بن فضالة بن عبيد)، والطبرانى (٢/ ١٠٧)، وابن عساكر (١٩/ ٣٦٩)، وقال الحافظ فى الفتح: أخرجه الحاكم والطبرانى عن ابن عباس، وإسناده جيد.

(٣) قال الحافظ فى الفتح (٧/ ٩٦): أخرجه الحاكم بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(٤) قال الحافظ فى الفتح (٧/ ٩٦): أخرجه الطبرانى بإسناد حسن.

(٥) قال الحافظ فى الفتح (٧/ ٩٦): وإسناد هذه جيد.

الملائكة تغسل حنظلة

لما أحسَّ حنظلة بحاجته إلى زوجة صالحة تُعينه على أمر دينه ودنياه، ذهب وتزوج (حنظلة) جميلة بنت عبد الله بن أُبى ابن سلول، فأُدخلت فى الليلة التى فى صبيحتها كان قتال أُحد وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له، فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأُحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها - جامعها - وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها، فقيل لها فى ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فُرجت له فدخل فيها، ثم أُطبقت، فقلت هذه الشهادة. وعلقت بعبد الله بن حنظلة - أى حملت به -.

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبى ﷺ، وهو يسوى الصفوف، فلما انكشف المسلمون، اعترض حنظلة لأبى سفيان بن حرب، فضرب عرقوب فرسه، فوقع أبو سفيان. فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح فقال رسول الله ﷺ: **«إنى رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبى عامر بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة»**[1].

قال أبو أسيد الساعدى: فذهبنا فنظرنا إليه، فإذا رأسه يقطر ماء، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته أنه خرج وهو جُنب، فولده يقال لهم: **«بنو غسيل الملائكة»**[2].

وعن **عبد الله بن الزبير** رضي الله عنه **قال**: سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبى عامر بعد أن التقى وهو وأبو سفيان بن الحارث حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله، فقال رسول الله ﷺ: **«إن صاحبكم**

(١) رواه ابن سعد، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف الجامع (٢٠٨٧).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٥٣، ٢٥٤).

تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته عنه - زوجته -» فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جُنب، فقال رسول الله ﷺ: «**لذلك غسلته الملائكة**»(١).

هذا رزق الله (لخبيب بن عدى)

لما أخذ بنو الحارث بن عامر بن نوفل خُبيبًا أسيرًا - وكان خبيب قد قتل الحارث بن عامر يوم بدر - فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها، فأعارته فدرج بنيٌّ لها وهى غافلة حتى أتاه، فوجدته مُجلسَه فى فخذه والموسى بيده، قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب. فقال: أتخشين أن أقتله؟! ما كنت لأفعل ذلك.

قالت: والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب فى يده وهو موثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا(٢).

وعند ابن إسحاق: وما أعلم فى الأرض حبة عنب.

فانظر كيف كان جزاؤه من جنس عمله:

فلما حُبست قدمه عن السعى فى الرزق، سيق إليه الرزق سوقًا.



(١) حسن: رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢٠٤)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٦).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٩٨٩) كتاب المغازى.

صلة بن أشيم والأسد

صلة بن أشيم مات فرسه وهو فى الغزو فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علىَّ منّة، ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بُنى خُذ سرج الفرس؛ فإنه عارية[١]، فأخذ سرجه فمات الفرس وجاع مرة بالأهواز فدعا الله عز وجل واستطعمه، فوقعت خلفه دوخلة[٢] رطب فى ثوب حرير فأكل التمر وبقى الثوب عند زوجته زمانًا. وجاء الأسد وهو يصلى بالليل، فلما سلم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع، فولَّى الأسد وله زئير.

* * *

(١) العارية: ما تعطيه لغيرك ينتفع به ثم تسترده منه.

(٢) طبق من خوص.

الباب الرابع

قبس من النوادر والعجائب

رجل يحب أن يسمع الأعاجيب

حدث الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال: قيل لرجل طال عمره: أتحب الموت؟ قال: لا. قيل: ولِمَ وقد ذهب عنك شهوة النساء والطعام؟ قال: أحب أن أسمع الأعاجيب(١)!!

وفاء حصان... حتى الموت

حكاية بطلها حصان، بدايتها ٤ سنوات مضت عندما ماتت أم المُهر الصغير، فقام صاحبه البدوى بمزيد من الاهتمام به والرعاية، التى وصلت إلى حد التدليل، بتقديم الشعير مخلوطًا بالسكر، واستدعاء الطبيب البيطرى لفحصه كلما ألمَّ به مرض.

ثم يصيب البدوى مرض ألزمه الفراش، ففقد الحصان شهيته، وترك حظيرته ليظل واقفًا أمام صاحبه.

ويموت البدوى، ويستشعر الحصان الفجيعة وهو يرى ويسمع زوجة صاحبه تملأ الدنيا صراخًا.

وبعد أن يسير خلف المشيعين منكس الرأس حتى يواروا صاحبه التراب، ينطلق الحصان وكأنه البرق؛ ليصعد قمة تلٍ صخرى، ثم يُلقى بنفسه ويموت.

هذا ما حدث فى مدينة مرسى مطروح بمصر، كما تناقلته الصحف(٢).

---

(١) ذكر أخبار أصبهان/ لأبى نعيم الأصبهانى (طبعة دار الكتب العلمية بدلهى) (٢/ ٢٠٧).

(٢) أسرار وعجائب/ عبد الرزاق نوفل (ص: ١١٩).

أسود ونمور للحماية

بدأ سكان ضاحية ثرية فى مدينة «ساوباولو» البرازيلية فى تربية أسود ونمور لحماية أنفسهم ومنازلهم بعد تصاعد عدد اللصوص.

صاحب إحدى مزارع الخيول قال: إن هذه الأسود والنمور تحمى المنازل أكثر من الكلاب المدربة، والحرَّاس المسلحين، وقال: إنه باع شبلاً لعائلة تملك منزلاً فى هذه المنطقة وأنه يؤدى واجبه فى الحماية والحراسة على أكمل وجه.

الحرَّاس المكلفون بحماية هذه المنازل أجمعوا على أن اللصوص يفرون إذا ما رأوا الحيوانات المفترسة. . . . وأن أسدًا قام بالتهام أحد اللصوص.

وبعد هذا الحادث انخفض عدد محاولات السرقة من ١٥ سرقة فى الشهر إلى (صفر) فى هذه المنطقة(١).



(١) قصص من عجائب الدنيا (ص: ٤٠، ٤١).

القـرود
تقيم الحدود !!!

روى البخارى فى صحيحه، عن عمرو بن ميمون قال: «رأيت فى الجاهلية قردة، اجتمع عليها قردة، قد زنت، فرجموها، فرجمتها معهم(١) .

قال الحافظ ابن حجر: وقد ساق الإسماعيلى هذه القصة من وجه آخر مطولة من طريق عيسى بن حطان، عن عمرو بن ميمون قال:

«كنت فى اليمن فى غنم لأهلى وأنا على شرف، فجاء قرد مع قردة، فتوسد يدها، فجاء قرد أصغر منه فغمزها، فسلت يدها من تحت رأس القرد الأول سلاّ رفيقًا وتبعته، فوقع عليها وأنا أنظر، ثم رجعت فجعلت تُدخل يدها تحت خد الأول برفق، فاستيقظ فزعًا، فشمها، فصاح، فاجتمعت القرود، فحفروا لهما حفرة فرجموهما. فلقد رأيت الرجم فى غير بنى آدم».

قال: .... وفى القرد من شدة الغيرة ما يوازى الآدمى، ولا يتعدى أحدهم غير زوجته(٢) .

* * *

(١) كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة فى الجاهلية (٤/ ٢٣٨).

(٢) فتح البارى (٧/ ٥٤٧ ، ٥٤٨) (طبعة دار الفكر ١٤١٤ هـ).

طائرٌ بارٌّ بوالديه

ذكر ابن الوردى من عجائب البحر الأخضر - يعنى الخليج العربى - ما أورده صاحب «عجائب الأخبار» أن فى هذا البحر طائرًا مكرمًا لأبويه، فإنهما إذا كبرا وعجزا عن القيام بأمرِ أنفسهما، يجتمعُ عليهما فرخان من أفراخهما فيحملانهما على ظهورهما إلى مكان حصين، ويبنيان لهما عشًّا وطيئًا ويتعاهدانهما بالزاد والماء إلى أن يموتا، فإن مات الفرخان قبلهما يأتى إليهما آخران من أفراخهما، ويفعلان بهما كما فعل الأولان، وهَلَمَّ جرًّا. وهذا دأبهما إلى أن يموت والداهما [1]!

الإيثار فى عالم الدواب

يُحكى أن ابن أبشاذ النحوى كان يومًا على سطح جامع مصر وهو يأكل شيئًا وعنده ناس، فحضرهم قط، فرموا له لقمة، فأخذها فى فيه وغاب عنهم، ثم عاد إليهم، فرموا له شيئًا ففعل كذلك، وتردد مرات كثيرة وهم يرمون له، وهو يأخذ ويغيب به، ثم يعود من فوره، حتى عجبوا منه، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته.

فلما استرابوا حاله تبعوه، فوجدوه يرقى إلى حائط فى سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع خالٍ، صورة بيت خراب، وفيه قط آخر أعمى، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه، وهو يأكله، فعجبوا من تلك الحال[2].

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب/ سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردى.. بيروت: المكتبة الشعبية، د. ت، (ص ١١٨).

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٥١٦).

غراب ينقذ رجلاً من المـــوت

قال مالك بن دينار رضي الله عنه خرجت إلى الحج، وفـيما أنا سائر فى البادية إذ رأيت غرابًا فى فمه رغيف، فقلـت: هذا غراب يطير وفى فمه رغيف، إن له لشأنًا، فتتبعته، حتى نزل عند غار، فذهبت إليه، فإذا بى أرى رجلاً مشدودًا لا يستطيع فكاكًا، والرغيف بين يديه، فقلت للرجل: من تكون؟ ومن أى البلاد أنت؟ فقال: أنا من الحُجَّاج، أخذ اللصوص مالى ومتاعى، وشدونى وألقونى فى هذا الموضع، كما ترى، وصبرت على الجوع أيامًا ثم توجهت إلى ربى بقلـبى وقلت: يا من قال فى كتـابه العزيز ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾[1] ، فـأنا مضطر فـارحمـنى، فأرسل الله هذا الغـراب بطعامى.

قال مـالك: فحللتـه من الوثاق، ثم مضـينا فعطشنا، وليس مـعنا ماء، فنظرنا فى البادية فرأينـا بئرًا عليه ظباء، فدنونا منه فنفـرت الظباء، وأقامت غير بعيد، فلمـا وصلنا إلى البئر، كان الماء فى قعره، فاحتلنـا حتى استقينا وشربنا، وعـزمت ألا نبرح حتى نسـقى الظباء، فحـفرت وصاحبى حـفرة وملأناها بالماء، وتنحينا فأقبلت الظباء فشربت حتى رُويت.

* * *

(١) سورة النمل: الآية: (٦٢).

قــــردة في خدمة الإنسان

ذكر بعضهم لمؤلف كتاب «عــجائب الهند» أنه رأى قردًا بقرية من القرى هناك فى منزل بعض التجار يخدمــه، يكنسُ منزله، ويفتح الباب لمن دخل، ويغلقه، ويوقــد النار تحت القدر، وينفخ فيه حــتى يوقد، ويزوده بالحطب، وينشَّ الذباب على المائدة، ويُروِّح على مولاه بالمروحة!

وذكر له أيضًا أنه كان بظفار فى عــمان حدَّاد عنده قرد ينفخ على الكور طول نهــاره، أقام عنده كــذلك نحــو خمــس سنوات، وأنه تردد إلى البلد سفرات وهو يبصره عنده[١].

* * *

(١) عجائب الهند (ص ٨٦).

انتقام الأفيال

عن إبراهيم الخواص - رحمه الله تعالى - قال:

ركبت البحر مع جماعة من الصالحين، فكُسر بنا المركب، فنجا منا قوم على لوح من خشب المركب، فوقفنا على ساحل لا ندرى فى أى مكان هو، فأقمنا فيه أيامًا لا نجد ما نقتاته، فأحسسنا بالموت، وأيقنا بتلفنا من الجوع لا محالة.

فقال بعضنا لبعض: تعالوا نجعل لله تعالى على أنفسنا أن ندع له شيئًا، فلعله أن يرحمنا، فيخلصنا من هذه الشدة.

فقال بعضنا: أصوم الدهر كله.

وقال الآخر: أصلى كل يوم كذا وكذا ركعة.

وقال بعضنا: أدع لذات الدنيا.

إلى أن قال كل واحد منهم شيئًا وأنا ساكت، فقالوا: قل أنت الآخر شيئًا.

فلم يجر على لسانى إلا أن قلت: أنا لا آكل لحم فيل أبدًا.

فقالوا: ما هذا القول فى مثل هذا الحال؟

فقلت: والله، لم أتعمد هذا ولكنى منذ بدأتم فعاهدتم الله تعالى عليه وأنا أعرض على نفسى أشياء كثيرة فلا تطاوعنى بتركها، ولا خطر ببالى شيء أدعه لله تعالى، ولا مر على قلبى غير الذى لفظت به، وما أُجرى على لسانى إلا لأمر.

فلما كان بعد ساعة، قال أحدنا: لِمَ لا نطوف هذه الأرض متفرقين، فنطلب قوتًا، فمن وجد شيئًا؛ أنذر به الباقين، والموعد هذه الشجرة.

قال: فتفرقنا فى الطواف، فوقع بعضنا على ولد فيل صغير، فلوَّح بعضنا لبعض، فاجتمعنا، فأخذه أصحابنا، واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا يأكلون، فقالوا لى: تقدم وكُل معنا.

فقلت: أنتم تعلمون أنى منذ ساعة تركته لله عز وجل، وما كنت لأرجع فيه، ولعل ذلك قد جرى على لسانى من ذكرى له، هو سبب موتى من بينكم؛ لأنى ما أكلت شيئًا منذ أيام، ولا أطمع فى شىء آخر، ولا يرانى الله عز وجل أنقض عهده ولو مت جوعًا، فاعتزلتهم، وأكل أصحابى.

وأقبل الليل، فآويت إلى أصل شجرة كنت أبيتُ عندها، وتفرق أصحابى للنوم، فلم يكن إلا لحظة، وإذا بفيل عظيم وهو ينعر، والصحراء تتدكدك بنعيره وشدة سعيه، وهو يطلبنا.

فقال بعضنا لبعض: قد حضر الأجل، فتشهَّدوا، فأخذنا فى الاستغفار والتسبيح، وطرح القوم نفوسهم على وجوههم، فجعل الفيل يقصد واحدًا واحدًا منهم، فيتشممه من أول جسده إلى آخره، فإذا لم يُبق منه موضعًا إلا شمه، شال إحدى قوائمه فوضعه عليه، ففسخه.

فإذا علم أنه لم يبق غيرى وأنا جالس منتصب أشاهد ما جرى وأستغفر الله عز وجل وأسبح فقصدنى الفيل، فحين قرب منى، رميت بنفسى على ظهرى ففعل بى من الشم كما فعل بأصحابى، ثم عاد، فشمنى دفعتين أو ثلاثًا، ولم يكن فعل ذلك بأحد منهم غيرى، وروحى فى خلال ذلك تكاد تخرج فزعًا.

ثم لفَّنى بخرطومه فجعلنى فوق ظهره، فانتصبت جالسًا، واجتهدت فى حفظ نفسى بموضعى، وانطلق الفيل، يهرول تارة، ويسعى تارة، وأنا تارة أحمد الله تعالى على تأخير الأجل وأطمع فى الحياة، وتارة أتوقع أن يثور فيقتلنى، فأعاود الاستغفار وأنا أقاسى فى خلال ذلك من الألم والجزع،

لشدة سرعة سعى الفيل أمرًا عظيمًا.

فلم أزل عَلى ذلك إلى أن طلع الفجر وانتشر ضوؤه، فإذا به قد لف خرطومه عليَّ، فقلت: قد دنا الأجل وحضر الموت، وأكثرت من الاستغفار، فإذا به قد أنزلنى عن ظهره برفق، وتركنى على الأرض، ورجع إلى الطريق التى جاء منها، وأنا لا أصدق.

فلما غاب عنى حتى لا أسمع حسًّا، خررت ساجدًا لله تعالى، فما رفعت رأسى حتى أحسست بالشمس، فإذا أنا على محجة عظيمة، فمشيت نحو فرسخين، فانتهيت إلى بلد كبير، فدخلته، فعجب أهله منى، وسألونى عن قصتى، فأخبرتهم بها، فزعموا أن الفيل قد سار بى فى تلك الليلة مسيرة أيام، واستطرفوا سلامتى.

فأقمت عندهم حتى صلحت من تلك الشدة التى قاسيتها، وتندى بدنى، ثم سرت عنهم مع التجار، فركبت فى المركب، ورزقنى الله السلامة، إلى أن عدت إلى بلدى [1].



(١) مختصر الفرج بعد الشدة / للإمام التنوخى (ص: ٥٧٣ - ٥٧٥).

ذكاء طير
أم أجلُ أفعى؟

بنى أحد الطيور عشًّا له فى أعالى جامع أيا صوفيا فى إستانبول. وبينما كان يَهمُّ بالدخول إلى عشه لإطعام صغاره، شاهد حية كبيرة تتسلل إلى العش، فسارع بالمغادرة فوراً، وعاد بعد دقيقة ليحوم حول العش. ولما همت الأفعى بالتهامه فاغرة فاها، إذا بها تهوى على الأرض!

وأسرع الذين كانوا على بينة من الأمر يراقبون هذا الحدث عن كثب ليعرفوا جلية الأمر، فوجدوا أن العصفور كان قد حمل نحلة فى منقاره ورماها فى فم الأفعى، وبلسعة واحدة من النحلة قضت على الأفعى[1]!

* * *

(١) غرائب من العالم (٤/ ٧٤).

حرص النملة

يُذكر أن سليمان صلوات الله وسلامه عليه لما رأى النملة وشدة ادخارها للغذاء استحضر نملة وسألها، كم تأكل النملة من الطعام فى كل سنة؟

قالت: ثلاث حبات من الحنطة.

فأمر بإلقائها فى قارورة، وسدَّ فم القارورة، وجعل معها ثلاث حبات من حنطة، ومرت سنة بعدما قالت، ثم أمر بفتح القارورة عند فراغ السنة، فوجد حبة ونصفًا.

فقال: أين زعمك؟ أنت زعمت أن قوتك كل سنة ثلاث حبات.

فقالت: نعم ولكن لما رأيتك مشغولاً بمصالح أبناء جنسك حسبت الذى بقى من عمرى فوجدته أكثر من المدة المضروبة، فاقتصرت على نصف القوت، واستبقيت نصفه، استبقاءً لنفسى.

فعجب سليمان من شدة حرصها، وهذا من أعجب الهداية والعطية[١].



(١) شفاء العليل (ص: ١٧٠).

البعوضة والفيل

كان الوجيه أبو بكر المبارك بن سعيد بن الرهان، النحوى، لا يغضب قط، فتراهن جماعة مع واحد إن أغضبه كان له كذا وكذا، فجاء إليه فسأل عن مسألة فى العربية، فأجابه فيها بالجواب.

فقال له السائل: أخطأت أيها الشيخ.

فأعاد عليه الجواب بعبارة أخرى.

فقال: كذبت وما أراك إلا وقد نسيت النحو.

فقال الوجيه: أيها الرجل! لعلك لم تفهم ما أقول لك؟

فقال: بلى، ولكنك تخطئ فى الجواب.

فقال له: فقل أنت ما عندك؛ لنستفيد منك.

فأغلظ له السائل فى القول، فتبسم ضاحكًا وقال له: إن كنت راهنت فقد غُلِبتَ، وإنما مثلك مثل البعوضة سقطت على ظهر الفيل، فلما أرادت أن تطير، قالت له: استمسك فإنى أحب أن أطير، فقال لها الفيل: ما أحسست بك حين سقطت، فما أحتاج أن أستمسك إذا طرت[1].

* * *

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٨٤).

الكلب والديك والحمار

قال مسروق:

كان رجل بالبادية له حمار وكلب وديك، وكان الديك يوقظهم للصلاة، والكلب يحرسهم، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم.

فجاء الثعلب، فأخذ الديك، فحزنوا له، وكان الرجل صالحًا، فقال: عسى أن يكون خيرًا.

ثم جاء الذئب فخرق بطن الحمار فقتله، فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً.

ثم أصيب الكلب بعد ذلك، فقال: عسى أن يكون خيرًا.

ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا، فإذا قد سُبى مَن كان حولهم وبقوا سالمين، وإنما أُخذوا أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة، فكانت الخيرة فى هلاك ما كان عندهم من ذلك، كما قدر الله سبحانه وتعالى، فمن عرف خَفِىَّ لطف الله رضى بفعله[1].

* * *

(١) حياة الحيوان للدميرى (٣/ ٤١١).

تضحية كلب

قدم رجل على بعض السلاطين، وكان معه عامل أرمينية منصرفًا إلى منزله، فمر فى طريقه بمقبرة، وإذا قبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها: هذا قبر كلب، فمن أحب أن يعلم خبره، فليمض إلى قرية كذا وكذا، فإن فيها من يخبره.

فسأل الرجل عن القرية، فدلوه عليها، فقصدها وسأل أهلها، فدلوه على شيخ قد جاوز المائة، فسأله فقال: كان فى هذه الناحية ملك عظيم الشأن، وكان مشتهرًا بالنزهة والصيد والسفر، وكان له كلب قد رباه لا يفارقه، فخرج يومًا إلى بعض متنزهاته، وقال لبعض غلمانه: قل للطباخ يصلح لنا ثردة لبن، فقد اشتهيتها.

فأصلحوها ومضى إلى متنزهه، فوجَّه الطباخ، فجاء بلبن وصنع له ثردة عظيمة، ونسى أن يغطيها بشيء واشتغل بطبخ أشياء أخرى، فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى، فكرع فى ذلك اللبن، ومج فى الثردة من سمه، والكلب رابض يرى ذلك كله، ولو كان له فى الأفعى حيلة لدفعها، وكان هناك جارية طفلة خرساء، وقد رأت ما صنعت الأفعى.

ووافى الملك من الصيد فى آخر النهار فقال: يا غلمان، أول ما تقدمون إلىَّ الثردة، فلما وُضعت بين يديه أومأت الخرساء إليه، فلم يفهم ما تقول، ونبح الكلب وصاح، فلم يلتفت إليه، ولجَّ فى الصياح، فلم يعلم مراده، فأخذه ورمى إليه بما كان يرمى إليه فى كل يوم، فلم يقربه ولجَّ فى الصياح.

فقال للغلمان: نَحُّوه عنا، فإن له قصة ومد يده إلى اللبن، فلما رآه الكلب يريد أن يأكل طفر إلى وسط المائدة، وأدخل فمه الغضارة، وكرع من

اللبن، فسقط ميتًا وتناثر لحمه، وبقى الملك متعجبًا منه ومن فعله، فأومأت الخرساء إليهم، ففهموا مرادها بما صنع الكلب.

فقال الملك لندمائه وحاشيته: إن من فداني بنفسه لحقيق بالمكافأة، وما يحمله ويدفنه غيرى، فدفنه وكتب عليه ما قرأت(١).

الطائر وأصحاب السفينة

روى أن امرأة دخلت على داود - عليه السلام- فقالت: يا نبى الله، ربك ظالم أم عادل؟

فقال داود عليه السلام: ويحك يا امرأة، هو العدل الذى لا يجور، ثم قال لها: ما قصتك؟

قالت: أنا أرملة عندى ثلاث بنات، أقوم عليهن من غزل يدى، فلما شددت غزلى فى خرقة حمراء، وأردت أن أذهب إلى السوق لأبيعه، وأبلغ به أطفالى، فإذا أنا بطائر قد انقضَّ علىَّ وأخذ الخرقة والغزل وذهب، وبقيت حزينة لا أملك شيئًا أبلغ به أطفالى.

فبينما المرأة مع داود - عليه السلام - فى الكلام، وإذا بالباب يُطرق على داود، فأذن بالدخول، وإذا بعشرة من التجار كل واحد بيده مائة دينار.

فقالوا: يا نبى الله أعطها لمستحقها.

فقال لهم داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال؟

قالوا: يا نبى الله، كنا فى مركب فهاجت علينا الريح وأشرفنا على الغرق فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل، فسددنا به عيب المركب، فهانت علينا الريح، وانسدَّ العيب ونذرنا لله أن يتصدق كل واحد

---

(١) الأذكياء (ص: ٢٩٦).

منا بمائة دينار، وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت.

فالتفت داود عليه السلام إلى المرأة، وقال لها: رَبٌّ يتجر لك فى البر والبحر، وتجعلينه ظالمًا، وأعطاها الألف دينار، وقال: أنفقيها على أطفالك[١].

الكلب والرغيف

* **عن ابن شداد قال:**

رأيت رجلاً له كلب يقربه ويغطيه بديباج كان عليه، فسألته عن السبب، فقال: كان لى رفيق يعاشرنى فخرجنا فى سفر، وكان فى وسطى هميان فيه جملة دنانير، ومعى متاع كثير، فنزلنا فى موضع، فعمد إلىَّ فأوثقنى لص ورمى بى فى واد، وأخذ ما كان معى ومضى، وقعد هذا الكلب معى، ثم تركنى ومضى، فما كان بأسرع من أن وافانى ومعه رغيف، فطرحه بين يدى، فأكلته ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء، فشربت منه، ولم يزل الكلب معى باقى ليلتى.

ثم نمت ففقدته، فما كان بأسرع أن وافانى ومعه رغيف فأكلته، فلما كان فى اليوم الثالث غاب عنى، فقلت يمضى ويجيئنى بالرغيف فجاء ومعه الرغيف، فرمى به، فلم أستتم أكله إلا وابنى يبكى على رأسى، وقال: ما تصنع ههنا، وما قصتك؟ ونزل وحلَّ كتافى، وأخرجنى.

فقلت له: من أين علمت بمكانى؟ ومن دلك علىَّ؟ فقال: كان الكلب يأتينا فى كل يوم فنطرح له الرغيف على اسمه، فلا يأكله وقد كان معك، فأنكرنا رجوعه ولست معه، وكان يحمل الرغيف بفمه ولا يذوقه ويغدو فأنكرنا أمره، فاتبعته حتى وقفت عليك، فهذا خبرى وخبر الكلب[٢].

(١) أنيس الصالحين (ص: ٣٢).
(٢) الأذكياء (ص: ٢٩٨).

الكلب والثعبان

قال ابن خلف:

وحدثنى بعض أصدقائى قال: دخلت بستانًا ومعى كلبان لى قد ربيتهما فنمت فإذا هما ينبحان، فانتبهت، فلم أر شيئًا أنكره، فعاودوا النبح فضربتهما ونمت.

فإذا بهما يحركاننى بأيديهما وأرجلهما كما يوقظ النائم، فوثبت فإذا أسود - ثعبان - قد قرب منى ووثبت، فقتلته، فكان سبب سلامتى[1].

* * *

(١) الأذكياء لابن الجوزى (ص: ٢٩٨).

القارئ والحداية «الحدأة»

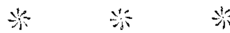
عن حماد بن سلمة أن عاصم بن أبى النجود، شيخ القراء فى زمانه، قال:

أصابتنى خصاصة، فجئت إلى بعض إخوانى، فأخبرته بأمرى، فرأيت فى وجهه الكراهة، فخرجت من منزله إلى الصحراء فصليت ما شاء الله، ثم وضعت وجهى على الأرض، وقلت:

يا مسبب الأسباب، يا مفتح الأبواب، يا سامع الأصوات، يا مجيب الدعوات، يا قاضى الحاجات، اكفنى بحلالك عن حرامك، وأغننى بفضلك عمن سواك.

قال: فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى، فرفعت رأسى، فإذا حدأة طرحت كيسًا أحمر، فأخذت الكيس، فإذا فيه ثمانون دينارًا وجوهرة ملفوفة فى قطنة.

قال: فبعت الجوهرة بمال عظيم، وفضلت الدنانير، فاشتريت بها عقارًا وحمدت الله على ذلك[١].



(١) حياة الحيوان للدميرى (٣/ ٣٩١).

سمكة تنقذ رجلاً

* قال على بن حرب:

أردت أن أسافر من بلدى الموصل إلى بلدة أخرى لشراء بعض البضاعة، وكانت هناك سفن تسير فى نهر دجلة من الموصل إلى البلدة الأخرى تنقل الركاب والبضاعة بالأجر، فركبت إحدى هذه السفن، وسرنا فى نهر دجلة متجهين نحو تلك البلدة.

وكان فى السفينة بعض البضاعة، ونفر من الرجال لا يتجاوز الخمسة، وكان النهار صحوًا والجو جميلاً والنهر هادئًا والربان يحدو ويغنى غناءً جميلاً والسفينة تسير على صفحة الماء سيرًا هادئًا، حتى أخذت أكثرنا غفوة من النوم، أما أنا فكنت أمتع نظرى بمناظر الشُّطآن الجميلة على جانبى النهر، وفجأة رأيت سمكة كبيرة تقفز من النهر داخل السفينة، فهجمت عليها، وأمسكت بها قبل أن تعود إلى النهر مرة أخرى.

وانتبه الرجال من غفوتهم بسبب الضجة التى حصلت وعندما رأوا السمكة، قال أحدهم: هذه السمكة أرسلها الله تعالى إلينا، لماذا لا ننزل بها إلى الشاطئ، فنشويها ونأكلها وهى كبيرة تكفينا جميعًا، فأعجبنا رأيه، ووافق الربان على ذلك فمال بنا إلى الشاطئ ونزلنا، واتجهنا إلى دغل[1] من الشجر لنجمع الحطب ونشوى السمكة.

وما أن دخلنا الدغل فوجئنا بمنظر اقشعرت منه جلودنا، فوجئنا برجل مذبوح وإلى جانبه سكين حادة على الأرض، ورجل آخر مكتوف بحبل قوى وحول فمه منديل يمنعه من الكلام والصراخ، فاندهشنا من هذا المنظر

(١) الدغل: الشجر الكثير.

فمن قتل القتيل ما دام الرجل مكتوفًا؟

أسرعنا أولاً فحللنا رباط الرجل ورفعنا المنديل عن فمه، وكان فى أقصى درجات الخوف واليأس، وعندما تكلم قال: أرجوكم أن تعطونى قليلاً من الماء أشربه أولاً فسقيناه.

وبعد أن هدأ قليلاً، قال: كنت أنا وهذا الرجل القتيل فى القافلة التى تسير من الموصل إلى بغداد والظاهر أن هذا القتيل لاحظ أن معى مالاً كثيرًا، فصار يتودد إلىَّ، ويقترب منى، ولا يفارقنى إلا قليلاً، حتى نزلت القافلة فى هذا المكان لنستريح قليلاً، وفى آخر الليل استأنفت القافلة السير، وكنت نائمًا فلم أشعر بها، وبعد أن سارت القافلة، استغل هذا الرجل نومى، وربطنى بالحبل كما رأيتم، ووضع حول فمى منديلاً، لكى لا أصرخ وسلب مالى الذى كان معى، ثم رمانى إلى الأرض، وجلس فوقى يريد أن يذبحنى، وهو يقول: إن تركتك حيًّا فإنك ستلاحقنى وتفضحنى؛ لذلك لابد من ذبحك.

وكان معه سكين حادة يضعها فى وسطه، وهى هذه السكين التى ترونها على الأرض وأراد سحب السكين من وسطه ليذبحنى بها، لكنها علقت بحزامه، فصار يعالجها ثم نترها بقوة، وكان حدها إلى أعلى، فخرجت بقوة، واصطدمت بعنقه وقطعت الجلد واللحم والشريان، فتدفق الدم منه، وخارت قواه، ثم سقط ميتًا، وحتى بعد موته كنت موقنًا بالموت، لأن هذا المكان منقطع لا يأتيه أحد إلا قليلاً، فمن يفكنى ومن ينقذنى؟

وصرت أدعو الله سبحانه وتعالى أن يرسل من ينقذنى مما أنا فيه، فأنا مظلوم ودعاء المظلوم لا يُرد، وإذا بكم تأتون وتنقذوننى مما أنا فيه، فما الذى جاء بكم فى هذه الساعة إلى هذا المكان المنقطع؟

فقالوا له: الذى جاء بنا هو هذه السمكة، وحكوا له كيف قفزت من الماء

إلى السفينة فأتوا بها إلى هذا المكان، لكى يشووها ويأكلوها.

فتعجب من ذلك، وقال: إن الله سبحانه وتعالى قد أرسل هذه السمكة إليكم، لكى يجعلكم تأتون إلى هذا المكان، وتخلصونى مما أنا فيه، والآن إننى مُتعَب جدًّا أرجوكم أن تأخذونى إلى أقرب بلدة.

فصرفوا النظر عن شى السمكة وأكلها، وأخذوا الرجل بعدما حمل معه المال الذى سلبه الرجل الآخر منه وعادوا به إلى السفينة وما أن وصلوا السفينة، حتى قفزت السمكة إلى الماء، وعادت إلى النهر مرة أخرى، فكأنما قد أرسلها الله سبحانه وتعالى حقًّا، لكى تكون سببًا فى إنقاذ الرجل المظلوم.

وكذا إذا أراد الله شيئًا هيأ أسبابه[1].

* * *

(١) طبقات الأولياء (ص: ١٨٠، ١٨١).

التاجر والحمامتان

خرج التاجر الصالح من الموصل، ليبيع بعضًا من الأغنام والأبقار والإبل فى حلب، واستقر فى أحد الفنادق حتى الصباح، ثم خرج إلى سوق المواشى، وعرض ما معه على تجار الجملة، ويسَّر الله عليه بيعها وقبض ثمنها نقدًا، وفى طريق عودته خرج عليه لص خطير وقاطع طريق، فسلَّ خنجره، وأخذ ما معه من مال، واستغاث التاجر ولا مغيث، فقد أراد اللص أن يذبحه بخنجره فتوسل التاجر إليه أن لا يقتله، وليأخذ جميع ما يملك ولكن خنجر القاتل كان يعمل عمله فى جسد التاجر حتى سقط جثة هامدة.

وكان التاجر فى استغاثته وتوسله ينظر يمينًا وشمالاً لعله يجد من يغيثه ويستجيب لتوسله ولكنه لم يجد أحدًا من الناس، ووجد فوق الشجرة التى ذُبح تحتها حمامتين، فقال: وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أيتها الحمامتان: اشهدا وقهقه قاطع الطريق. وهو ينهض عن فريسته بعد أن فارقت الحياة قائلاً: أيتها الحمامتان اشهدا... ومضى إلى سبيله وهو يضحك كأنه سمع نكته تستحق القهقهة والضحك.

وانتظر أولاد التاجر وأهله فى الموصل عودة أبيهم من رحلته التجارية، وطال انتظارهم دون جدوى، وسافر ولده الأكبر إلى مدينة حلب، ليسأل عن أبيه، فقيل له: أن والده نزل فى فندق كذا، وباع أغنامه فى اليوم الفلانى، ووُجد مقتولا فى اليوم الذى باع فيه ما معه ودُفن فى مقابر الغرباء، وقاتله وسالب أمواله مجهول،... ودق باب الوالى، وباب القاضى، وأبواب من يعرف من الناس ومن لايعرف فكان جواب الجميع: القاتل مجهول الهوية. وبذل جهودًا كبيرة، ليعرف شيئًا عن مقتل أبيه،

ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح وعاد الفتى إلى الموصل فطرق باب الوالى والقاضى يسألهما العون، فكتبا إلى والى حلب وقاضيها فكان الجواب: القاتل مجهول الهوية.

وانتهت قضية التاجر القتيل إلى باب مسدود فتقبل أولاده التعازى، وأوكلوا قضيتهم إلى الله وتعاقبت السنون وتبدل الولاة والقضاة عدة مرات ونسى الناس قصة الاغتيال والسلب، ونسوا القتيل السليب، ولكن رجلاً واحدًا لم ينس تلك القضية، هو القاتل، ظل يذكرها وبخاصة حين يرى الحمام مرفرفًا، أو على الشجر، فيتخيل شبح القتيل أمامه، وهو ينادى أيتها الحمامتان اشهدا.

وفى يوم من الأيام لبَّى دعوة من دعوات العشاء على مائدة أحد أقربائه، وكانت الوليمة تضم أشتاتًا وألوانًا من الناس، ونظر إلى أطباق الطعام، فوجد أمامه مباشرة طبقًا فيه حمامتان وحملق الرجل فيهما طويلاً، وتذكر قصة القتيل الذى استنجد بالحمامتين لتشهدا له، فأطرق رأسه يستعيد تفاصيل جريمته ثم قهقه قهقهة لا إرادية يستعيد بها قهقهته الإرادية، وهو يُجهز على القتيل، كأنه نسى الوليمة والمدعوين، ولفت بوجومه الطويل، ثم قهقهته الطويلة المدعوين من حوله، فليس هناك ما يدعو للضحك ولاحقته الأنظار المستغربة، وبشكل لا إرادى تنهَّد طويلاً، وانطلق يحدث من حوله عن قصة المنكوب القتيل، كأن قوة خفية قاهرة، تحرك لسانه بشكل لا إرادى، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا وأفشاها للحاضرين.

ولم يكد يتم حديثه إلى وشعر بأن عبئًا ثقيلاً قد تخلى عن عاتقه ولكن حديثه أذهل الحاضرين وثاب إلى رشده وندم على إفشائه سره، ولكن بعد فوات الأوان.

وأصبحت القصة بعد ساعات من إذاعاتها حديث المجالس فى كل مكان

من مدينة حلب، فأُمر بتوقيف المتهم على ذمة التحقيق. وأمر قائد الشرطة أن يبدأ التحقيق الرسمى، فاستقدم الذين سمعوا القصة من المتهم مباشرة وهم على مائدة العشاء، فسجل أقوال الشهود، واستدعى قائد الشرطة المتهم، وأطلعه على الشهود، فانهار المتهم، واعترف بجريمته النكراء، وأُحيلت أوراق القاتل إلى قاضى المدينة، فحكم عليه بالإعدام شنقًا حتى الموت.

وقال والى المدينة: لقد شهدتا وقال قاضى المدينة: لقد شهدتا.

وقال قائد الشرطة: لقد شهدتا وقال الناس: لقد شهدتا.

وفى ليلة تنفيذ إعدام القاتل، سألته زوجه: كيف أبحت بسرك المكنون بعد أن كتمته سنين طويلة، فكان جوابه إن إرادة قاهرة شلت إرادتى وأجبرتنى على الكلام.

وفى فجر اليوم التالى اقتيد القاتل السالب إلى ساحة الإعدام وهمهم حين وضع الحبل حول عنقه، لم أتكلم بلسانى بل بلسان الحمامتين اللتين كانتا فى الطبق المستقر أمامى فى دعوة العشاء، واجتمعت حشود من الناس حول جثة المصلوب، وهى تهزج فرحة بإنقاذ المجتمع من مجرم شرير.

وهتفت الحشود بصوت واحد: لقد شهدتا[1].



(١) أنيس الصالحين وسمير المتقين (٢/ ٩٠).

البقرة والسلطان

خرج كسرى فى بعض الأيام للصيد، فانقطع عن أصحابه، وأظلته سحابة، فأمطرت مطرًا شديدًا حال بينه وبين جنده، فمضى لا يدرى أين يذهب؟، فانتهى الى كوخ فيه عجوز، فنزل عندها، وأدخلت العجوز فرسه، فأقبلت ابنتها ببقرة قد رعتها، فاحتلبتها، فرأى كسرى لبنها كثيرًا، فقال: ينبغى أن نجعل على كل بقرة خراجًا، فهذا حِلاب كثير.

ثم قامت البنت فى آخر الليل لتحلبها فوجدتها لا لبن فيها، فنادت: يا أماه، قد أضمر الملك لرعيته سوءًا.

قالت أمها: وكيف ذلك؟

قالت: إن البقرة ما تبز بقطرة من لبن.

فقالت لها أمها: اسكتى، فإن عليك ليلاً.

فأضمر كسرى فى نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم، فلما كان آخر الليل، قالت لها أمها: قومى احلبى.

فقامت، فوجدت البقرة حافلاً، فقالت: يا أماه، قد والله ذهب ما فى نفس الملك من السوء.

فلما ارتفع النهار، جاء أصحاب كسرى، فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه، فأحسن إليهما، وقال: كيف علمتما ذلك؟

فقالت العجوز: أنا بهذا المكان منذ كذا وكذا، ما عُمل فينا بعدل إلا أخصبت أرضنا واتسع عيشنا، وما عُمل فينا بجور إلا ضاق عيشنا وانقطعت موارد النفع عنا(١).

(١) حياة الحيوان للدميرى (٢/ ٢٤٣).

الشاة المريضة

قال الأعمش:

كانت لنا شاة نتقوت من لبنها، فمرضت، فبلغ خيثمة بن عبد الرحمن خبر فقرنا ومرض الشاة، وكنا نسكن بجواره فى تلك الأيام، فدخل علينا وسألنا عن حال شاتنا، وهل أكلت علفها أم لا؟ وكيف حال الأولاد لمرضها وفقد لبنها؟

وكان تحتى لبدة أجلس عليها، فلما أراد الانصراف أدخل يده تحت اللبدة، فلما ذهب أخذنا ما وضعه، وما زال يعودنا ويسأل عن الشاة حتى تعافت، فكان من جملة ما وصلنا به وهو يتفقد الشاة ويسأل عنها فى أيام يسيرة ثلاثمائة دينار، حتى كنا نتمنى أن الشاة لا تبرأ من مرضها [1].

* * *

(١) مختصر عجائب المخلوقات (ص: ٢٦٢).

الحوت والغلام

عن بعض الصالحين قال: بينما أنا أطوف بالكعبة، إذا بجارية على كتفها طفل صغير، وهى تنادى: يا كريم عهدك القديم.

فقلت لها: ما هذا العهد الذى بينك وبينه؟

قالت: ركبت فى سفينة ومعنا قوم من التجار، فعصفت بنا ريح فغرقت السفينة وجميع من فيها، ولم ينج أحد منهم غيرى وهذا الطفل فى حجرى على لوح، ورجل أسود على لوح آخر، فلما أضاء الصبح نظر الأسود إلىَّ وجعل يدفع الماء بيده حتى لصق بى، واستوى معنا على اللوح، وجعل يراودنى عن نفسى، فقلت: يا عبد الله أما تخاف الله تعالى، نحن فى بلية لا نرجو الخلاص منها بطاعته، فكيف بمعصيته؟.

فقال: دعى عنى هذا فوالله لا بد لى من هذا الأمر.

قالت: وكان هذا الطفل نائمًا فى حجرى، فقرصته قرصة، فاستيقظ وبكى، فقلت له: يا عبد الله دعنى أُنوِّم هذا ويكون من الأمر ما قدره الله علينا فمدَّ الأسود يده إلى الطفل ورمى به فى البحر، فرمقت السماء بطرفى، وقلت: يا من يحول بين المرء وقلبه، حُلْ بينى وبين هذا الأسود بحولك وقوتك إنك على كل شىء قدير.

فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر، ففتحت فاها والتقمت الأسود وغاصت به فى البحر وعصمنى الله منه بحوله وقوته، وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى.

قالت: وما زالت الأمواج تدفعنى حتى رمتنى إلى جزيرة من جزائر البحر، فقلت فى نفسى: آكل من بقلها وأشرب من مائها حتى يأتى الله

بأمره، فلا فرج لى إلا منه، فمكثت أربعة أيام، فلما كان فى اليوم الخامس لاحت لى سفينة فى البحر على بُعد، فعلوت على تل وأشرت إليهم بثوب كان علىَّ، فخرج إلىَّ منهم ثلاثة نفر فى زورق، فركبت معهم.

فلما دخلت السفينة الكبرى إذا بالطفل الذى رَمى به الأسود فى البحر عند رجل منهم، فلم أتمالك نفسى أن ارتميت عليه، وقبَّلت بين عينيه، وقلت: هذا والله ولدى وقطعة من كبدى، فقال لى أهل السفينة: مجنونة أم اختل عقلك؟

فقلت: والله، ما أنا بمجنونة، ولا اختل عقلى، ولكن جرى من الأمر ما هو كذا وكذا، وذكرت لهم القصة إلى آخره.

فلما سمعوا منى ذلك أطرقوا رؤوسهم وقالوا: يا جارية قد أخبرتينا بأمر تعجبنا منه، ونحن أيضًا نخبرك بأمر تتعجبين منه، بينما نحن نجرى بريح طيبة إذا بدابة قد اعترضتنا ووقفت أمامنا، وهذا الطفل على ظهرها، فصعد واحد منا على ظهرها وأخذ الطفل، فلما دخل به إلى السفينة غاصت الدابة فى البحر، وقد تعجبنا من هذا ومما أخبرتنا به، وقد عاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية بعد هذا اليوم.

قالت: فتابوا عن آخرهم.

فسبحان الله اللطيف الخبير، جميل العوائد سبحان مدرك الملهوف عند الشدائد.

يا مدركا بسريع اللطف والفرج
عند الشدائد للملهوف ذى الحرجِ
كلمحة الطرف بل أدنى تغيث ولو
فى قعر بحرٍ وجوف الحوت فى اللُّجَجِ(١)

* * *

(١) أنيس الصالحين (٢/ ١٤٦- ١٤٨).

لقمة بلقمة

كان لامرأةٍ ابنٌ غاب عنها غيبة طويلة وأيست منه، فجلست يومًا تأكل، فحين كسرت اللقمة وأهوت بها إلى فيها، وقف بالباب سائل يستطعم، فامتنعت من أكل اللقمة، وحملتها مع تمام الرغيف، فتصدقت بها وبقيت جائعة يومها وليلتها، فما مضت إلا أيام يسيرة حتى قدم ابنها، فأخبرها بشدائد عظيمة مرت به.

وقال: أعظم ما جرى عليَّ، أنى كنت منذ أيام أسلك فى أجمة فى الموضع الفلانى، إذ خرج علىَّ أسد، فقبض علىَّ من على ظهر حمار كنت راكبه وغار[1] الحمار، ونشبت مخالب الأسد فى مرفعة كانت علىَّ، وثياب تحتها وجُبَّة، فما وصل إلى بدنى كبير شىء من مخالبه.

إلا أننى تحيرت ودُهشت، وذهب أكثر عقلى، وهو يحملنى حتى أدخلنى أجمة كانت هناك، وبرك علىَّ ليفترسنى، فرأيت رجلاً عظيم الخلق أبيض الوجه والثياب، وقد جاء حتى قبض على الأسد من غير سلام وشاله وخبط به على الأرض، وقال: قم يا كلب... لقمة بلقمة.

فقام الأسد يهرول، وثاب إلىَّ عقلى، فطلبت الرجل، فلم أجده، وجلست بمكانى ساعات إلى أن رجعت إلىَّ قوتى، ثم نظرت إلى نفسى، فلم أجد بها بأسًا، فمشيت حتى لحقت بالقافلة التى كنت منها، فتعجبوا لما رأونى، فحدثتهم حديثى، ولم أدر ما معنى قول الرجل: لقمة بلقمة.

فنظرت المرأة، فإذا هو وقت أخرجت اللقمة من فمها، فتصدقت بها[2].

---

(١) تعبير بغدادى: مازال مستعملا يعنى أغار، أى أسرع فى عدوه.

(٢) أنيس الصالحين (ص: ١٥).

الكلب يعاقب الخائنين

كان للحرث بن صعصعة نُدماء لا يفارقهم، فعبث أحدهم بزوجه، وأرسل إليها وكان للحرث كلب قد ربَّاه، فخرج الحرث فى بعض متنزهاته وتخلف عنه ذلك الرجل، وجاء إلى زوجه، فأقام عندها، فلما جامعها وثب الكلب عليهما، فقتلهما فلما رجع الحرث نظر إليهما، فعرف القصة، وترك من كان يعاشره واتخذ كلبه نديمًا، فتحدث به العرب، فأنشأ يقول:

فللكلب خير من صديق يخونني
وينكح عرسى بعد وقت رحيلى
سأجعل كلبى ما حييت منادمى
وأمنحه ودى وصفو خليلى[١]

* * *

(١) الأذكياء (ص: ٢٩٨).

الأســـد وذكاء الأرنب

زعموا أن أسدًا كان فى أرض كثيرة المياه والعشب وكان فى تلك الأرض من الوحوش فى سعة المياه والمرعى شىء كثير إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد، فاجتمعت وأتت إلى الأسد، فقالت له: إنك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب، وقد رأينا لك رأيًا فيه صلاح لك وأمن لنا، فإن أنت أمنتنا ولم تُخفنا فلك علينا فى كل يوم دابة، نرسل بها إليك فى وقت غدائك.

فرضى الأسد بذلك وصالح الوحوش عليه، ووفين له به، ثم إن أرنبًا أصابتها القُرعة، وصارت غداء الأسد، فقالت للوحوش: إن أنتن رفقتن بى فيما لا يضركن رجوت أن أريحكن من الأسد.

فقالت الوحوش: وما الذى تكلفيننا من الأمور؟

قالت: تأمرن الذى ينطلق بى إلى الأسد أن يمهلنى ريثما أبطئ عليه بعض الإبطاء.

فقلن لها: ذلك لك.

فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذى كان يتغدى فيه الأسد، ثم تقدمت إليه وحدها رويدًا، وقد جاع، فغضب وقام من مكانه نحوها، فقال لها: من أين أقبلت؟

قالت: أنا رسول الوحوش إليك، بعثتنى ومعى أرنب لك، فتبعنى أسد فى بعض تلك الطريق، فأخذها منى، وقال: أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحوش، فقلت: إن هذا غداء الملك أرسلنى به الوحوش إليه، فلا

تُغضبه فسبَّك وشتمك، فأقبلت مسرعة لأخبرك.

فقال الأسد: انطلقى معى، فأرينى موضع هذا الأسد.

فانطلقت الأرنب إلى جُب - بئر- فيه ماء غامر صافٍ، فأشارت إليه وقالت: هذا المكان، فاطلع، الأسد، فرأى ظله وظل الأرنب فى الماء، فلم يشك فى قولها ووثب إليه ليقاتله فغرق فى الجب، فانقلبت الأرنب إلى الوحوش، فأعلمتهن صنيعها بالأسد(١).

الحية والقرد

زعموا أن جماعة احتفروا ركية، فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد وسبع - ومر بهم رجل سائح، وأشرف على الركية، فبصر بالرجل والحية والسبع والقرد ففكر فى نفسه، وقال: لست أعمل لآخرتى عملاً أفضل من أن أخلِّص هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء، فأخذ حبلاً وأدلاه إلى البئر، فتعلق به القرد لخفته فخرج، ثم أدلاه ثانية فالتفت به الحية فخرجت، ثم أدلاه الثالثة، فتعلق به السبع فأخرجه.

فشكرن له صنيعه وقلن له: لا تخرج هذا الرجل من الركية، فإنه ليس أقل شكرًا من الإنسان ثم هذا الرجل خاصة.

ثم قال له القرد: إن منزلى فى جبل قريب من مدينة يقال لها نوادرخت.

فقال له السبع: أنا أيضًا فى أجمة - غابة - إلى جانب تلك المدينة.

قالت الحية: أنا أيضًا فى سور تلك المدينة، فإن مررت بنا يومًا من الدهر واحتجت إلينا فصوِّت - صِح- علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت إلينا من المعروف.

---

(١) كليلة ودمنة (ص: ١٢٦).

فلم يلتفت السائح إلى ما ذكـروا له من قلة شكر الإنسان وأدلى الحبل، فأخرج الصـائغ فشكر له، وقال له: لقد أوليـتنى معروفًا، فـإن مررت يومًا بمدينة نوادرخت، فـاسأل عن منزلـى، فأنا رجل صـائغ، لعلى أكافـئك بما صنعت إلىَّ من المعروف.

فانطلق الصائغ إلى مدينته وانطلق السـائح إلى جانبه، فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حـاجة إلى تلك المدينة، فانطلق فاستقـبله القرد، وقبَّل رجليه، واعتذر إلـيه، وقال: إن القرود لا يملكون شيئًا، ولـكن اقعد حتى آتيك، وانطلق القـرد وأتاه بفاكهـة طيبـة، فوضعـها بين يديه، فـأكل منها حاجته.

ثم إن السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة، فاسـتقبله السبع، وقال له إنك قد أوليتنى مـعروفًا فاطمـئن ساعة حتى آتيك، فانطـلق السبع، فدخل بعض الحيطان إلى بنت الملك، فقتلها، وأخذ حليها فأتاه به من غير أن يعلم السائح من أين هو.

فقال فى نفسه: هذه البهائم قد أولتنى هذا الجزاء فكيف لو قد أتيت إلى الصائغ؟ فإنه إن كان معسرًا لا يملك شيئًـا فسيبيع هذا الحلى فيستوفى ثمنه فيعطينى بعضه ويأخذ بعضه، وهو أعرف بثمنه.

فانطلق السائح، فأتى إلى الصـائغ، فلما رآه رحَّب به وأدخله فى بيته، فلمـا بصر بالحلى مـعه عـرفه، وكـان هو الذى صاغـه لابنة الملك، فـقال للسـائح: اطمئن حـتى آتيك بطعـام، فلست أرضى لك ما فى البـيت، ثم خرج وهو يقـول: قد أصبت فرصـتى، أريد أن أنطلق إلى الملك وأدله على ذلك، فتحسن منزلتى عنده.

فانطلق إلى باب الملك، فـأرسل إليه: إن الذى قتل ابنتك وأخذ حـليها عندى، فأرسل الملك وأتى بالسائح، فلما نظر الحلى معه لم يمهله، وأمر به

أن يُعذَّب ويطاف به في المدينة ويُصلَب.

فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته: لو أني أطعت القرد والحية والسبع فيما أمرنني به، وأخبرنني من قلة شكر الإنسان، لم يصر أمري إلى هذا البلاء وجعل يكرر هذا القول.

فسمعت مقالته تلك الحية، فخرجت من جحرها فعرفته، فاشتد عليها أمره، فجعلت تحتال في خلاصه، فانطلقت حتى لدغت ابن الملك، فدعا الملك أهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه شيئًا، ثم مضت الحية إلى أخت لها من الجن، فأخبرتها بما صنع السائح إليها من المعروف، وما وقع فيه.

فرقَّت له، وانطلقت إلى ابن الملك وتخايلت له وقالت له: إنك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلمًا.

وانطلقت الحية إلى السائح، فدخلت عليه السجن، وقالت له: هذا الذي كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف - إلى غير أهله - ولم تطعني وأتته بورق ينفع من سمها، وقالت له: إذا جاءوا بك لترقي ابن الملك، فاسقه من ماء هذا الورق فإنه يبرأ، وإذا سألك الملك عن حالك، فاصدقه، فإنك تنجو إن شاء الله تعالى، وإن ابن الملك أخبر أنه سمع قائلاً: إنك لن تبرأ حتى يرقيك هذا السائح الذي حُبس ظلمًا.

فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقي ولده، فقال: لا أُحسن الرُّقَى، ولكن اسقه من ماء هذه الشجرة، فيبرأ بإذن الله تعالى فسقاه، فبرئ الغلام، ففرح الملك بذلك، وسأله عن قصته، فأخبره، فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة، وأمر بالصائغ أن يُصلَب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر، ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح(١).

(١) كليلة ودمنة (ص: ٢٤٩- ٢٥١).

البقرة والغلام الصالح

رُوِى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح وله طفل له بقرة، فأتى بها إلى غيضة، وقال: اللهم إنى أستودعك هذه البقرة لابنى حتى يكبر، ومات الرجل، فصارت البقرة فى الغيضة عوانًا، وكانت تهرب من كل من رآها، فلما كبر الابن وكان بارًّا بأمه كان يُقسِّم الليل ثلاثة أثلاث: يصلى ثلثًا، وينام ثلثًا، ويجلس عند رأس أمه ثلثًا، وكان إذا أصبح انطلق، فاحتطب على ظهره وأتى به السوق، فيبيعه بما شاء الله، ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه، ويعطى أمه ثلثًا.

فقالت أمه له يومًا: إن أباك ورَّثك بقرة استودعها الله فى غيضة كذا وكذا فانطلقِ وادع الله أن يردها عليك، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها، وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها.

فأتى الفتى الغيضة، فرآها ترعى، فصاح بها، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه، فقبض على عنقها وأقبل يقودها، فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى، وقالت: أيها البار بوالدته! اركبنى فإن ذلك أهون عليك؟

فقال الفتى: إن أمى لم تأمرنى بذلك. ولكن قالت: خذ بعنقها.

فقالت: وإله بنى إسرائيل لو ركبتنى لما قدرت علىَّ أبدًا، فانطلق، فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرِّك بأمك.

فسار الفتى بها إلى أمه، فقالت له: إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانطلق فبع هذه البقرة.

قال: بكم أبيعها؟

قالت: بثلاثة دنانير، ولا تبع بغير مشورتى.

وكان ثمن البقرة إذ ذاك ثلاثة دنانير، فانطلق بها إلى السوق فبعث الله إليه ملكًا ليرى خلقه قدرته، ويختبر الفتى، كيف بره بوالدته، وكان الله عليمًا خبيرًا.

فقال له الملك: بكم تبيع هذه البقرة؟

قال: بثلاثة دنانير، وأشترط رضا والدتى.

فقال له الملك: فإنى أعطيك ستة دنانير، ولا تستأمر والدتك.

فقال الفتى: لو أعطيتنى وزنها ذهبًا لن آخذه إلا برضا والدتى.

ثم إن الفتى رجع إلى أمه وأخبرها بالثمن، فقالت له: ارجع وبعها بستة دنانير على رضًا منى.

فانطلق بها إلى السوق فأتاه الملك فقال له: أستأمرت أمك؟

فقال له الفتى: إنها أمرتنى ألا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها.

فقال له الملك: فإنى أعطيك اثنى عشر دينارًا على ألا تستأمرها.

فأبى الفتى ورجع إلى أمه، فأخبرها بذلك، فقالت له: إن الذى يأتيك ملك فى صورة آدمىٍّ؛ ليختبرك فإذا أتاك، فقل له: أتأمرنا أن نبيع هذه أم لا نفعل؟

فقال له الملك: اذهب إلى أمك، وقل لها: أمسكى هذه البقرة، فإن موسى يشتريها منك لقتيل من بنى إسرائيل فلا تبيعيها إلا بملء مسكها[١] ذهبًا -أى جلدها دنانير- فأمسكوها وقدر الله على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بأمه[٢].

* * *

(١) المسك: الجلد.

(٢) حياة الحيوان (٦/ ٨٥٢).

كلب يثأر لصاحبه

قال أبو عثمان المدائني:

كان في جوارنا ببغداد رجل يلعب بالكلاب، فأسحر يومًا في حاجة ومعه كلب كان يختص به من كلابه فردَّه، فلم يرجع فمشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة، فصادفوه فقبضوا عليه، والكلب يراهم، فخرج الكلب، وقد لحقته جراحة فجاء إلى بيت صاحبه يعوى.

وافتقدت أم الرجل ابنها، فأثبتت أن الجراح التي بالكلب من فعل قتل ابنها، وأنه قد قُتل فأقامت عليه المأتم فطردت الكلاب عن بابها، فلزم ذلك الكلب طلب القاتل، فاجتاز القاتل وهو رابض، فعرفه فنهشه وعلق به، فاجتهد المجتازون في تخليصه منه، فلم يمكنهم وارتفعت ضجة، وجاء حارس الدرب، فقال: إنه لم يتعلق هذا الكلب بالرجل إلا وله معه قضية، ولعله الذي جرحه، وخرجت أم القتيل، فرأت الكلب متعلقًا بالرجل، وسمعت كلام الحارس، فذكرت بأن هذا الرجل ممن كان يعادي ابنها، فوقع في نفسها أنه قاتله فتعلقت وادَّعت عليه القتل، وارتفعا إلى صاحب الشرطة فحبسه بعد أن ضُرب ولم يُقر، ولزم الكلب باب الحبس.

فلما كان بعد أيام أطلق الرجل، فلما خرج، علق به الكلب، فُفرِّق بينهما ومازال يسعى خلفه ويصيح إلى أن دخل بيته، فدخل خلفه ومعه صاحب الشرطة من حيث لا يعلم، فكبس الدار، فأقبل الكلب ينبش بمخالبه موضع القتيل، فوجد الرجل، فضُرب المتهم، فأقر على نفسه وعلى الباقين، فقُتلوا وصُلبوا[1].

---

(١) الأذكياء (ص: ٢٩٦).

القاضى شكر الله السندى وخبره العجيب

تولى القضاء فى بلدة من بلاد السند سنة سبع وعشرين وتسعمائة أيام شاهى بيك... كان رحمه الله لا يخاف فى الله سبحانه أحدًا، حتى قيل: إن شاه حسين بن شاهى بيك ملك السند اشترى أفراسًا من بعض التجار، وماطله فى أداء الثمن، فرفع التاجر القضية إلى القاضى، فأمر أن يحضر السلطان بين يديه ويقوم حيث ما قام التاجر، ثم قضى عليه بحق التاجر، فأرضى السلطان التاجر، ثم قام القاضى من مكانه وقدم السلطان على جرى العادة، فقعد السلطان عنده وأراه خنجرًا كان معه، وقال له: جئت به لأقتلك لو عدلت عن الحق مهابة منى، فأخرج القاضى السيف من تحت وسادته وقال له: وضعت هذا السيف لأقتلك لو جاوزت عن حدك، ثم خرج السلطان مسرورًا وكان مطله فى أداء الثمن من أجل الامتحان[1].

* * *

(١) الإعلام بمن فى تاريخ الهند من الأعلام لعبد الحى الندوى (٤/ ١٢٤، ١٢٥).

وصية بدون نقط

وصية غريبة، ليس فيها حرف واحد منقوط، ومع ذلك فهى سهلة جزلة وهى بعنوان: «أحمد المسالك لكل سالك». يقول الشيخ على محمد:

للوصول للسؤدد: حاولوا وطاولوا: حاولوا الوصول للأمل، وطاولوا كرام الدول.

للوصول إلى العلاء: محِّصوا الآراء، وعادوا الأعداء، ووالوا الأوداء[١] وأدلوا مع أهل السؤدد الدلاء، واطرحوا المراء، ودعوا الحسد والعداء، واسلكوا مسلك الأوداء، وأعطوا لأهل الأطمار[٢] الكساء، وأهل الأدواء الدواء، وسهلوا العلم للدهماء[٣] وطهروا صدوركم، وأحكموا أموركم، وأعطوا الأعمال لأهلها.

للوصول للأمل: دعوا الكسل، اعملوا صالح العمل، واسلكوا مسالك الأُول.

لإصلاح حالكم ومآلكم: اعملوا عمل أهل الإسلام، أحلوا الحلال، وحرموا الحرام، وصلوا الأرحام، وأطعموا الطعام، وأهدوا السلام، وواسوا أهل الآلام.

وأعطوا السائل، وارحموا الأرامل وآووا العائل[٤]، واهدوا الحائر، وطهروا السرائر، وأكرموا العلماء، ووالوا الصلحاء، وودوا الكرام، وداروا اللئام، واعملوا للمعاد، وواصلوا السهاد، وداوموا الركوع، وسحُّوا الدموع، وادَّرعوا الورع، واطرحوا الطمع، ودعوا الهلع، وراعوا العهود،

(١) الأوداء: أهل الود.

(٢) الأطمار: جمع طمر، وهو الثوب الخلق.

(٣) الدهماء: عامة الناس.

(٤) العائل: الفقير.

وأدوا الوعود، وصوموا وصلوا، وعما هو محرم أو مكروه ولوا.
دعوا العمل لعمرو وعمر، واعملوا لله وحده كما أمر.
وسارعوا للمكارم وواصلوا المراحم.
دعوا المكر والمحال[١] والعلو والإدلال، واللهو والإهمال.
دعوا الحرص والإمساك[٢] وإلا عراكم ودهمكم الهلاك.
وحاصلُ الكلام: اسلكوا أحمد المسالك، ودعوا ما أوصل للمهالك[٣].

أعمال عجيبة

في تاريخ التسلية والعروض الفيزيائية الجسمانية الغريبة والعجيبة تتم العروض أمام الجمهور على شكل المغامرة.

في معرض بارثولوميو عام ١٨١٤ قامت امرأة تدّعى أنها ضد النار بعروض لا تُصدَّق! من أحد العروض التى قدمتها أنها وضعت معدن الرصاص المصهور فى فمها ثم بصقته من بين أسنانها، ثم قامت بوضع الحديد المحمى حتى الاحمرار على جسمها وعلى أطرافها وعلى لسانها وعلى شعرها، ثم غمست ذراعها داخل النار المشتعلة. وغسلت يديها بالرصاص الذى يغلى والزيت الذى يغلى والماء الذى يغلى! قامت بكل هذه الأعمال دون أن تشتكى من أى ألم أو أن تظهر عليها علامات الإصابة بأى حروق أو مرض[٤].

أقول: إنه السحر! فلا يغترنَّ بهذا وأمثاله أحد.

(١) المحال: الكيد.
(٢) الإمساك: البخل.
(٣) عجائب وغرائب الوصايا فى التاريخ القديم والحديث/ سيد صديق عبد الفتاح. القاهرة: دار الأمين، ١٤١٤ هـ، (ص ٢٤١- ٢٤٣).
(٤) أغرب الغرائب (ص ٥٠).

عملة من الجماجم

روى بزرك بن شهريار أن بجزيرة النيان فى الهند قوم يأكلون الناس، ويجمعون رؤوسهم عندهم، ويفتخر الواحد منهم بكثرة ما يجمع من الرؤوس، ويدخرونه مكان الذهب، ويبقى فى بلادهم دهرًا طويلاً كما يبقى الذهب عندنا، والذهب عندهم لا قيمة له، بل يكون منه ما يكون من الصُّفر - النحاس الأصفر - عندنا.

وبعد جزيرة النيان ثلاث جزر يقال لها: برادة، أهلها أيضًا يأكلون الناس، ويجمعون رؤوسهم، فيتعاملون بها ويقتنونها [١].

ولادة الفلوس!

ساحر من إفريقيا خدع عدة ضحايا فى مصر، وأوهمهم أن عفريتًا يساعده فى «ولادة الفلوس»!

وكان يطلب من ضحاياه أن يضعوا مبالغ مالية أمامه، ثم يطلق البخور، ويكتشف الضحية أن الفلوس ولدت مبلغًا جديدًا. وفى المرة التالية يطلب من الضحية أن يضع أمامه مبلغًا كبيرًا، ثم يفاجئه باختفائه، ويزعم له أن الولادة متعسرة! واستولى بذلك على مبالغ مالية كبيرة! وحُكم عليه بالحبس بعد اكتشاف أمره ثلاث سنوات [٢].

* * *

(١) عجائب الهند (ص ١١٥).

(٢) أخبار اليوم ع ٢٧٦٠ (٢٥/ ٥/ ١٤١٨ هـ).

أندر الأمراض

هو مرض لا تعرف طبيعته يسمى «كورو» أو «مرض الضحك» تصاب به قبيلة «فور» فى شرقى غينيا الجديدة. وهو مرض مميت تمامًا، وقد انتقل بواسطة عادة أكل أدمغة البشر[١]!

التطبيب بإضحاك المرضى!

لعل أغرب ما شاهده الرحالة الأندلسى أبو الصلت أمية بن عبد العزيز فى رحلته إلى مصر فى أوائل القرن السادس الهجرى هو ذلك الخبر الذى يرويه سامعًا له لا رئيًّا. فقد حدث أنه كان بمصر منذ عهد قريب من مَقدمه إليها رجل ملازم للبيمارستان، يُستدعى للمرضى كما يستدعى الأطباء، فيدخل على المريض، فيحكى له حكايات مضحكة، وخرافات مسلية، ويُخرج له وجوهًا مضحكة وكان مع ذلك لطيفًا فى إضحاكه خبيرًا به، قديرًا عليه، فلا يلبث صدر المريض أن ينشرح لما يرى ويسمع، وتعود إليه قوته فيتركه ذلك المطبب المضحك وينصرف، فإذا برئ وإلا عاوده بالزيارة حتى يتم شفاؤه.

ولقد أعجب الرحّالة الأندلسى بهذا الذى سمع لما كان واقعًا قبل مجيئه إلى مصر، وتمنى على أطباء عصره بأسرهم لو قدروا على مثل هذا العلاج الذى لا مضرة فيه ولا غائلة له، بل أمره على العليل هين، ونفعه ظاهر بيِّن، لأنه كما يقول: ينشط النفس، ويبسط الحرارة الغريزية، ويقوى القوى الطبيعية ويقوى البدن على دفع الأخلاط الردية المؤذية والفضول[٢].

(١) صندوق الدنيا: عجائب وغرائب من العالم.

(٢) غرائب من الرحلات (ص ٤٩، ٥٠).

فندق من الثلج

فى أسبانيا يُبنى فندق من الثلج كل عام يُستخدم فى بنائه ١٥٠٠ طنًّا من الثلج وتُشيَّد به كل الغرف المطلوبة والمرافق وكافة مستلزمات الراحة.

يذوب هذا الفندق تلقائيًّا فى شهر إبريل من كل عام[1].

طبيبات أعماق البحار

من أغرب الغرائب فى حياة الأسماك أن هناك نوعًا صغيرًا منها لا يتجاوز طوله عشرة سنتيمترات قد اتخذ لنفسه صفة الطب مهنة ومكسبًا، وافتتح لذلك بين الصخور عيادات تؤمها أسراب بعد أسراب من الأسماك الكبيرة والمتوسطة والصغيرة طلبًا للشفاء من الطفيليات والإصابات.

وتكثر هذه الأسماك فى جنوب المحيط الهادى، وهى موجودة ولا شك فى كثير من بحار العالم، ولكنها تحتاج إلى عين متفحصة وعقل مفتوح قادر على ملاحظتها.

بالإضافه إلى ما تناله السمكة الطبيبة من غذاء مجانى لقاء تنظيفها الأسماك الأخرى التى تفوقها حجمًا إلى حدٍّ بعيد، فإنها تتمتع بالحصانة ضد هجوم هذه الأسماك الكبيرة عليها. ولقد شوهدت هذه السمكة وهى تنظف الأسماك الخطرة المفترسة ومنها الحنكليس وسمكة العقرب السامة وهى فى أمان تام.

والغريب فى الأمر أن بين هذه الأسماك نوعًا ينتحل شكل السمكة

---

(١) قصص من عجائب الدنيا (ص: ٨).

الطبيبة ولونها وحركتها؛ لكى يضمن لنفسه حرية الاقتراب من الأسماك الراغبة فى الدواء، حتى إذا صارت على مقربة منها، طرحت عنها ثوب الحمل ولبست لبوس الذئب وانقضت على فريستها تنهش ما تستطيع أن تناله من لحمها.

إن الأسماك الكبيرة تستطيع أن تميز بين الطبيبة الحقيقية والطبيبة الزائفة، وهى قادرة على مهاجمتها وإبعادها عنها، ولكن الأسماك الصغيرة الجاهلة بالحياة هى فى الواقع ضحية هذا النوع من الأسماك، وقد تُرك لها أمر التمييز، وهى تتقنه بالممارسة وبعد أن تدفع ثمنًا مؤلمًا.

لقد وقف أحد العلماء الغواصين ذات مرة ست ساعات كاملة وهو يرقب عملية التطبيب والمعالجة عند أحد المراكز ورأى حوالى ثلاثمائة سمكة تؤم هذه العيادة، ثم تغادرها سليمة من الطفيليات فإذا ضربنا هذا الرقم بعدد السمكات الطبيبات فى بحار العالم أدركنا عِظم المهمة المُلقاة على عواتق هذه المخلوقات الصغيرة الضعيفة فى حفظ الثروة السمكية فى البحار والمحيطات من المرض والانقراض.

ويعتقد كثير من العلماء أن عملية التنظيف هذه تشكل واحدة من أهم العلائق الأساسية فى حياة الأسماك فى الدنيا (١).

* * *

(١) غرائب فى مملكة الحيوان (١٥٠- ١٥٢).

السمك الطبيب

يصف العالم (جورج بارلو) السلوك الغريب الذى تقوم به الأسماك التى تود المعالجة فـتقف السمكة المريضة أمـام طبيبها فى وضع عـمودى، بحيث يكون رأسها إلى أسفل، وذيلها إلى أعلى، ولا تتحرك من مكانها، أو تفرد زعانفهـا إلى آخرها، وكأنها قـد نُوِّمت تنويمًا مغناطيسيًّا، أما إذا كانت تشكو من ألم فى خيـاشيمها أو حلقـها، فعليها أن تفـتحهمـا على آخرهما حتى تدخل السمكة الصغيرة إلى داخلها، وتزيل كل ما علق بها من أدران.

وعندمـا تشعـر السمكة المصـابة بخطر يهدد حـياتهـا، تلتقط السـمكة الصغيرة من فمها، وتهرب السمكة الكبيرة أو قد تدخل مع السمكة المهاجمة فى معـركة مع العـدو المهاجم، وقـد تفد أسراب السـمك المريض إلى تلك المحطات، فى أسراب كبيـرة، فتحدث الفوضى من الأسماك الكبيـرة فتسرع بالتقهقر إلى مخبئها عندما تفاجأ بهذه الفوضى وقد يقف السمك فى طريقها ويحول بينها وبين الهرب، فتذعن عندئذٍ للعمل!!

إلا أن هناك أنواعًـا من السمك، تتـصـرف بسلوك هادئ ونظامىٍّ وهى عندما تحـضر إلى محطات التـمريض، فى مجمـوعات صغـيرة تقف هادئة ساكنة، حتى يحين دورها. مما يتيح لسنيوريتا وأترابها أن تقوم بالواجب خير قيام، فكلمـا انتهى العمل فى مجمـوعة، تركت مكانها لغيـرها حتى تأخذ دورها بالترتيب.

ومن الأمور الغريبة التى لاحظها العلماء، وهم يدرسون سلوك الكائنات تحت الماء، أن بعض الأسـمـاك تحضـر إلى هذه المحطات دون أن تكون قـد أصابتها أمراض طفيلية أو بكتيرية.

والغـريب أن معظم أولئك الزوار مـن الذكور، وقـد يخرج الذكـر من محطة ليدخل محطة أخرى مجـاورة، أو قد يزور المحطة نفسها مرات عديدة فى اليوم الواحد، حتى لقد قيل إن وقت ذكور الأسماك موزع بالتساوى بين العناية بالمظهر والزينة والنظافة وبين البحث عن الطعام، وكأنما هذه المحطات قد تحولت إلى «صالونات» من نوع جديد!

وقد يعلـل هذا بأن الذكر يدخل فى مـعارك فيـصاب بجـروح، وعندما تتقيح هذه الجروح فلا بد من الذهاب إلى محطات التمريض[١].

الست المستحية

ليست «الست المستحية» سوى نبـات يُعرف علميًا باسم (ميموزا بوديكا) وهو نبات أو شجيرة استوائية من العـائلة القرنية، ولها أوراق خضراء ريشية مُركَّـبة وأزهار وردية أرجوانيـة متجمـعة، جمـيلة المظهر يمكن تربيتـها فى الحدائق وداخل المنازل.

ومن عجيب هذا النبات أنه حسـاس، فإذا لمس شخص وريقة من أوراقه فإن الوريقات سـرعان ما تنطبق على نفسهـا وتنكمش الورقة بكاملها، وإذا طال اللمس، أو كان عنيـفًا فإن الغصن بكامـله ينكمش ويذبل ويتدلى إلى أسفل. وهنا تبدو وكـأنها أشبه بمخلوق خجل واستحـيا، ومن هنا جاء اسم النبات (الست المستحيـة) وبعد زوال المؤثر يعود كل شىء إلى حاله وكأنه لم يحدث ومن العـجيب كذلك أن هذا الخـجل والاستحيـاء يصيبهـا أيضًا إذا أُحرقت إحدى وريقـاتها بلهب، أو إذا جُرحت الوريقة أو أصـابها شىء من التمزيق، أو إذا تعرضـت لصدمة كهربائية، أو مواد كـيماوية، أو نُقلت من

---

(١) عجائب الحياة فى الماء (ص ١٤٨).

مكان مضىء إلى آخـر مظلم فجأة وبالعكس. فـكيف يحدث هذا لمثل هذا النبات البسيط؟.

مما لا شك فيه أن هذه الاسـتجابات والحركات معـجزة فى شكلها وفى كيفية حدوثها.

ولقد حـبا الله هذا النبات تركيـبًا خاصًّا مؤهلاً لهذه الاسـتجابات وما يتبعها من حركات.... [١].

اللغات آيات

فى العالم اليـوم (٢٧٩٦) لغة، أشهرها (٤٨) لغة منـتشرة فى أوروبا، و(١٥٣) لغـة فى آسـيـا، (١١٨) لغـة فى إفـريقـيـا، (٤٢٤) لغـة فى الأمريكيتين، و (١١٧) لغة فى جزر المحيطات[٢].

واللغات من آيات الله سـبحانه وتعالى. قـال عزَّ من قائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّـمَـوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْـتِـلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[٣].

* * *

(١) مجلة الخفجى (صفر ١٤١٩ هـ) (ص: ٧).

(٢) موسوعة هل تعلم (١/ ١٤٠).

(٣) سورة الروم: آية: (٢٢).

كاد يموت من العطش ... والماء أمامه!!

غرقت سفينة بالقرب من شاطئ أمريكا الجنوبية عند البرازيل، واستطاع أحد الركاب أن ينجو بنفسه فى زورق من المطاط، ومضت عدة أيام، فانتهى ما معه من زاد وماء، وكاد يموت جوعًا وعطشًا، ولكنه منع نفسه من شرب مياه المحيط المالح، وأخيرًا رآه بحارة لأحد السفن الخاصة بنقل البضائع فأنقذوه وهو بين الحياة والموت، وسأله البحارة: ما الذى أرهقك هكذا؟

قال: العطش... فسألوه فى دهشة هل تذوقت الماء الذى كان زورقك يطفو فوقه، أجاب بغير تردد وكيف أتذوقه وأنا أعرف أن ماء البحر مالح؟ عندئذ أنزل أحد البحارة وعاءً مربوطًا بحبل وملأه بالماء وقدمه إلى الرجل، وقال له: اشرب وبالرغم من تردده ودهشته فقد تذوق الماء فوجده ماء عذبًا، لا أثر فيه للملوحة فتعجب وسأل البحارة عن سبب عذوبة الماء فقالوا: إننا الآن أمام مصب نهر الأمازون وهذا النهر يدفع بكميات كبيرة من مياهه إلى مسافات بعيدة فى البحر، قبل أن تختلط بمياه المحيط المالحة، وهكذا كنت ستموت عطشًا وأنت تطفو بزورقك على كميات هائلة من الماء العذب[1].

* * *

(١) قصص من عجائب الدنيا (ص: ٤١، ٤٢).

أوقاف نادرة

لما كثرت مؤسسات الأوقاف في ديار المسلمين كثرة فاقت كل تقدير أخذ المسلمون يسلكون في فعل الخير دروبًا ما خطرت على بال، ويبتدعون منه صنوفًا ما عنت لفكر!

ففي دمشق مثلاً وقف ذو عقارات ثمينة وغلال وافية، وقفه أحد المحسنين لينفق ريعه على بضعة رجال ممن يتسمون بصباحة الوجه وخفة الظل وحلاوة الحديث وطيب المجالسة.

أما مهمتهم فالطواف على أحياء دمشق لعيادة مرضى المسلمين بغية إيناسهم بالكلمة الحلوة، وإبهاجهم بالخبر السار، وإمتاعهم بالطرفة المستبشرة.

فلا يخرج أحدهم من عند المريض إلا وقد شحن نفسه بالأمل، وأترع فؤاده بالطمأنينة وبث في جسمه القوة، وصب في أعصابه النشاط.

ووقفٌ آخر على أثمان ما يكسره الخدم الصغار أو يتلفونه لأسيادهم فإذا كسر غلام من هؤلاء آنية غالية لسيده أو أتلف له قطعة ثمينة وخشي أن يعاقبه على فعلته، مضى إلى دار هذا الوقف ومعه ما كسره أو أتلفه فإما أن يَعوَّض عنه بما يناظره وإما أن يُدفع له ثمنه إذا عز النظير.

وعند ذلك يعود إلى سيده آمنًا من غضبه، مطمئنًا إلى أنه لن يناله بأذى.

ووقف في (مرجة الحشيش)... وهي منطقة فسيحة الجنبات، خصيبة التربة، تقع على ضفاف بردى حيث يقام معرض دمشق الدولي اليوم... هذه المرجة وقفها صاحبها على الدواب التي أصيبت في ساحات الجهاد

إصابات أعجزتها عن العمل، أو أدركتها الشيخوخة فسرحها أصحابها لعدم جدواها لهم. . . وقفها عليها لترعى من حشائشها الغضة، وتشرب من مياهها، وتحيا فى أكنافها إلى أن يدركها الأجل المحتوم. . .[1].

قتلوا شبلاً فاجتمع عليهم بضعة عشر سبعًا

عن أبى بكر محمد بن سهل الشاهد الواسطى القاضى، قال: أخبرنى وكيلان كانا فى ضيعتى بنواحى الجامدة، ونهر جعفر، قالا: خرجنا مع صناع عندنا، إلى أجمة نقطع قصبًا، فرأينا شبلاً كالسنور، فقتله أحد قُطَّاع القصب.

فقال الباقون: قتلنا، الساعة يجيئ السبع واللبوة - أنثى الأسد- فإذا لم يرياه طلبانا، ونحن نبيت فى الصحراء بين القصب، فيفترسانا.

قال: فما كان بأسرع من أن سمعنا صوت السبع، فطرنا على وجوهنا، واجتمعنا فى دار خراب خارج الأجمة، وعلونا سطحها، وكان فيها غرفة عليها باب كنا نأوى إليها ليلاً.

فلما رأى السبع ولده قتيلاً قصدنا فصار فى صحن الدار الخراب، وكان بين يدى الغرفة صحنين، فأخذ السبع يطفر ليصير معنا، فما قدر على ذلك. فولَّى، وعلا أكمة فى الصحراء، وصاح، فجاءته اللبوة، فطفرت تريدنا، فما قدرت.

فاجتمعا، فصاحا، فجاءهما عدة من السباع، وطفروا، فما قدروا علينا، فلم يزالوا كذلك حتى اجتمع بضعة عشر سبعًا، وكلما جاء واحد

(١) الدين القيم/ عبد الرحمن رأفت الباشا - ليماسول القاهرة: دار الأدب الإسلامى، ١٤١٧ هـ (ص٩٧ - ١٠٠).

حاول أن يطـفر إلينا فـلا يبلغنا، ونحن كالموتى خـوفًا أن يصل إليـنا واحد منهم.

فبينما نحن كذلك إذ اجتمعت السباع كلها كالحلقة، وجعلت أفواهها فى الأرض، وصاحت صيحـة واحدة، فرأينا حفرة قد احـتفرت فى التراب من أنفاسها.

فما كان إلا ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل، منجرد الشعر، لطيف.

فلقيته السـباع كلها، وبصبصت بين يديه، وحوله، وجـاء يقدمها وهى خلفـه حتى رآنا فى الغـرفة، ورأى الموضع، ثم جـمع نفسه، فـإذا هو فى الصحن، بين يدى الغرفة.

وكنا قد أغلقنا الباب، فاجتمعنا كلنا خلفه لندافعه عن الدخول.

فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر بعض ألواحه وأدخل عجزه إلينا.

فعمد أحدنا إلى ذنبه فقطعه بمنجل كان معنا.

فصاح صيحة منكرة وهرب، ورمى بنفسه إلى الأرض، فلم يزل يخمش السباع وينهشها ويقطعها بمخالبه، حتى قتل منها غير واحد.

وتهاربت السـباع الباقـية من بين يديه، وهام فى الصحـراء يتبع أثرها، ونزلنا نحن لم يبق منها شىء، فلحقنا بالقرية، وخبرناهم خبرنا [1].



(١) مختصر الفرج بعد الشدة / للإمام التنوخى (ص: ٣٧٦ ، ٣٧٧).

قضى ليلة مع الأسد في حجرة مغلقة الباب

يقول الراوى: بلغنى عن قاضى القضاة المعروف بأبى السائب، ولم أسمع ذلك منه، قال: وافيت من همذان أريد العراق، وأنا فقير، وزرت قبر الحسين رضي الله عنه.

فلما انصرفت أريد قصر ابن هبيرة، قيل لى: إن الأرض مُسبعة - مليئة بالسباع- وأشير علىَّ أن ألحق بقرية فيها حصن سُميت لى، فآوى إليها قبل المساء.

وكنت ماشيًا، فأسرعت فى المشى، إلى أن وافيت القرية، فوجدت باب الحصن مغلقًا.

فدققت الباب، فلم يُفتح لى، وذكرت للقائمين بحراسته، اسم من انصرفت من زيارته.

فقالوا: قد أتانا منذ أيام من ذكر مثل ما ذكرت، فأدخلناه، وآويناه، فدل علينا اللصوص، وفتح لهم باب الحصن ليلاً، وأدخلهم، فسلبونا، ولكن الحق بذلك المسجد، وكن فيه، لئلا تمسى فيأتيك السبع.

فصرت إلى المسجد، فدخلت بيتًا كان فيه، وجلست.

فلم يكن بأسرع من أن جاء رجل على حمار، منصرفًا من الحائر، فدخل المسجد، وشد حماره فى غلق الباب، ودخل إلىَّ.

وكان معه كراز فيه ماء، وخرج، فأخرج منه سراجًا فأصلحه، ثم أخرج قداحة، فقدح، وأوقد، وأخرج خبزه، وأخرجت خبزى، واجتمعنا على الأكل.

فما شعرنا إلا والسبع قد حـصل فى المسجد فلما رآه الحمار، دخل إلى البيت الذى كنا فيه، فدخل السبع وراءه، فـخرج الحمار وجذب باب البيت بالرسن، فأغلقـه علينا وعلى السبع، وصـرنا محبوسـين فيه، فـحصلنا فى أخبث محصل.

وقدرنا أن السبع ليس يعرض لنا، بسبب السراج، وأنه إذا طُفِئ، أكلنا، أو أخذنا.

وما طال الأمر أن فنى ما كـان فى السراج من الدهن، وطفئ، وحصلنا فى الظلمة، والسبع معنا، فمـا كان عندنا من حاله شىء إلا إذا تنفس، فإنا كنا نسمع نَفَسه.

وراث الحمار من فـزعه، فملأ المسجـد روثًا، ومضى الليل ونحن على حالنا، وقد كدنا نتلف فزعًا.

ثم سمـعنا صوت الأذان من داخل الحصن، وبدا ضوء الصـبح، فرأيناه من شقوق الباب.

وجاء المؤذن من الحصن، فدخل المسجد، فلما رأى الحمار، لعن وشتم، وحل رسن الحمار من الغلق، فمر يطيـر - من الفزع- فى الصحراء، لعلمه بما قد أفلت منه.

وفتح المؤذن باب البيت ينظر من فيه، فـوثب السبع إليه، فدقَّه، وحمله إلى الأجمة، وقمنا نحن، وانصرفنا سالمين[١].



(١) مختصر الفرج بعد الشدة / للإمام التنوخى (ص: ٣٨٨، ٣٨٩).

لقاء بين الجد الرومى النصرانى والحفيد العربى المسلم

عن رجل من أهل الكوفة، قال: كنا مع مسلمة بن عبد الملك، ببلاد الروم، فسبا سبايا كثيرة، وأقام ببعض المنازل، فعرض السبى على السيف، فقتل خلقًا، حتى عُرض عليه شيخ كبير ضعيف، فأمر بقتله.

فقال له: ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلى؟ إن تركتنى حيًّا جئتك بأسيرين من المسلمين شابين.

قال له: ومن لى بذلك؟ قال: إنى إذا وعدت وفيت.

قال: لست أثق بك.

فقال له: دعنى حتى أطوف فى عسكرك، لعلى أعرف من يتكفل بى إلى أن أمضى وأعود أجىء بالأسيرين.

فوكل به من يطوف به، وأمره بالاحتفاظ به، فما زال الشيخ يطوف، ويتصفح الوجوه، حتى مر بفتى من بنى كلاب، قائمًا يحس فرسه.

فقال له: يا فتى، اضمنِّى للأمير، وقَصَّ عليه قصته.

فقال: أفعل، وجاء الفتى إلى مسلمة، فضمنه، فأطلقه مَسلمة.

فلما مضى، قال للفتى: أتعرفه؟ قال: لا، والله.

قال: فلِمَ ضمنته؟ قال: رأيته يتصفح الوجوه، فاختارنى من بينهم، فكرهت أن أخلف ظنه فىَّ.

فلما كان من الغد، عاد الشيخ، ومعه أسيران شابان من المسلمين، فسلمهما إلى مسلمة، وقال: إن رأى الأمير أن يأذن لهذا الفتى أن يصير معى إلى حصنى لأكافئه على فعله.

فقال مسلمة للفتى الكلابى: إن شئت فامض معه.

فلما صار إلى حصنه، قال له: يا فتى، تعلم والله أنك ابنى قال له: وكيف أكون ابنك، وأنا رجل من العرب مسلم، وأنت رجل من الروم نصرانى.

فقال له: أخبرنى عن أمك، ما هى؟ قال: رومية.

قال: فإنى أصفها لك، فبالله إن صدقت، إلا صدَّقتنى.

قال: أفعل.

فأقبل الرومى، يصف أم الفتى، ما خرم من صفتها شيئًا.

فقال له الفتى: هى كذلك، فكيف عرفت أنى ابنها؟

قال: بالشبه، وتعارف الأرواح، وصدق الفراسة.

ثم أخرج إليه امرأة، فلما رآها الفتى لم يشك فيها أنها أمه، لتقارب الشبه، وخرجت معها عجوز كأنها هى، فأقبلتا تقبلان رأس الفتى، ويديه، وترشفانه.

فقال له: هذه جدتك، وهذه خالتك.

ثم اطلع من حصنه، فدعا بشباب فى الصحراء، فأقبلوا، فكلمهم بالرومية، فأقبلوا يقبلون رأس الفتى ويديه، فقال: هؤلاء أخوالك، وبنو خالاتك، وبنو عم والدتك.

ثم أخرج إليه حُليًّا كثيرًا، وثيابًا فاخرة، وقال: هذا لوالدتك عندنا منذ سُبيت، فخذه معك، وادفعه إليها، فإنها ستعرفه، ثم أعطاه لنفسه مالاً كثيرًا، وثيابًا، وحُليًّا، وحمله على عدة دواب، وألحقه بعسكر مَسلمة، وانصرف.

وأقبل الفتى قافلاً حتى دخل إلى منزله فأقبل يُخرج الشىء بعد الشىء مما عرَّفه الشيخ أنه لأمه، وتراه أمه، فتبكى، فيقول لها: قد وهبته لك.

فلما كثر عليها، قالت له: يا بنى، أسألك بالله، من أى بلد صارت إليكم هذه الثياب، وهل تصف لى أهل هذا الحصن الذى كان فيه هذا؟ فوصف لها الفتى صفة البلد والحصن، ووصف لها أمها وأختها، والرجال الذين رآهم، وهى تبكى وتقلق.

فقال لها: ما يبكيك؟

فقالت: الشيخ والله والدى، والعجوز أمى، وتلك أختى.

فقص عليها الخبر، وأخرج بقية ما كان أنفذه معه أبوها إليها، فدفعه إليها[١].



(١) مختصر الفرج بعد الشدة / للإمام التنوخى (ص : ١٣٠ ، ١٣١).

أيقاتله دون ثأر؟

حدث أبو دلامة الشاعر الظريف صاحب النوادر و الطرائف قال:

- أتى بى المنصور أو المهدى وأنا سكران فحلف ليخرجنى فى بعث حرب (بعث: غزو، أى سيرسله للقتال)، فأخرجنى مع روح بن حاتم المهلبى (هو أمير من الأجواد الممدوحين، كان حاجب المنصور وكان قائداً شجاعًا، توفى سنة ١٧٤هـ) لقتال الشراة (يعنى: الخوارج).

- فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرًا ترضيه.

فضحك وقال: والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ولآخذنك بالوفاء بشرطك. ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلى، ودعا بغيرهما فاستبدل به.

- فلما حصل ذلك فى يدى وزالت عنى حلاوة الطمع، قلت له: أيها الأمير، هذا مقام العائذ بك، أتعفينى من هذه «الورطة»، قال: هيا تقدم للمبارزة.

وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة، فقال: أخرج إليه يا أبا دلامة.

فقلت: أنشدك الله أيها الأمير فى دمى.

قال: والله لتخرجن.

- فقال أبو دلامة: أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا، وأنا والله جائع ما شبعت منى جارحة من الجوع، فمر لى بشىء آكله ثم أخرج للمبارزة. فأمر لى برغيفين ودجاجة، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف.

- فلما رآنى الشارى (الشارى: رجل من الخـوارج) أقبل نحوى وعليه فرو وقد أصابه المطر فابتل، وأصابته الشـمس فتقبض وعيناه تقدحان شررًا، فأسرع إلى. . فقلت له: على مهلك يا هذا كما أنت، فوقف.

فقلت: أتقتل من لا يقاتلك؟

قال: لا والله.

قلت: أتقتل رجلاً على دينك؟

قال: لا والله.

قلت: أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك؟

قال: لا فاذهب عنى إلى لعنة الله.

قلت: لا أفعل أو تسمع منى.

قال: قل.

قلت: هل كانت بيننا قط عداوة أو ثأر؟ أو هل تعرفنى لتخاف علىّ، أو تعلم أن بين أهلى وأهلك دم أو ثأر؟

فتقدمت إليه حتى اختـلفت أعناق دوابنا وتلاصقت وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكًا. . فلما استوفينا ودعنى.

ثم **قلت له:** إن أمـيرنا الجـاهل إن قـمت و طلب المبـارزة أرسلنى إليك فتتعبنى وتتعب. فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل.

قال: قد فعلت.

ثم انصرف وانصرفت.

فقلت لروح: أما أنا فقد كفيتك قـرنى (القرن: النظير فى الشجاعة) فقل لغيرى أن يكفيك قرنه كما كفيتك.

فضحك روح حتى استلقى من الضحك.

* * *

دعوة مستجابة

أخي الحبيب.... أختي الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتيب المتواضع سائلاً ربي - عز وجل - أن ينفع به المسلمين في كل زمان ومكان، وأن يجعله في ميزان حسنات أبي وأمي.

فما كان في هذا الكتيب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء وأعوذ بالله أن أُذكركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل عليَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عني وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا في جنته إخوانًا على سُرر متقابلين.

روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثله».

- فهيا لنسعد في ظل هذا الدين العظيم.... هيا لنرسم البسمة على وجوهنا وعلى وجوه كل من حولنا.

- هيا لندخل سويًا جنة الإيمان فنحيا في ظل منهج الرحمن وسنة سيد الأنام ﷺ .... هيا لننشر البسمة والفرحة لنسعد في الدنيا في ظل الإيمان ولنسعد في الآخرة في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصري

(أبو عمار)

الفهرس

الباب الثاني
قطوف وشذرات

الباب الثالث
قبس من المعجزات والكرامات

الباب الرابع
قبس من النوادر والعجائب

* * *

إصدارات كتب
الشيخ / محمود المصري

- لا تحزن وابتسم للحياة (١) مجلد (٢) لون.
- لا تحزن وابتسم للحياة (١) مجلد (حجم وسط).
- موسوعة الزواج الإسلامي السعيد (١) مجلد (٢) لون.
- تحذير الساجد من أخطاء العبادات والعقائد (١) مجلد (٢) لون.
- فتاوى الناس (المجلد الأول) كتاب الطهارة - الصلاة.
- فتاوى الناس (المجلد الثاني) كتاب أحكام الصلاة والجنائز.
- فتاوى الناس (المجلد الثالث) فتاوى الصيام - الفتاوى المعاصرة.
- ساعة وساعة «نوادر وعجائب» (١) مجلد (٢) لون.
- موسوعة الحقوق الإسلامية (١) مجلد (٢) لون.
- سيرة الرسول ﷺ (١) مجلد (٢) لون.
- سيرة الرسول ﷺ (١) مجلد (حجم وسط).
- رحلة إلى الدار الآخرة. (١) مجلد (٢) لون.
- رحلة إلى الدار الآخرة (١) مجلد (حجم وسط).
- أصحاب الرسول (١) مجلد (٢) لون.
- أصحاب الرسول (٢) مجلد (٢) لون.
- صحابيات حول الرسول ﷺ (١) مجلد (٢) لون.
- صحابيات حول الرسول ﷺ (١) مجلد (حجم وسط).


من إصداراتنا
قصة النهاية
أهوال نهاية العالم
قصص مفاتيح الفرج وتفريج الهموم
قصص الزاهدين و الزاهدات
قصص التائبين
من قصص نهاية الظالمين
قصص الصالحين والصالحات
يوم في الجنة
لا تحزن وابتسم للحياة
ساعة و ساعة
نوادر و عجائب
ليلة في بيت النبي
حلاوة الحياة
تحذير الساجد
من أخطاء العبادات والعقائد
مواقف إيمانية للمرأة المسلمة
أسباب النزول
السحر الحلال
كيف تكسب قلوب الناس
يوسف الأحلام
الزواج الإسلامي السعيد
مسك الختام
الحقوق الاسلامية
فتاوى الحج والعمرة
أخلاق الرسول
منهاج المسلم
الفقه الميسر
عقيدة المسلم
حكايات عمو محمود
للأطفال
حكايات عمو محمود
أذكار المسلم
قصص القرآن
الآداب الإسلامية
تفسير جزء عم
سيرة الرسول
قصص الأنبياء
قصص الرسول
أصحاب الرسول
أمهات المؤمنين
زوجات الرسول
معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة
عالم الجن والشياطين
موسوعة غزوات الرسول
موسوعة الفتاوى المعاصرة
فقه المسلم
فقه المسلم
فقه المسلم